عادل حمودة

النكتة اليهودية

سخرية اليهود من السماء إلى النساء



النكتة اليهودية

سخرية اليهود من السماء إلى النساء

النكتة اليهودية

سخرية اليهود من السماء إلى النساء

الطبعة الأولى : يناير ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٩٨/١٦٩٦٢

الترقيم الدولى : 977-5930-00-6

الغلاف : الفنان مصطفى حسين

مدير الإنتاج : شاهر وهبه

الطباعة : دار الياس العصرية



٦٧ شارع العروبة - هليوبوليس ١١٣٦١ - القاهرة.

تليفون وفاكس: ٤١٧٢٠٢٨ (٢٠٢) - ٤١٧٢٠٢١ (٢٠٢)

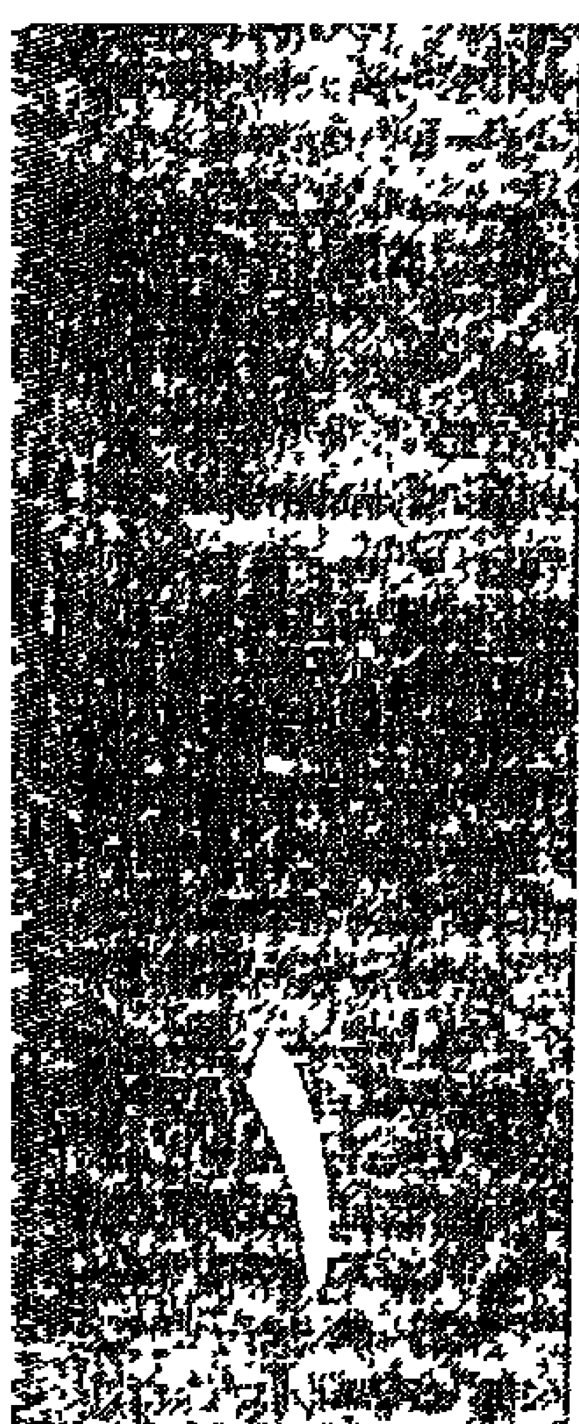
عـــادل حـمــودة

النـكتــة اليهــوديــة

سخرية اليهود من السماء إلى النساء



دار الفرسان للنشر



البداية من الأنبياء

هو أشهر رجل فى تاريخ اليهود.

هو موسى عمران قهات لاوى .. أو النبى موسى.

وموسى اسم فرعونى يعنى "ابن الماء" .. فـ "مو" فى اللغة الهيروغليفية تعنى الماء .. و "سا" تعنى الابن .. وموسى أو ابن الماء اسم على مُسمى .. فقد وضعته أمه فى سلة من البردى على حافة النهر .. نهر النيل .. خوفاً عليه من القتل .. وعثرت عليه امرأة فرعون، فرقّ قلبها وحملته إلى قصر فرعون ليصبح النبى والفرعون وجهاً لوجه.

فى سن الثمانين طلب موسى من فرعون أن يطلق سراح اليهود وكانوا عبيداً فى مصر .. عاشوا على أرضها ٤٣٠ سنة وكان عددهم ٦٠٠ ألف شخص .. وفى سفر الخروج .. أن اليهود هم ابن الرب البكر .. إذا لم يطلقهم فرعون ليعبدوا الرب .. فإن الرب سيهلك ابن فرعون البكر .. وفى سفر الخروج أيضاً .. أن اليهود عندما خرجوا من مصر إلى سيناء .. حيث صحراء التيه كان الرب يسير أمامهم نهاراً فى صورة عمود سحاب ليهديهم فى الطريق .. وليلاً فى صورة عمود نار ليضىء لهم .. حتى وجدوا أنفسهم بين مأزقين .. البحر أمامهم وجنود فرعون خلفهم .. فصرخوا فى موسى وقد تكسرت خيوط أعصابهم وكأنها كانت من الزجاج الرفيع :

– "العبودية فى مصر خير من الموت فى البرية" !

معجزة النجاة وشق البحر الأحمر معروفة فى الكتب المقدسة .. ومشروحة بالتفصيل فى التوراة .. الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج .. لكن .. غير المعروف أن النكتة اليهودية أعادت رواية المعجزة بصياغة لاتهز الأسطورة .. ولا تنال منها .. وإن رشت عليها الفلفل الأسود بعد أن غمستها فى العسل الأبيض.

لقد أشرق وجه موسى فجأة ونظر إلى مستشاره الخاص بالدعاية والإعلام قائلاً :

– إن لدى فكرة رائعة !

– قل بسرعة ما هى ؟

– افرض أننى رفعت يدى اليسرى فانشقت مياه البحر وسمحت لنا بالعبور خلالها .. ثم .. افرض أننى رفعت يدى اليمنى فعادت المياه إلى مجاريها وأغرقت جنود فرعون .. ما رأيك فى هذه المعجزة؟

فكر خبير الدعاية والإعلام قليلاً ثم قال :

– اسمع يا موسى .. قم بهذه المعجزة وأنا أضمن لك ١٠ صفحات على الأقل من الدعاية المجانية فى الكتاب المقدس.

****

إن الخروج من مصر هو أهم حادث دينى وتاريخى وسياسى فى حياة اليهود .. هو نقطة التحول التى قامت عليها الأساطير والخرافات والشرائع والأعياد والتقاليد اليهودية .. ورغم ذلك لم يتردد اليهود فى السخرية منه .. والتنكيت عليه .. وقد عاشت الأسطورة والنكتة جنباً إلى جنب .. فاليهود مثل شعوب هذه المنطقة عاشوا على النبوءات والمعجزات والنكات وعقّدوا حياتهم بكراكيب الماضى السحيق .. ثم سخروا منها.

وقد خرج اليهود من مصر خروجاً جماعياً فى شهر "نيسان" أو آبريل .. لذلك صدرت الأوامر من الرب بأن تبدأ السنة العبرية بهذا الشهر .. وفيه أهم أعيادهم .. عيد الفصح .. أو البيساح .. أو الفسح .. أى الفرج بعد الضيق .. والفسح كلمة عبرية تعنى العبور أو المرور .. وهم يحتفلون بهذا العيد بطريقة مؤلمة .. فلا يضعون الخميرة والملح فى الخبز .. بدعوى أنه لم يكن لديهم الوقت لذلك عند خروجهم من مصر .. وهم يتناولون طعاماً كريهاً أو نباتات شديدة المرارة ليتذكروا كيف كانت حياتهم فى العبودية.[1]

وهم يضعون على المائدة أربعة أقداح من النبيذ يشربها أفراد الأسرة .. وهى ترمز لوعد الله لهم بتخليصهم وإنقاذهم من مصر بنفسه .. دون وساطة .. وهناك قدح خامس لا يمسه أحد هو كأس النبى إيليا الذى سينزل من السماء قبل قدوم المسيح - المخلص .. وأمام مائدة الفصح توضع كنبة يضطجع عليها رب العائلة ليقص رواية الخروج .. ثم تكون التهنئة المعتادة : "نلتقى العام القادم فى أورشليم القدس" .. وهى تهنئة دينية تحولت إلى مؤامرة سياسية.

وأهم طقوس عيد الفصح ذبح شاة وتلطيخ أعتاب البيوت بها .. ويجب أكل لحمها مشوياً .. لا مطبوخاً بالماء .. وقد تطرف بعض اليهود فيما بعد فعجنوا فطير عيد الفصح بدماء بعض البشر .. وهناك الجريمة الشهيرة التى وقعت فى دمشق سنة ١٢٥٥ هجرية وذبح فيها الأب توما وخادمه إبراهيم عمار واستخدمت دماؤهما فى صنع هذا الفطير الذى يسميه اليهود "عجة" .. وقد حقق الجريمة وحفظها فى كتاب الدكتور شارل لوران وترجمه عن الفرنسية الدكتور يوسف نصر الله .. ولا يزال الكتاب يُطبع حتى الآن.

وفى التوراة شخصية أسطورية هى الملك عَوْج .. وهو عملاق نجا من الغرق فى زمن الطوفان لأنه مشى بجانب سفينة نوح .. وقد قابل سيدنا إبراهيم وهو يخبز فطير الفصح .. فلم يعرف أبو الأنبياء كيف يطعمه وهو يتغذى كل يوم بألف ثور وألف طائر ويشرب ألف صاع من الماء .. ويحكى عن الملك عوج أنه خُلع له ضرس فأخذه إبراهيم واستعمله سريراً لينام عليه .. مع أن إبراهيم كان عملاقاً .. فقد جاء فى التلمود أنه كان يأكل مثل ٧٤ شخصاً ويشرب بقدر شربهم.

أما الأكثر طولاً فكان آدم .. وفى التلمود أن رأسه كان فى السماء ورجلاه فى الأرض .. وإذا نام كان رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب .. لكنه عندما عصى الله نقص طوله حتى صار كباقى الناس.[2]

---

(١) يمكن الرجوع للإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج .. كذلك يمكن الرجوع لكتاب غازى السعدى : "الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود" .. دار الجليل - عمان.

(٢) المصدر : الكنز المرصود فى قواعد التلمود .. ترجمة الدكتور يوسف نصر الله - دار القلم - دمشق ١٩٨٧.

والحقيقة أن عيد الفصح هو عيد فرعونى وقد اغتصبه اليهود ونسبوه إلى أنفسهم بعد أن أضافوا إليه الكثير من الأحزان والأوجاع والدموع .. وهو نفس ما فعلوه بالختان .. فقد أخذوه من المصريين وحولوه من عادة صحية إلى طقس ضرورى من طقوس ديانتهم .. وقد نسبوا إلى أنفسهم كذلك أنهم كانوا أول الموحدين .. وأهملوا أخناتون صائغ التوحيد.

إنهم يغتصبون التاريخ ويدّعون ملكيتهم له .. وهو ما فعلوه فيما بعد بأرض فلسطين .. وطعام شعبها .. وفلكلوره .. ورقصاته الشعبية .. إنهم بارعون فى تهويد كل ما يضعون أيديهم عليه.

ورغم أن السنة العبرية تبدأ بشهر نيسان، فإن الاحتفال برأسها يكون فى مطلع شهر تشرى أو تشرين أو أكتوبر .. ويسمى عيد رأس السنة العبرية "روس هاشاناه" .. وهم يعتقدون أن فى هذا اليوم خلق الله العالم قبل ميلاد المسيح بـ ٣٧٦٠ سنة .. وهم يؤمنون بأنه يوم الحساب السنوى الذى تمر فيه المخلوقات جميعاً أمام الله "مثل قطيع من الأغنام" .. وبهذا العيد تبدأ أيام التكفير وهى ١٠ أيام تنتهى بيوم كيبور أو يوم الغفران .. أقدس أيامهم على الإطلاق .. وأسوأها أيضاً .. ففيه عبرت القوات المصرية قناة السويس بعد أن صامت ٢١٩٠ يوماً هى عمر الاحتلال الإسرائيلى لسيناء منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ .. فيه تعرفت مصر على وجهها فى مرايا سيناء .. وقرأت اسمها فى كتاب الشهادة وأبجدية الاقتحام وعلى معاطف جنودها المسافرين إلى الضفة الثانية للكبرياء .. وفى جراحهم المتلألئة تحت الشمس مثل أحجار الياقوت.

إنه يوم غفران عام ٥٧٢٣ عبرية .. أو ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ميلادية .. أو ١٠ رمضان ١٣٩٣ هجرية.

ولولا هذا اليوم لما ترك اليهود سيناء .. وخرجوا من مصر .. خروجهم الأخير.

لكن .. خروجهم الأول هو الأهم بالنسبة لهم، فهو قاعدة ديانتهم وأساسها ومنبع الوحى والإلهام .. ورغم ذلك ينكتون عليه .. فكل شىء عندهم مقدس .. وكل ما هو مقدس لا يخلو من السخرية.

إحدى هذه النكات تقول :

- لقد أخطأ موسى بلاشك ! .. لو أنه استدار إلى اليمين بدلا من اليسار لأصبح اليهود يملكون البترول الآن .. ولكان العرب يملكون عصير البرتقال.

وفى نكتة يهودية أخرى سؤال :

- لماذا أعطى الله وصاياه لليهود فى لوحين منفصلين.

والجواب :

- إن الله حاول أن يعطى الوصايا العشر فى لوح واحد للألمان، لكنهم قالوا : كيف تقول لنا لا تقتلوا... القتل فى طبيعة الإنسان .. ورفضوا أخذ الوصايا .. فحاول أن يعطيها للفرنسيين، فقالوا .. كيف تقول لنا لا تزنوا ؟ .. إن الحب أجمل شىء فى الوجود .. ورفضوا أخذ وصاياه ..

وأخيراً جاء الدور على اليهود فسألوه : كم ثمن اللوح ؟ فقال لهم : مجانى .. عندئذ قالوا له : أعطنا لوحين.

الوصايا العشر هى : (١) أنا السيد الإله آتيت بك من مصر لا تشرك بى آحداً. (٢) لا تضع أنصاباً أو تماثيل للإله. (٣) يوم السبت يوم مقدس. (٤) لا تذكر اسم الله بالباطل. (٥) أكرم أباك وأمك. (٦) لا تقتل. (٧) لا تزن. (٨) لا تسرق. (٩) لا تشهد زوراً. (١٠) لا تشته ما لغيرك.

وهذه الوصايا هى أساس الشريعة اليهودية وقد نزل بها موسى من الجبل بعد لقاء ربه ولكنه وجد اليهود يرقصون حول العجل الذهبى، فألقى موسى بالألواح المحفور عليها الوصايا العشر فتحطمت .. فعاد موسى مرة أخرى إلى ربه ومكث عنده ٤٠ يوماً .. وعاد بعدها بلوحين جديدين وُضعا فيما بعد فى تابوت العهد.

ويعتقد بعض الحاخامات أن الوصايا العشر عُرضت على كل الشعوب فأبوا أن يحملوها وحملها الشعب اليهودى وحده .. وهذا فى رأيهم سر أن اليهود شعب الله المختار .. أو المحتار .. أو المختال .. أو المحتال .. والكلمات الثلاث الأخيرة من عندنا .. لكننا لا نتصور أنهم يغضبون فقد تعودوا على مزاج القداسة بالسخرية.

****

كان يانكل اليهودى فى حاجة ماسة إلى المال .. دائنوه يضغطون عليه .. وزوجته تطارده بمطالب البيت .. وأولاده يلحون عليه بمصاريف البيت .. وفى يأسه ذهب إلى المعبد ورفع يده إلى السماء قائلاً :

- يا إلهى أعطنى ١٠ آلاف دولار وأعدك ويدى على التوراة أن أتبرع بنصفها لأعمال الخير.

انتظر عدة دقائق .. وعندما لم يتلق رداً من فوق استطرد قائلاً :

- إلهى .. وإذا كنت لا تصدق أننى أنوى أن أعطيك نصف المبلغ لأعمال الخير .. أعطنى فقط ٥ آلاف دولار .. واحتفظ بالباقى لتوزعها بنفسك على الفقراء.

****

وفى قرية روسية بعيدة قرر يهودى شديد الفقر أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن يظل بها علي قيد الحياة هى التماس العون من الله .. فجلس وكتب خطاباً قصيراً إلى الله قال فيه :

إلهى العزيز :

إذا لم ترسل لى بعض الروبلات سأتضور جوعاً.

وألقى الرجل بالخطاب فى الهواء لتحمله الريح إلى السماء لكن أحد المارة وجد الخطاب فحمله إلى ساعى البريد الذى حمله بدوره إلى العمدة الذى أثر فيه الخطاب فطلب من ساعى البريد

أن يحمل إلى الرجل ٥٠ روبل من جيبه.

بعد أيام وصل خطاب آخر لساعى البريد حمله أحد المارة أيضاً وفيه يقول اليهودى الفقير:

إلهى العزيز :

شكراً على الخمسين روبل ولكنى أرجوك لا ترسل النقود عن طريق مكتب البريد أو الحاكم فربما يحتفظ هؤلاء اللصوص بنصف المبلغ.

****

وفى حجرته فى أحد فنادق نيويورك فتح اليهودى التوراة .. وعلى الصفحة الأولى قرأ :

"إذا كنت مريضاً اقرأ المزمور ١٨ وإذا كنت تعانى من مشاكل أسرية اقرأ المزمور ٤٥ وإذا كنت وحيداً اقرأ المزمور ٩٢".

ولأنه كان وحيداً فتح المزمور ٩٢ وراح يقرأه .. لكنه لاحظ أسفل الصفحة كلمات مكتوبة بخط اليد تقول :

"إذا كنت لاتزال وحيداً اتصل برقم ٣٩٤ – ٥ فى هوليوود واسأل عن أيدا".

****

وفى نيويورك أيضاً عينوا حاخاماً متعجرفاً فى معبد جديد .. وفى أول صلاة بدأ المرتل بكلمة "الله" فوقف المصلون .. فهب الحاخام غاضباً :

– هذه وقاحة .. إننى لم أعط الإذن بالوقوف.

فقال المرتل :

– ولكن كلمة "الله" ... إن .. من المفترض ....

قاطعه الحاخام صارخاً :

– لا تقل لى .. ولكن .. من الذى يتولى الأمر هنا أنا أم الله ؟

****

حاخام آخر تقدم لشغل منصب فى معبد لجماعة برونكس بعد أن ترك معبداً لجماعة بروكلين .. فقام رئيس جماعة برونكس بالشىء التقليدى .. وكتب خطاب استفسار وتحرى عن الحاخام أرسله لجماعة بروكلين .. وبعد فترة جاء الرد :

"يمكننا بسهولة أن نقارن حاخامنا السابق بموسى .. بشكسبير .. وبالرب الأب" !

تأثرت جماعة برونكس وسعدت بهذا الإطراء المتوهج .. وعينت الحاخام فوراً .. ولكن بعد وقت قصير اكتشفت أن حاخامهم الجديد دون المستوى .. فاغتاظ رئيس الجماعة وكتب خطاب توبيخ لجماعة بروكلين .. اتهمهم فيه بالغش والتضليل .. وطلب تفسيراً لما قالوه .. وبعد فترة وصلهم الرد التالى :

" لماذا التوبيخ .. إننا لم نغشكم .. فقد أجبنا على الأسئلة بنية حسنة .. حاخامنا السابق يمكن مقارنته بموسى لأنه لا يتحدث الإنجليزية .. ويمكن مقارنته بشكسبير لأنه مثله يتحدث وكأن هناك حصوات تدور فى فمه .. ويمكن مقارنته بالرب الأب .. لأنه مثله ليس إنساناً بكل تأكيد".

****

وحدث آن مات يهوديان ووصلا إلى بوابات السماء المصنوعة من اللؤلؤ وسألا حارسها القديس بطرس :

- هل يمكننا الدخول ؟

فطردهما قائلاً :

- غير مسموح لكما بالدخول.

ثم ذهب ليحكى إلى يسوع المسيح الذي لامه على تصرفه وأمره بالعودة إليهما ليدخلهما الجنة .. وذهب بطرس مسرعاً .. ثم عاد إلى يسوع قائلاً :

- لقد اختفوا.

- من ؟ اليهوديان ؟

- لا .. بوابات السماء !

****

وعلى الأرض .. كان القس يتجول فى كنيسته عندما وجد ثلاثة أطفال يلعبون .. منهم طفل يهودى .. فتوقف وقال لهم :

- سوف أعطى دولارين لمن يخبرنى .. من هو أعظم إنسان على وجه الأرض ؟

فكر الأطفال قليلاً ثم قال أحدهم :

- الرئيس الأمريكى.

فقال القس :

- بالتأكيد .. فهو رجل صالح ولكنه ليس الأعظم.

قال الطفل المسيحى الثانى :

- إنه القديس باتريك لأنه أدخل المسيحية إلى أيرلندا.

فقال القس وهو يعيد الدولارين إلى جيبه :

- إنها إجابة جيدة ولكنها ليست الصحيحة.

عندئذ قال الطفل اليهودى :

- إنه يسوع المسيح.

اندهش القس ودفع الدولارين إلى الطفل .. ثم قال :

- يا إسحق .. لابد أن أتباع ديانتك لا يؤمنون بذلك.

- لا يا سيدى .. أنا أعلم أن موسى هو الأعظم .. لكن "بيزنس إز بيزنس".

****

كانت السيدة فنكل تنشر غسيلها عندما اقتربت منها جارتها الثرثارة وقالت :

- أكره أن أفضى إليك بالسر الشائع .. هناك من يقول بأن زوجك فى هذه السن يطارد الفتيات .. ألم يبلغ الخامسة والستين ؟

- بلغ فعلاً الخامسة والستين .. فدعيه يطارد الفتيات .. الكلاب تلاحق العربات بمطاردتها ولكنها عندما تمسك بها .. هل يمكنها قيادتها ؟

****

ديفيد فريدمان صاحب محلات رويال فير الكبرى رجل متزوج ولكنه هام حباً بسكرتيرته التى لم تكن تطيقه .. صدته مرات ومرات ولم يغير حبه .. وفى يوم أصر على حسم الأمر لصالحه .. فقال لها :

- قولى الكلمات الثلاث التى أطير بها سعادة وأمشى بها فى السماء وأغنى فوق السحاب .. قولى.

رفعت إليه عينيها الباسمتين وهمست :

- اذهب فاشنق نفسك !

****

هبطت ثروة على السيدة فيس .. ولأنها تحب المظاهر ومدعية ومن عشاق الثقافة السطحية فقد قررت أن تدخل عالم المبدعين العريض بقدمين عاريتين .. وأول ما شطحت .. نطحت .. فقد زارت بيكاسو للتعرف - كما قالت - على أحدث ما أبدعته أصابعه .. وفى بيته مرت على جميع اللوحات ولم تبخل على أى منها بنفس التعليق :

- أوه مستر بيكاسو.

لم تقل غير هذه العبارة .. ولكن يبدو أن لوحة بالذات اختصتها بكل اهتمامها .. وانتباهها .. كانت اللوحة مثبتة فوق الباب .. صاحت مبهورة :

- آوه مستر بيكاسو .. هذا هو ما أسميه أنا بالتحفة .. أرى حلماً من العذوبة وعذوبة من الأحلام .. والألوان .. أوه .. فن يجنن .. يلحس يا مستر بيكاسو .. اللمسة الخفيفة التى أراها تجعلنى تواقة إلى التحليق حتى سقف الحجرة .. أوه ماذا أسمى هذا مستر بيكاسو .. ماذا أسمى تلك اللوحة الرنانة بالموسيقى الغامضة ؟

رد المستر بيكاسو ببرود :

- تسميه جهاز التكييف يا سيدتى.

****

إن هذه النكات وغيرها اخترعها أو جمعها أو سرقها أو حورها يهود .. فكثير منها سمعناه عن شعوب أخرى .. لكن .. المثير للدهشة أن اليهود هم الذين اهتموا بتسجيلها ونشرها .. وكأن ذلك أعطاهم الحق فى ملكيتها .. وقد كسبوا من وراء ذلك حضارة وثروة ... "بيزنس إز بيزنس".

وقد كنت فى نيويورك بصحبة الكاتب السياسى عبد الستار الطويلة ورئيس تحرير "الأهالى" عبد العال الباقورى .. فى سنة ١٩٩٥ لمدة يومين بعد رحلة إلى واشنطن لتغطية إحدى الزيارات الرسمية للرئيس حسنى مبارك .. وعلى رصيف أحد شوارع نيويورك وجدت كتاباً بعنوان "موسوعة النكتة اليهودية" تأليف هنرى سبالدنج .. وقد اشتريته بدولارات قليلة .. فالكتاب يباع على عربة "روبابيكيا" وإن كانت الفتاة التى تجرها ليست كذلك .. وكان يمكن أن أشترى الكتاب بأى ثمن .. فقد لفت نظرى وشد انتباهى وأثار فضولى وأنا فى أحد صالونات "بلير هاوس" .. استراحة ضيوف الرئيس الأمريكى الرسمية المواجهة للبيت الأبيض .. وكنت مع رؤساء تحرير الصحف المصرية فى انتظار الرئيس حسنى مبارك بعد انتهاء الزيارة وقبيل عودته إلى القاهرة .. كان الكتاب بارزاً فوق أحد الرفوف المملوءة بالكتب والأنتيكات .. لكننى من باب اللياقة والبروتوكول لم ألمسه.

وكان من الطبيعى أن يغرينى الكتاب بمتابعته، فأنا من المهتمين بدراسة النكتة وكنت أول من كتب عنها فى مصر .. كتاب .. النكتة السياسية - كيف يسخر المصريون من حكامهم" .. وكان مصدر إلهام لكتب أخرى صدرت فى العالم العربى .. وإن لم يشر معظم مؤلفيها لما فعلت ..

وهى عادة شرقية فى التأليف.

وهنرى سبالدنج صحفى ورجل أعمال وناشر .. عاش فى الحى الفقير فى نيويورك مع أبويه اليهوديين المهاجرين من بولندا .. وقد راح يجمع كل ما سمعه من حكايات ونكات من اليهود وعنهم .. ونشره فى هذا الكتاب بمقدمة خاطفة لا تتوقف بالبحث والتحليل .. فهو لا يريد أن يجلب لنفسه ولنا الصداع.

فى ذلك اليوم استهوتنى فكرة تأليف كتاب عن النكتة اليهودية .. لا ينشرها فقط وإنما يحللها ويفحصها .. ويضعها فى مناخها الدينى والسياسى والتاريخى المناسب .. وهو ما يعنى أن تقرأ مئات الكتب عن اليهود قبل أن تكتب عن نكاتهم .. ولم أجد صعوبة فى ذلك .. فاليهود وإسرائيل هم جزء إجبارى من اهتمامى .. واهتمام أى كاتب سياسى .. أو مواطن عادى .. ولكن اهتمامى كان أكبر لأننى ألفت كتاباً بعنوان "تحت جلد إسرائيل" .. غصت فيه فى أعماق المجتمع هناك.

على الفور سارعت باستغلال الوقت فى البحث عن مراجع إضافية فى مكتبات نيويورك .. ووجدت ١٥ كتاباً آخر عن النكتة اليهودية .. وفى كومبيوتر إحدى المكتبات اكتشفت وجود ٢٥ كتاباً غيرها نفدت طبعاتها .. وعبر الإنترنت تأكدت أن فى مكتبة الكونجرس ١٢٥ كتاباً عنها .. وهو ما يعنى وجود ما لا يقل عن ٣٠ ألف نكتة يهودية مسجلة ومطبوعة .. غير البذىء منها الذى لم يُسجل .. وهو رقم كبير جداً .. يثير الشك والريبة ويوحى بأن جزءاً كبيراً منها سرقوه من شعوب أخرى .. فالنكتة لا تتمتع بحقوق الملكية الفكرية .. ولا بحق الأداء العلنى .. وعندما يسطو اليهود على نكات العالم فهم يقولون .. نحن الأقدم حضارة .. والأخف ظلاً .. والأكثر شجاعة .. فالنكتة صورة قاسية من نقد الذات وكشف العيوب والعورات.

****

إن أول نكتة أو دعابة فى كتاب هنرى سبالدنج معروفة لدينا منذ كنا أطفالاً نجلس لنستمع إلى الراديو قبل أن يصل التليفزيون .. الوحش الجميل الملون.

فى سالف العصر والزمان كان يعيش رحالة حالم اسمه شاءول .. يحب الأسفار .. ويعشق المغامرة واختراق المجهول .. التقى يوماً برحالة آخر .. حكى له عن مغامراته فى بلاد عجيبة .. بعيدة .. لا يعرف أهلها البصل.

فكر شاءول فيما قاله الرحالة .. بلاد لا تعرف البصل ؟ .. كيف ؟ .. هل يطيب لهم طعام بدون هذه الثمرة الشهية ذات الرائحة النفاذة ؟ .. وبلا تردد ملأ عربة بصلاً وشد الرحال إلى هذا البلد الذى وصله بعد شهور .. واتجه على الفور إلى قصر الحاكم وكان ملكاً وطلب مقابلته .. وقال له:

– يا صاحب الجلالة .. لقد أحضرت لك صنفاً جديداً شهياً من الخضروات .. له قدرة مذهلة

على إضفاء نكهة ساحرة على أطباقكم الملكية .. تفضل جلالتكم وتناول بصلة .. اقبل هديتى.

وبعد تردد وافق الملك قائلاً :

- ولكن بشرط .. إذا ثبت أن البصل مؤذٍ ستفقد رأسك.

وفى المساء نجحت التجربة وتذوق كبار رجال الدولة ورجال الدين والوزراء والحاشية الطعام بالبصل باستحسان ولذة وأعلن الملك أنه قبل هدية شاعول وأنه يعطيه وزن هديته من البصل ذهباً مكافأة له.

وعاد شاعول إلى بلده وهو يقفز فى الهواء من السعادة وحكى للناس ما جرى، والتقط واحد منهم ثرى وطماع اسمه كولبوى الفكرة .. قال لنفسه الثوم أغلى من البصل وألذ .. ماذا لو حملت لهذا الملك الأبله حمولة مركب منه .. قطعاً سيعطينى وزن الثوم ماساً.

ونجح كولبوى فى إقناع الملك بالثوم .. بل إن الملك استحسنه أكثر من البصل .. فعقد اجتماعاً مع حكومته لبحث كيفية مكافأة هذا الرجل النبيل الذى أهداهم الثوم .. وطالت المناقشة ساعات وساعات وهم حائرون فى تحديد المكافأة المناسبة .. وأخيراً صدر القرار بالإجماع أن الذهب لن يكون مكافأة مناسبة لهدية كولبوى العظيمة .. ولا الماس .. ولا الياقوت .. يجب أن نقدم له أغلى ما فى الجزيرة وأثمن مافى المملكة .. وعاد كولبوى إلى بلاده وهو يحمل هدية الإمبراطور .. خمس زكائب من البصل.

إنها تشبه القصة الإذاعية القديمة "السلطانية" .. فالأقدار دفعت رجلاً فقيراً - كان يحمل فى يده سلطانية فارغة ليشترى فيها فولاً لأولاده - إلى جزيرة مهجورة .. وقد أهداها لحاكم الجزيرة عربون محبته .. وقد وضعها الحاكم على رأسه كتاج للجزيرة .. وكافأه بأطنان من الذهب والماس .. وغار منه شقيقه الغنى الجشع .. فباع كل ما يملك ليشترى هدايا ثمينة لحاكم الجزيرة وحاشيته .. ولم يجد الحاكم ما يكافئه به سوى أن يخلع عليه تاج الجزيرة ... السلطانية.

ولا نعرف أيهما سرق القصة من الآخر .. وإن كانت قصة الإذاعة المصرية أقدم وأمتع .. ولكن .. ربما كان هناك مصدر ثالث .. فالشعوب تتداخل .. والحضارات تتزاوج .. ويصبح المؤلف الحقيقى لمثل هذه الأساطير والنكات .. مجهولاً.

****

إن كثيراً من النكات التى ينسبها اليهود لأنفسهم سبق أن سمعناها .. ولكن بعد نزع اليهود منها .. وإضافة آخرين إليها.

قال إسرائيلى لآخر :

- ما الذى يجب أن نفعله لنعلن الحرب على أمريكا ؟

– ماذا تقول ؟ هل آنت مجنون ؟ سوف يدمروننا.

– أعلم ذلك .. وعندئذ سوف يعطوننا الكثير من المال لإعادة البناء .. ومن يعلم ؟ ربما يجعلوننا الولاية رقم ٥١ لهم.

– حسناً .. ولكن ماذا سيحدث إذا كسبنا نحن الحرب ؟

أظن أن النكتة قديمة .. ومعروفة .. وعندما سمعناها أول مرة كانت خالية من اليهود ومنسوبة إلى غيرهم.

****

وأظن أن النكتة التالية معروفة أيضاً .. ويمكن أن تكون غير يهودية بسهولة بعد نزع كل ما هو يهودى منها.

دخل الزوج على زوجته غاضباً ثائراً :

– لابد من مدرس عبرى (أو عربى) جديد لطفلنا .. ذهبت اليوم إلى المدرسة فوجدت المدرس العجوز لا يصلح.

– كيف ؟ .. إن كل الآباء يقولون أنه مدرس جيد .. لقد ظل يدرس مادته طوال عشرين عاماً.

– تلك هى المشكلة الحقيقية. فإن رجلاً يظل يدرّس طوال عشرين عاماً أمر مشكوك فيه .. فالمدرس الحقيقى لا يستطيع أن يستمر سنة أو سنتين بدون أن يصاب بضغط الدم أو وجع فى القلب.

****

وأظن أن النكتة التالية تخضع لنفس الشىء كذلك.

البيضة أم الفرخة ؟ .. السؤال الأبدى .. طرح نفسه فجأة أمام مجموعة من طلاب يهود .. قال أحدهم :

– اليهودية تعرف الإجابة الحاسمة عن هذا السؤال اللغز .. جاءت الفرخة فى البداية وإلا ما كانت هناك بيضة ترقد عليها .. أما الفرخة الأصلية فهى من خلق الله.

اعترض طالب آخر :

– عندى سؤال .. من أتى أولاً الطبيب أم المحامى ؟

ضربوا أخماساً فى أسداس .. وعندما فشلوا لجأوا إلى الحاخام الذى قال :

- جاء الطبيب قبل المحامى.

- كيف ؟

- لأن الطبيب كان ضرورياً ساعة أن خلق الإنسان .. عندما خرجت حواء من ضلوع آدم .. أما المحامى فلم يخلق إلا بعد أن قتل قابيل هابيلا.

****

لكن .. يمكن أن تكون هذه النكتة يهودية .. يهودية.

فى جامعة هارفارد الشهيرة طلب أستاذ علم الحيوان من طلابه ومن بينهم أجانب أن يعدوا بحثاً حول الفيلة.

كتب طالب ألمانى : "مقدمة فى دراسة الأفيال".

وكتب طالب فرنسى : " الحب عند الأفيال".

وكتب طالب إنجليزى : "صيد الأفيال".

وكتب طالب كندى : "كيف تربى أفيالاً أفضل".

وكتب طالب يهودى : "الأفيال والمشكلة اليهودية".

****

ويدعى هنرى سبالدنج أن الفكاهة اليهودية عمرها ٣٥ قرناً .. ويقول : إنها أقدم فكاهة مدونة عرفها الإنسان .. لكنه لا يعرّف ما هى الفكاهة اليهودية .. لأنه لا يعرف قبل ذلك من هو اليهودى؟ .. فكيف نعرف أن هذه النكتة يهودية إذا كنا لا نعرف من هو اليهودى؟ ..

ولا يكفى أن يكون بطل النكتة يهودياً لتصبح النكتة يهودية .. لأنه لا يكفى أن نضع اسم فندق على سجن ليصبح السجن فندقاً ؟

ويحاول سبالدنج أن يهرب بخفة ظله من هذه المشكلة المعقدة التى لاتزال تشغل اليهود، عندما يقول : "أنا يهودى لأننى يهودى" !

ويروى نكتة عن امرأة عجوز اقتربت من رجل أشقر الشعر، أزرق العينين، رشيق القوام،

وبادرته قائلة :

- عفواً سيدى يبدو أنك يهودى.

نظر إليها الرجل باحتقار قائلاً :

- لا يا سيدتى لست يهودياً.

- لكنى أعتقد أنك كذلك.

- لا .. لست كذلك.

- هل أنت متأكد أنك لست يهودياً ؟

وزهق الشاب من الحوار والإصرار فقال :

- نعم .. أنا يهودى .. ماذا تريدين ؟

فردت المرأة :

- هذا شىء مضحك فلا يبدو عليك أنك يهودى !

****

والحقيقة أن مشكلة من هو اليهودى هي مشكلة إسرائيل المزمنة وقد شغلتها منذ تأسيسها فى عام ١٩٤٨ .. فقد حكم عليهم الله بالشتات والتيه عقاباً لهم على عصيان موسى .. وتفرقوا فى الأرض .. بعد أن فرض الله عليهم السحق .. فأصبحوا مثل "شكارة" رمل نُثرت من الجو على الكرة الأرضية .. وقد جاءوا إلى إسرائيل مهاجرين من ٧٠ دولة .. ومنتمين إلى ٨٨ طائفة .. فكان من الصعب التأكد من أنهم يهود.

وقد عدلت إسرائيل قانون من هو اليهودى ١٥ مرة، وهو ما تسبب فى استقالة الحكومة والمحكمة العليا أكثر من مرة .. ولايزال القانون فى حاجة إلى تعديل .. لكن الحكومة تخاف أن تقترب من هذا اللغم شديد الانفجار. (٣)

ولو طبقت إسرائيل التعريف الأرثوذكسى المتشدد لليهودى فإن ٨٠ ٪ من يهود العالم سيخرجون من اليهود .. أما التعريف الأوسع والأرحب فهو أن اليهودى هو من كانت أمه يهودية أو تهود حسب الشريعة اليهودية (الهلاخاه) ولم يكن منتسباً إلى دين آخر.

والمثير للدهشة .. وربما السخرية أيضاً .. أن التعريف الأرثوذكسى لمن هو اليهودى لا ينطبق على الآباء الأولين لبنى إسرائيل. فإبراهيم ولد من أم غير يهودية وتزوج من غير اليهوديات ..

كذلك إسحق ويعقوب وشاءول وداود وسليمان وكثير من مشاهير اليهود .. يصبحون بهذا التعريف غير يهود، لأنهم وُلدوا وتزوجوا من غير اليهوديات .. ولو كانوا أحياء الآن لما انتفعوا

---

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع غازى السعدى - المرجع السابق. ود. عبد الوهاب المسيرى : "حاضر الصهيونية ومستقبلها ".

بقانون العودة الإسرائيلى ولما حصلوا على جنسية الدولة العبرية إلا إذا تهودوا .. أى أدوا طقوس اليهودية.

وتختلف طقوس تهود الرجال عن النساء .. فالرجال يتعرضون لعملية الختان والغطس الشعائرى .. أما النساء فيتعرضن لطقس الاستحمام الشعائرى وهن عرايا تماماً.

ويقول غازى السعدى فى كتابه السابق الإشارة إليه أن ديفيد بن جوريون – أول وأشهر رئيس وزراء فى إسرائيل – آثار عام ١٩٦٤ فضيحة حول الاستحمام الشعائرى .. فقد رفض أن تدخله المرآة عارية تماماً تحت أنظار الحاخامات .. وطالب بستر العورة على الأقل واكتسبت هذه القضية جدلاً واسعاً بسبب ارتفاع نسبة النساء "المتهودات" التى تتجاوز ٦٠ ٪ من جملة طلبات التهويد .. وتفسير ذلك أن التهود أكثر لزوماً للمرأة من الرجل، وذلك لأن مستقبل أى أسرة يرتبط حسب تعريف "من هو اليهودى" بديانة الأم لا بديانة الأب.

وقد آثار النقاش حول : "من هو اليهودى" جدلاً حول العلاقة بين الدين والقومية .. أوبين الدين والجنسية .. وبينما يبدو المتدينون أكثر انغلاقاً .. يرى أكثر من نصف العلمانيين فى استفتاء جرى بهذا الشأن أن اليهود هم : (١) الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً. (٢) الذين يسكنون إسرائيل ويعطون ولاءهم للدولة. (٣) من كان أحد أبويه يهودياً.

وعبر عن هذه الحقيقة المرة أحد الجنود الذى فقد ساقه خلال حرب ١٩٧٣ وكان من أب يهودى وأم مسيحية .. فبعث إلى رئيسة الوزراء جولدا مائير هازئاً ومستنكراً :

– كيف أننى إسرائيلى ١٠٠ ٪ وكسيح ١٠٠ ٪ ثم إننى يهودى ٥٠ ٪ فقط ؟

ويبقى السؤال الذى طرحناه بلا إجابة .. كيف نعرف أن هذه النكتة يهودية فى حين أن اليهود أنفسهم لا يعرفون من هو اليهودى ؟

****

المعروف أن اليهودية تحرم منع الحمل .. والمعروف أن اليهوديات الشرقيات ينجبن أكثر .. وهناك نكتة أُطلقت على ديفيد ليفى نائب مناحم بيجن فى رئاسة الحكومة ووزير الخارجية فى حكومة بنيامين نتنياهو فيما بعد .. وهو يهودى شرقى من أصل مغربى .. ولقد أنجب هو وزوجته راشيل الكثير من الأطفال لا يعرف عددهم بدقة .. وتقول النكتة .. أنه كان يتنزه مع أسرته فى أحد الأيام فإذا بزوجته تقول :

– "ديفيد .. ديفيد .. لقد سقط أحد أطفالنا الصغار فى الوحل .. هل أنظفه .. أم ننجب غيره؟"

****

كانت المدرسة اليهودية الشابة مهتمة جداً بتحفيظ تلاميذها أسس ومبادىء الاشتراكية فى إحدى المدارس الروسية قبل انهيار الاتحاد السوفيتى .. قالت :

- تذكروا دائماً أيها الصغار الأعزاء أن الاشتراكية رمز الحرية والمساواة والإخاء. حفظ الصغار هذا الدرس عن ظهر قلب إلا "آبى" الذى توقفت به ذاكرته عند الحرية والمساواة فقط. فكرت المدرسة فى حيلة تجعله يتذكر "الإخاء" فأعطته ثلاثة أزرار وقالت له :

- خذ هذه معك وفى كل مرة تنظر إليها سوف تتذكر مبادىء الاشتراكية الثلاثة.

فى يوم الأحد التالى سألته المدرسة عما إذا كانت الأزرار ساعدته على الحفظ فرد آبى سعيداً :

- بالطبع .. إنها ترمز إلى الحرية والمساواة.

خاب آمل المعلمة :

- وماذا حدث للإخاء ؟

- آه الإخاء .. لقد خاطته آمى فى بنطلون أبى القديم.

****

عاد سام يوماً من المدرسة مبكراً عن بقية زملائه فسألته أمه وقد أخذتها الدهشة عن سر خروجه قبلهم .. فقال :

- قالت المعلمة أننى محتاج إلى حمام !

خطفت الأم حقيبة يدها فى غضب وبعد قليل كانت أمام المعلمة تصرخ فيها :

- اسمعى .. إن أحداً لم يقل آن ابنى زهرة .. لكننى جئت به إلى المدرسة لكى تعلميه .. لا لتشميه.

****

فى المدرسة الخاصة بأولاد الأغنياء كانت بيللا هى الفتاة اليهودية الوحيدة فى فصلها .. وكانت لها صديقة يونانية متدينة .. حل موعد الامتحان ثم ظهرت النتيجة ونجحت بيللا بدرجة جيد ورسبت اليونانية بدرجة ضعيف .. قالت لبيللا :

- لا أستطيع آن أفهم ما حدث .. فقبل الامتحان أشعلت الشموع للقديس سانت بطرس وسانت بارناباس وقديسين آخرين .. وانظرى كيف كانت النتيجة ؟

قالت بيللا :

- آنا أيضاً أشعلت الشموع.

- ايه ؟ .. يهودية تشعل الشموع ؟ .. لمن ؟

- ليس لأحد .. أشعلتها وسهرت أستذكر دروسى عليها !

****

جاهل متحذلق حضر حفلاً دُعى إليه كبار العلماء فى العالم .. ومن بينهم ألبرت أينشتاين .. وفى محاولة من الجاهل المتحذلق لجذب انتباه عالم الفيزياء الشهير سأله :

- قل لى يا دكتور آينشتاين .. ما هو الفرق بين الزمن والدهر ؟

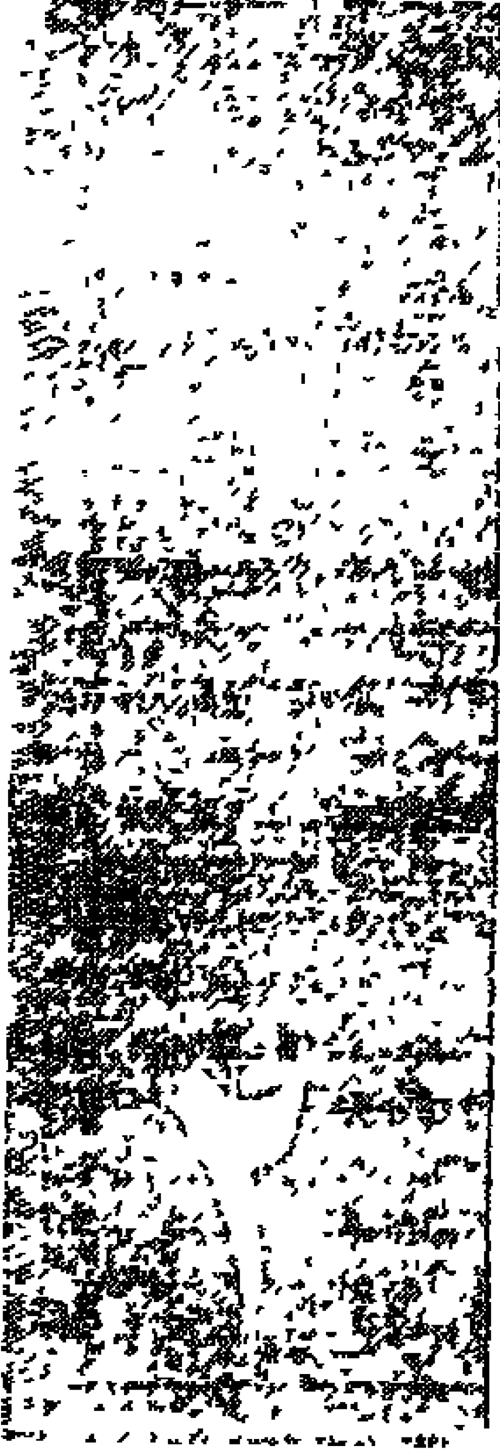
رد آينشتاين :

- شوف يا سيدى .. لو آننى استغرقت زمناً فى شرح الفرق لقضيت دهراً حتى تفهمه.

****

س : ما هى النكتة اليهودية ؟

جـ : هى النكتة التى ينسبها اليهود لأنفسهم !



معجزة الرب
فى جيب الحاخام !

"اليهود هم ملايين من البشر، يشتركون فى ديانة واحدة، ومجموعة من التعاليم الروحية، والتقاليد الأسطورية، ويتمتعون بعلاقات ثانوية ولكنها هامة مع بعضهم البعض" ... ولكن .. هنرى سبالدنج الموسوعى فى النكتة اليهودية يستطرد : "إن هذا التبسيط مبالغ فيه بالتأكيد .. ولكن بالنسبة لموضوع يتسم بخفة الظل والاسترخاء والمتعة مثل موضوع النكتة اليهودية أتمنى أن يكون كافياً".

والمقصود .. أن من يقرأ النكات اليهودية ويبتسم .. هو حر .. أو من يقرأها ويفكر ويتأمل .. هو حر .. فلا أحد يتدخل .. ولا أحد يضرب أحداً على يده أو على رأسه .. فالنكتة قادرة على الوقوف بنفسها دون معاونة من أحد .. ثم إنها مسئولية من يضحك عليها .. أو يلقى بها فى سلة العبوس والنسيان.

****

جلس قس كاثوليكى وقس بروتستانتى وحاخام يهودى يناقشون كيفية اقتسام مال التبرعات من المؤمنين.

قال القس الكاثوليكى :

- أنا أرسم دائرة على الأرض وألقى المال فى الهواء .. الذى يقع فى الدائرة أحتفظ به .. والباقى هو نصيب الرب .. أعطيه للفقراء.

وأيد القس البروتستانتى طريقته.

لكن الحاخام قال :

- الأمر أبسط من هذا .. أنا ألقى المال كله فى الهواء .. ما يريده الرب يحتفظ به .. أما ما يقع على الأرض فهو نصيبى أنا.

****

دخل حاخام وقس فى مناقشة لاهوتية حادة.

قال القس :

- بالطبع .. ممارسة الجنس عمل وليس متعة .. إنه عمل الله من أجل تحقيق شريعته.

قال الحاخام معترضاً :

- لا .. لا .. إنه متعة .. ولولا ذلك لما استمر الجنس البشرى فى البقاء.

واتفق الاثنان على مواصلة الحوار بعد شهر استشارا فيه رؤساءهما .. وعندئذ قال القس :

- لقد حسم الأمر الأسقف والكاردينال وكلهم اتفقوا على أنه عمل.

فرد الحاخام :

- لا .. كبير الحاخامات أيد رأيى .. والمسألة لها منطق .. لو أن الجنس مجرد عمل لكلفنا الخدم للقيام به.

****

ودخل قس كاثوليكى وآخر بروتستانتى وحاخام فى مناقشة حامية عن طبيعة المعجزات ... قال القس الكاثوليكى :

- سأحكى لكم تجربتى الشخصية مع المعجزات .. كنت فى رحلة فى جبال الألب عندما حدث انهيار جليدى مرعب ودُفن كل من كانوا معى تحت الأنقاض، وكانت هناك صخرة تسقط فى اتجاهى عندما صليت لله .. وفجأة توقفت الصخرة وتوقف الانهيار وأشرقت الشمس .. ونجوت بسهولة.

قال الآخرون :

- رائع .. مذهل.

ثم حكى القس البروتستانتى تجربته المعجزة :

- كنت فى قارب فى بحر الشمال مع بعض أفراد رعيتى عندما هبت عاصفة قوية أغرقت القارب وكل من فيه .. عندئذ صليت لله .. وفجأة وجدت طوق نجاة وطوافة خشب وتوقفت العاصفة .. ونجوت.

قال الحاخام :

- رائع .. مذهل .. ولكن اسمعوا قصتى .. كنت عائداً من طقوس الصلاة يوم السبت .. اليوم الذى تحرم فيه أية تعاملات مالية من أى نوع .. وفجأة رأيت على جانب الطريق محفظة صغيرة أنيقة فتحتها فوجدتها مليئة بالنقود .. ولم أستطع أن ألمسها .. ويا للمأساة .. عندئذ صليت لله .. فهل تعرفان ما حدث .. فجأة أصبح اليوم الأربعاء.

****

منذ أسبوع واحد فقط جاءت جولدى إلى أمريكا .. واليوم اصطحبها ابن عمها روبين لمشاهدة المعالم الثقافية والأثرية فى نيويورك مزهواً بخبرته التى تمتد إلى سنة فى هذه المدينة .. زارا معاً متحف الفنون وحديقة برونكس الشهيرة وتمثال الحرية .. وأخيراً ذهبا إلى ريفر سايد درايف لمشاهدة مقبرة جرانت .. وهناك شرح روبين لجولدى :

- ها هنا يرقد الرئيس الأسبق يوليس جرانت ....

انبهرت جولدى بابن عمها .. ولكنها انبهرت أكثر بالمقبرة الهائلة - فسألته :

- قل لى .. لماذا هذا الارتفاع الشاهق ؟

ارتبك روبين وهرش فى رأسه قليلاً ثم قال فى آستاذية وثقة :

- أعتقد آن السبب هو أن جرانت قد دُفن واقفاً !

****

قال ديفيد بن جوريون :

- الأمريكيون سلالة غريبة من البشر .. إنهم يخصصون يوما واحداً فى العام للآباء .. وأسبوعاً بأكمله للطرشى.

****

لم يكن اليهودى الفقير المصمم على الهجرة إلى أمريكا يملك المال الكافى لأجرة السفينة .. والمكان الوحيد الذى يمكنه آن يحصل على مساعدة مالية منه هو المنظمة اليهودية فى موسكو .. ولكن من أين له النقود للسفر إلى موسكو .. والمسافة طويلة .. وليس هناك سوى وسيلة واحدة للوصول إلى موسكو هى آلا يدفع الأجرة .. هى أن يضع نفسه فى القطار .. ويسلم أمره إلى الله.

فى المحطة التالية أمسك به المحصل من قفاه وآلقى به خارج العربة .. إلى الرصيف .. تحامل الرجل وجلس ينتظر القطار التالى واستقله بنفس الطريقة .. ومرة أخرى انكشف أمره ورفسه المحصل فى مؤخرته وآمسك به من قفاه وألقاه فى أول محطة وقف فيها القطار .. ثم فعل نفس الشىء ثلاث مرات وتلقى نفس الركلة على مؤخرته .. ولكن مع ذلك حقق نتائج طيبة إذ لم تعد هناك سوى ٨ آميال فقط .. وقفز فى قطار آخر وجلس بجوار راكب محترم وأراد هذا الراكب أن يسلى نفسه فسأل اليهودى :

- إلى آين ؟

فقال اليهودى :

- إلى موسكو .. إذا تحملت مؤخرتى !

****

جلس الزوج إلى جوار زوجته المحتضرة .. وهى تقول له :

- آريدك أن تعلم يا موشى أننى آرسلت بقماش كفنى إلى يوسيل الخياط ليجهزه.

استنكر الزوج :

- إلى يوسيل ؟ .. ألم تجدى سواه .. إنك بهذا سوف تؤخرين موتك أسبوعاً.

****

مات المليونير وترك وصية بإعطاء ثروته إلى المعبد .. وفى المدفن لاحظ الحاخام أن من بين المعزين رجلاً غريباً مجهولاً يبكى بحرقة وألم فاقترب منه وقال :

- أراك تبكى مر البكاء .. فهل أنت من أقارب المرحوم ؟

رفع إليه عينين حمراوين وقال :

- لا .. لست من أقاربه.

- فيم بكاؤك إذن ؟

- قلت لك أننى لست من أقاربه.

****

ارتسم الغم على وجه الرجل حتى سأله أحد أصدقائه :

- ماذا أصابك يا موريس ؟

- سأقول لك الحكاية .. هل تذكر الأسبوع قبل الماضى عندما ماتت عمتى وتركت لى ٥٠ ألف دولار ؟

- أذكر .. وماذا يضايقك فى هذا ؟

- وتذكر الأسبوع الماضى وقد مات خالي حاييم وترك لي ٧٥ ألف دولار ؟

- نعم أذكر .. وماذا يضايقك فى هذا ؟

- ماذا يضايقنى ؟ .. هذا الأسبوع لا شىء !

****

ويقول سبالدنج : إن النكتة اليهودية حقيقة تعكس تاريخ الشعب اليهودى .. تعكس سعادته وشقاءه .. طموحاته .. وإحباطاته .. وبعكس التطور فى العلم لم تتقدم النكتة اليهودية فى خط مستقيم من العصور البدائية إلى العصور الحديثة وإنما تطورت فى دوائر متداخلة تتسع أحياناً وتضيق أحياناً حسب الظروف.

ويستطرد : "ويزعم بعض الباحثين المعروفين أن الفكاهة اليهودية الحقيقية لم تزدهر إلا بعد التحرر من العبودية و الخروج من قبضة فرعون مصر .. ولكن هؤلاء يجب أن يعرفوا أن السخرية اليهودية قديمة جداً وتعود إلى عهود الأنبياء الأوائل".

فهناك سخرية فى كلمات يشوع بن نون الذى اختاره الرب - بعد موسى - ليقود الجيل الجديد من اليهود إلى أرض كنعان .. أو فلسطين .. إنه يقول للأنبياء معنفاً : اصرخوا بصوت عالٍ فى الإله .. فهو إما مشغول بالحديث أو يقتفى أثر أحد أو أنه فى رحلة أو لعله نائم ويجب أن نوقظه.

ويشوع بن نون هو رمز البطش فى التوراة .. فهو عندما دخل فلسطين ذبح بحد السيف "كل ما فى المدينة من رجلٍ و امرأة وطفل وشيخ حتى البقر والحمير" .. ولم يستثن سوى "رحاب" الزانية، وهى أول عاهرة جُندت فى جهاز مخابرات على مر التاريخ .. وكانت ترشد الغزاة القتلة على بيوت الفلسطينيين وقد خرجت هى و أسرتها وثروتها فى سلام. (١)

وسفر يشوع هو السفر الذى تركز عليه وزارة التعليم فى إسرائيل فى المدارس .. ولا يمكن فهم التكوين النفسى للإسرائيليين بدونه، ولا يمكن فهم مشاعرهم تجاه الفلسطينيين دون قراءته. (٢)

ويضيف سبالدنج :

- ومع تدمير الهيكل الثانى وتشتيت اليهود دخلت الفكاهة اليهودية مجالاً أرحب .. فاحتكاك اليهود بثقافات أخرى ، وعمليات القتل والمهانة التى تبعت ذلك أجبرت اليهود على اختلاق قصص رمزية ووهمية ساخرة يعبرون بها عن احتجاجهم على معذبيهم .. مثل الملحوظة الساخرة التى لاحظها حاخام فى القرن الثالث والتى زعم فيها أن البحر مالح لأن الكثير من الرنجة المملحة تعيش فيه.

والمعروف أن الهيكل هو أهم مبنى للعبادة اليهودية شيده سليمان فى فلسطين وهدمه البابليون فى ٩ أغسطس عام ٥٨٦ قبل الميلاد ثم أُعيد بناؤه عام ٢٥١ قبل الميلاد وحطمه الرومان مرة أخرى فى ٩ أغسطس أيضاً ولكن عام ٧٠ ميلادية على أثر ثورة قام بها اليهود .. ويعتقد اليهود أن حائط المبكى هو ما تبقى من سور الهيكل.

وحائط المبكى هو الجدار الغربى للمسجد الأقصى وهو جزء من الحرم الشريف ويقع ضمن الأوقاف الإسلامية .. وليس صحيحاً أنه آخر ما تبقى من الهيكل .. لأن فى هذا المكان كان قصر الملك هيرود الذى رقصت له ابنة زوجته سالومى عارية .. فأتى لها برأس يوحنا المعمدان - الذى استعصى عليها - مقابل ذلك.

ويسعى الإسرائيليون جاهدين لهدم المسجد الأقصى لإعادة بناء الهيكل .. وهم هنا لا يلجأون إلى النكتة وإنما إلى الأسطورة.

---

(١) و (٢) عادل حمودة : تحت جلد إسرائيل.

إن الأسطورة الدينية تعمل "خادمة" فى مطابخ السياسة والحكومة الإسرائيلية ... [٣]

أسطورة "أرض الميعاد" أقامت الدولة .. وأسطورة "شعب الله المختار" شردت وذبحت العرب .. وأسطورة "من النيل إلى الفرات" سمحت بالاحتلال والتوسع .. وأسطورة "البقرة الحمراء" ستهدم المسجد الأقصى .. ستنسفه .. ستسويه بسطح الأرض تمهيداً لبناء هيكل سليمان.

ونحن نعرف البقرة الصفراء .. فاقعة اللون التى جاءت فى القرآن .. فى سورة "البقرة" .. إنها بقرة متوسطة السن، لا عجوز ولا صغيرة .. "لا هزيلة ولا شوهاء" .. "تسر الناظرين" .. فارهة .. غير مذللة .. ولا مدربة على حرث الأرض أو سقى الزرع .. خالصة اللون .. لا تشوبها علامة.

لقد أمر الله اليهود أن يذبحوا بقرة، فراحوا يجادلون، ويماطلون، ويضيقون على أنفسهم فى تحديد صفات البقرة حتى استسلموا فى النهاية وذبحوها.

ويقال أنهم لم يجدوا بقرة بهذه الصفات إلا عند رجل منهم كان باراً بأبيه، فطلبوها منه، فرفض، ولم يقبل إلا بعد أن أخذ وزنها عشر مرات ذهباً.

أما السبب فهو أن شيخاً ثرياً منهم قد قُتل، وألقى بجثمانه فى عرض الطريق، ولم يعرفوا القاتل، واحتكموا إلى سيدنا موسى الذى رفع الأمر إلى الله، فجاءت التعليمات السماوية بذبح البقرة .. فذبحوها وما كادوا يفعلون .. ثم أمرهم الله أن يضربوا القتيل بجزء منها .. فلما ضربوه أحياه الله .. وسأله سيدنا موسى : من قتلك ؟

قال : قتلنى ابن آخى !

ثم عاد ميتاً كما كان.

هذه هى البقرة الصفراء التى نعرفها .. لكنها ليست نفسها البقرة الحمراء التى يعرفها اليهود.

فى الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد فى التوراة أن الرب كلم موسى وهارون وطلب أن يذبح بنو إسرائيل بقرة حمراء صحيحة، لا عيب فيها ، لم تصب بمرض، لم تحلب من قبل، ولم تستخدم فى عمل، وأن تكون وليدة الصدفة ونادرة الوجود.

وفى صفحة ٣٤٤ من العهد القديم : أن عليهم ذبح البقرة وحرقها لاستخدام الرماد المتخلف عن الحرق ليتطهر "الشعب" من النجاسة .. وتصف التوراة هذه العملية بأنها شريعة دهرية .. أى شريعة دائمة على اليهود اتباعها حتى نهاية الدنيا .. ولأنها شريعة فيجب أن تُنفذ بدون نقاش .. فنقض الشريعة يعد كفراً وخروجاً عن الديانة اليهودية.

وفى الموسوعة الدينية اليهودية أن البقرة الحمراء يجب سحبها خارج القدس .. وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى .. ويشرف على هذه الطقوس

---

(٣) كنت أول من تناول أسطورة البقرة الحمراء بالتفصيل فى روز اليوسف عدد ١٩٩٧/٥/٥.

حاخام أو كاهن، لكنه لا يقوم بها .. الذى يقوم بهذه الطقوس رجل عادى يجب أن يكون نجساً حتى المساء .. وكذلك الذى يجمع الرماد .. ويستخدم الرماد فى التطهر وطرد الأرواح الشريرة التى يعتقد اليهود أنها تنتقل إليهم من الموتى لو لمسوا جثمانهم.

ويؤمن اليهود بأن هذه البقرة الحمراء لو ظهرت فإنها علامة من الرب بقرب الانتهاء من النجاسة فى القدس، وإزالة كل ما هو غير يهودى .. من المسجد الأقصى إلى كنيسة القيامة .. وإعادة بناء هيكل سليمان الذى كان هدمه علامة غضب من الله عليهم.

وقد نشر أن البقرة الحمراء وُلدت فى حيفا فى شهر أكتوبر ١٩٩٦، وهى مطابقة للصفات التى جاءت فى التوراة، ولا ينقصها سوى أن تُكمل عامها الثالث لتصبح جاهزة للذبح والحرق واستخدام رمادها فى تطهير مكان المسجد الأقصى لإعادة بناء الهيكل .. والمقصود أن الخطة الإسرائيلية لهدم المسْجد الأقصى ستنفذ خلال ٢٩ شهراً فقط .. أى خلال ٣ سنوات إلا ٧ شهور .. عمر البقرة الآن .. أى فى أكتوبر ١٩٩٩ وهو الموعد الذى ستنقل فيه السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس .. العاصمة الأبدية والموحدة للدولة الصهيونية حسب ما أعلنه رئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحم بيجن فى يونيو ١٩٨٠.

وحسب ما نشره وجيه أبو ذكرى فى جريدة الأخبار (الجمعة ٢٥ أبريل ١٩٩٧) فى ذكرى تحرير سيناء، فإن مجموعة من الحاخامات ذهبوا إلى حيفا لمعاينة البقرة المقدسة وباركوها وأمروا بفرض حراسة مشددة عليها.

وليس من الصعب – فى ظل ثورة علم الخلايا والاستنساخ والهندسة الوراثية – إنتاج بقرة حمراء بمواصفات التوراة لإعلان معجزة وهمية تغطى الأسطورة وتثبتها وتدفع اليهود لتنفيذها وإلا خالفوا شريعة الرب وفقدوا بركة السماء .. خاصة أن اليهود انتظروا ولادة هذه البقرة حوالى ألفى سنة .. أى منذ هدم المعبد الثانى.

إن أسطورة البقرة الحمراء هى الغطاء الدينى لعملية هدم المسجد الأقصى.

وهناك رسومات وماكيتات مجسمة للهيكل جاهزة للتنفيذ .. وقد قدم ياسر عرفات صوراً منها للجامعة العربية ولجنة القدس والحكام العرب وفى إحدى زياراته للقاهرة شرح لنا ذلك كله – وأضاف فى مقر إقامته بقصر الأندلس بمصر الجديدة أن اليهود يضعون أوراق أدعية ليس فقط بين حجارة حائط المبكى، وإنما بين حجارة المسجد الأقصى أيضاً .. أى أنهم يعتبرونه من الآن امتداداً لحائط المبكى الذى يخبطون رؤوسهم فيه .. وينوحون ويندمون على مملكتهم التى بادت أمامه .. ويصلون للرب من أجل الهيكل ومن أجل جمع شتات أبناء أورشليم أمامه.

وهناك ما يقرب من مليار دولار تبرعات من يهود العالم لإعادة بناء الهيكل .. كل شىء جاهز .. ولا يبقى سوى هدم المسجد الأقصى .. وأغلب الظن أن ذلك ليس مستحيلاً .. فإسرائيل أستاذة فى علم الأساطير، وفى علم المخابرات .. وهى لن تقدم على تدمير المسجد الأقصى إلا بعدما تأكدت أن أصحابه فى أجازة، وأنهم عاجزون عن الحركة .. فهم مصابون بالشلل.

وسراً حفرت حكومة إسحق رابين نفقاً تحت المسجد الأقصى ليتفرج العالم على أطلال وحجارة نسبوها لهيكل سليمان .. وقد اغتيل إسحق رابين رغم ذلك لأنه كافر .. ولم يتردد بنيامين نتانياهو فى فتح النفق لأنه مؤمن .. ولأنه يعرف أن غشاء العقل اليهودى يصبح أرق من ورقة السيجارة إذا ما مسحته أو غسلته بالأساطير الدينية .. ولأنه يريد إعادة مملكة إسرائيل .. ليصبح ملكاً مثل داود وسليمان .. فهو يرى نفسه أكبر من مجرد رئيس حكومة يأتى .. ثم يذهب .. يبرق ثم يتلاشى.

وليس نتانياهو وحده الذى لعب بالقنبلة وبالتوراة .. إنها لعبة قديمة جداً .. فهرتزل الأب الروحى للدولة اليهودية كان ملحداً .. وراح يقضم شطيرة من لحم الخنزير فى زيارته الأولى للقدس فى سنة ١٩٠٤ .. وكان الزعيم الصهيونى ماكسنوردو يجهر بإلحاده، وكان يرى أن ملحمة "الأوديسة" أكثر قيمة من "التوراة" .. وكان حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل "يتلذذ" بمضايقة الحاخامات بتناول طعام غير حلال .. غير "كوشير".

وفى مايو ١٩٩٦ – قبل أن تولد البقرة الحمراء بخمسة شهور فقط – نشرت جريدة "معاريف" الإسرائيلية بحثاً لبروفيسور يهودى يدعى ألكسندر تولمان .. حاول فيه إثبات أن طوفان سيدنا نوح لم يكن غضباً من السماء، وإنما كان بسبب اصطدام مذنب بالكرة الأرضية قبل ١٢ ألف سنة، بقوة عدة ملايين ميجا طن، تسببت فى إحداث ثورة فى البحار والمحيطات، أدت إلى الطوفان .. وقال تولمان : إن ما جاء فى التوراة عن طوفان نوح ليس سوى خيالات وهمية لكاتب التوراة "عزرا الكاتب".

إن الدين فى إسرائيل هو مجرد وسيلة مواصلات .. أتوبيس أو طائرة أو صاروخ لتحقيق الأهداف السياسية بغض النظر عما فى القلب .. ما فى القلب .. فى القلب.

ولقد استخدم الهوس الدينى اليهودى فى تحقيق أهداف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وفى تبرير تصرفاتها .. من الاحتلال إلى الاستيطان .. ومن إعلان الدولة إلى المذابح الجماعية للعرب .. مع أن الأصل فى الديانة اليهودية أن إسرائيل حرام .. لأنها قامت بمشيئة أفراد لا بمشيئة الرب .. وأنها لا تقوم إلا إذا جاء المسيح .. المخلص.

والمسيح .. الذى سيأتى لينقذهم ويخلعهم ويجسد وعود الرب هو من نسل داود، وليس من حزب الليكود .. ومهمته إقامة العدل ومعاقبة الأشرار .. وسيأتى فى وقت ينتشر فيه الظلم والانحطاط الخلقى والإلحاد .. فى وقت يحتقر فيه الابن أباه، ويسهر العظماء على خدمة التافهين، وتصبح التوراة عديمة الجدوى .. سيأتى ليحقق لليهود السيطرة على العالم، ويجعل من أورشليم – القدس محطاً لعبادة يهوه وتمجيد بنى إسرائيل.

وفى التلمود .. إن المسيح عندما يأتى "تطرح الأرض فطيراً وملابس من صوف وقمحاً، حبه بقدر كُلى الثيران الكبيرة .. وفى هذا الزمان ترجع السلطة لليهود، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له .. ويكون لكل يهودى ٢٨٠٠ عبد يخدمونه و ٣١٠ جاريات فى خدمته.

لكن .. "قبل آن يحكم اليهود نهائياً على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات متتالية يحرقون الأسلحة التى اكتسبوها بعد النصر" .. وسيأتى المسيح ويحصل على هذا النصر، ويقبل هدايا كل الشعوب، ويصبح اليهود أثرياء جداً لأنهم سيحصلون على جميع أموال العالم .. وستملأ الكنوز "سرايات" واسعة .. "لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها إلا على ٣٠٠ حمار" .. وترى "الناس كلهم حينئذ يدخلون فى دين اليهود أفواجاً".

إن هذا التصور اليهودى يجعل قيام إسرائيل ووجودها حراماً .. لكن .. لا أحد يأخذ بهذا التفسير الآن .. فالدين فى خدمة السياسة وليس العكس.

و السياسة تريد هدم المسجد الأقصى وتطهير القدس من غير اليهود، والدين جاهز ليقدم الغطاء اللازم .. والبقرة الحمراء يمكن أن تُولد فى الوقت المناسب والمكان المناسب .. والمهووسون و المتطرفون جاهزون لتنفيذ مشيئة الرب ونسف المسجد الأقصى وبناء الهيكل .. فهناك بين اليهود من يؤمن بالشهادة فى سبيل الرب آيضاً.

وقد حدثت محاولة من يهودى متعصب فى سنة ١٩٨٥ لنسف المسجد الأقصى .. وفشلت العملية .. لكن .. ليس هناك ما يمنع من تكرارها وتنجح .. وساعتها سيكون من السهل بناء الهيكل.

و الهيكل بناه سيدنا سليمان ليدفن فيه تابوت العهد.. وتابوت العهد بناه سيدنا موسى بأمر من الله ليضع فيه الألواح التى كتبت بها أصابع الله الوصايا العشر على حد تعبير التوراة .. وقد ظل اليهود يرددون أن تابوت العهد موجود فى أنقاض الهيكل تحت المسجد الأقصى .. وعاشت هذه الأسطورة أكثر من ألفى عام حتى نسفتها "معاريف" فى عدد ٧ فبراير ١٩٩٧ .. وحسب ما ترجمه "توحيد مجدى" فإن معاريف أكدت أن "منليك" ابن سيدنا سليمان من بلقيس ملكة سبأ سرق تابوت العهد من أبيه فى أثناء بناء الهيكل، وأنه هرب بالتابوت إلى أثيوبيا .. أو الحبشة .. وجاءت "معاريف" بدلائل من التوراة على صحة ذلك .. وأضافت أن الهيكل لا يعنى أى شىء بدون تابوت العهد .. وإن الحفريات تحت المسجد الأقصى للتوصل إلى التابوت ستبوء بالفشل، وستهدم المسجد وستشعل حرباً دينية لا أحد يعرف كيف ستكون ولا كيف ستنتهى؟!

لقد ذكر تابوت العهد ٢٠٠ مرة فى التوراة، لكنه لم يذكر فى الكتب اليهودية التالية على التوراة .. أيضاً لم يكن تابوت العهد فى قائمة الممتلكات التى أخذتها الجيوش الكسدية من الهيكل بعد هدمه أول مرة بقوة الملك "نبوخذ نصر" .. كذلك لم يذكر تابوت العهد عند بناء الهيكل للمرة الثانية.

و المعروف أن هيكل سليمان بدون تابوت العهد يصبح غير مقدس .. يصبح مثل فندق أو مدرسة أو حديقة عامة أو مثل أى أثر تاريخى كالأهرامات .. لأن سليمان عند اليهود ليس نبياً .. بل مجرد ملك كما فى التوراة.

ويوم صدور "معاريف" وفيها هذه القنبلة تجمع اليهود المتشددون فى ميدان صهيون بالقدس وحرقوا آلافاً من نسخ معاريف .. وهذا الميدان على بعد خطوات من موقع مشروع هيكل سليمان، وعلي بعد ١٥٠ متراً من المسجد الأقصى .. وهدد المتشددون يعقوب نمرودى وابنه عرفان (صاحبى معاريف) بالقتل لو طبعوا المزيد من النسخ.

وفى هذا العدد من "معاريف" : إن تابوت العهد موجود فى مكان سرى .. فى مدينة أقسوم التى تقع شمال أثيوبيا .. وأقسوم هى العاصمة القديمة للحبشة إبان حكم بلقيس وسليمان.

فى هذا العدد من "معاريف" أيضاً : إن هذه القصة موجودة فى كتاب "ترنيمة الملوك" وهو كتاب أثيوبى، كتبه فى القرن الرابع عشر الحاخام الأثيوبى - الذى توارث كتمان السر - نيبوز جيز إسحق.

ويقال أن "منليك" حكم أثيوبيا مع ١٢ ألف شاب خرجوا معه من القدس .. واستمر حكمه بالديانة اليهودية ٢٥ عاماً بعد وفاة أمه.

وتقول معاريف أنهم إلى اليوم تجدهم فى شوارع أثيوبيا - بجانب الـ ٢٢ ألف كنيسة الموجودة هناك .. يبيعون للسياح والزوار نماذج مصغرة لتابوت العهد اليهودى .. لكن لا أحد فى أثيوبيا يعلم بموقع التابوت الموجود لديهم .. لأن هذا السر لايعلمه سوى الحاكم الأثيوبى وجماعة من الحاخامات الكبار فى السن، يخدمون موقع التابوت أباً عن جد، منذ أن جاء ابن سليمان به إلى هناك .. وقد أخفت إسرائيل هذا السر عشرات الأعوام بعد أن أخفاه اليهود الآلاف السنين، وسبب الإخفاء هو ألا يعلم اليهود أن هيكل سليمان خال من التابوت والألواح .. ومن ثم لا مبرر لهدم المسجد الأقصى بحثاً عن أشياء غير موجودة.

وفى الوقت نفسه أعلنت أجهزة الإعلام الإسرائيلية عن خبر كشف آثار يهودية بالقرب من المسجد الأقصى ترجع إلى عصر يسمى بعصر الحشمونائيم .. لكن بعد أيام أعلنت المصادر العلمية عن خيبة أملها لأن الآثار التى كُشفت كانت لشعوب سامية أخرى، منها الشعب الفلسطينى .. وكان أن صمتت أجهزة الإعلام الإسرائيلية والأمريكية وأصيبت بالخرس.

ولم يكن بالنفق الذى حفروه تحت المسجد الأقصى سوى بقرة عمرها ١٥٠٠ سنة لغير اليهود.

لكن .. ما لا يتحقق بالاكتشافات الأثرية، يتحقق بالأساطير الدينية .. وما لا ينفذه تابوت العهد تنفذه الهندسة الوراثية والبقرة الحمراء.

إن الاستخفاف بهذا الموضوع أو الاستهانة به أو السخرية منه سيضر بقضية القدس .. وسيجعلنا فجأة أمام أنقاض المسجد الأقصى .. ولن نملك ساعتها إلا العويل والصراخ.

لا تجوز قراءة هذا الموضوع وكأنه تسلية أو خرافة أو حكاية قبل النوم .. فالأسطورة الدينية فى إسرائيل رفيقة وشريكة وزوجة للجنرالات هناك .. وهى خادمة تغسل لهم أصابع الأقدام بماء الورد والزعفران .. وجارية يقطفون ثمارها فى الليل .. ويذبحونها إذا لم يستفيدوا منها على

الطريقة الشهريارية.

إن الأساطير اليهودية ليست خرافات ولا وجوهاً فلكلورية من قصصهم الشعبية .. إنها موجودة فى خبزهم اليومى .. وطعامهم .. وشرابهم وجرائدهم .. ومؤسساتهم وأدواتهم .. وخططهم السياسية والتوسعية .. وهى تخرج إلينا من رغوة الصابون .. وبالوعة الحمام .. وشاشة التليفزيون .. واتفاقيات السلام.

هى ليست فصلاً من التاريخ القديم .. بل هى فصل رئيسى من التاريخ المعاصر .. وهى تتجلى لنا مرة فى هيئة سيدنا موسى .. ومرة فى هيئة دراكيولا .. ومرة تكلمنا بصوت سيدنا سليمان .. ومرة تكلمنا بصوت آدولف هتلر.

****

ويُرجح سبالدنج ظهور النكتة اليهودية الحديثة قبيل القرن العشرين .. ويقول : "إننا ندين بالفضل فى هذا الأمر لروسيا فى فترة ما قبل الاتحاد السوفيتى .. فقد تسبب نظام القياصرة فى إسقاط نفسه برفضه السماح للمفكرين الشبان بدخول الجامعات القيصرية، وبذلك آجبرهم على السفر للتعليم فى آوروبا حيث اكتشفوا الماركسية وجلبوها إلى بلادهم".

"وآثارت الحكومة الروسية آيضاً بشكل غير متعمد ثورة الفكاهة اليهودية بأن سمحت للطلبة الأجانب بحضور الدراسات والندوات الخاصة بالتلمود، وقد جعل هؤلاء الأجانب اليهود من الكليات التلمودية منازل لهم .. كانوا ينامون ويأكلون هناك .. وفى ليالى الشتاء كانوا يجتمعون حول آفران ساخنة وينسون متاعبهم بنسج الحكايات والنكات ويستعيدون القديم منها وعندما كانوا يعودون إلى قراهم كانوا يسترجعونها ويروونها لأقاربهم وأصدقائهم، وبذلك اكتسبت هذه الفكاهة الشعبية مزيداً من الانتشار وأخذت نكهة القرن العشرين الذى كان أكثر انفتاحاً وتنويراً".

وكانت نكات اليهود القديمة – والحديثة أيضاً – تتسم بالسخرية من عيوبهم الجسدية مثل العيون الشرهة والظهر المنحنى والأنف الكبير المقوس ...

سؤال : لماذا يتميز اليهود بأنوفهم الكبيرة ؟

جواب : لأن الهواء مجانى.

كذلك سخر اليهود من صفاتهم الشهيرة .. البخل .. جمع المال .. إنكار الجميل .. العزلة .. الجدل الدينى .. إهانة النساء .. الميل إلى الخرافة .. الاحتيال على الآخرين .... ووصلت هذه السخرية في بعض الأحيان إلى القسوة وتحقير الذات وجلدها إلى حد يقترب من المازوخية .. لذة تعذيب النفس.

****

فى طائرة على وشك السقوط اتفق إنجليزى و أيرلندى وفرنسى ويهودى على أن يقوم من ينجو منهم بوضع ٢٠٠ جنيه إسترلينى فى قبور من يتوفوا .. زكاة عن أرواحهم .. وشكراً لله على النجاة .. وسقطت الطائرة ولم يمت سوى الإنجليزى .. فنزل الأيرلندى إلى المقبرة ووضع ٢٠٠ جنيه .. ثم نزل الفرنسى وفعل مثله .. أما اليهودى فكتب شيكاً بمبلغ ٦٠٠ جنيه باسم الميت ووضعه فى المقبرة وأخذ الـ ٤٠٠ جنيه الأخرى.

****

فوجىء يهودى اسمه سولى بجاره سام وهو يزيل طلاء الحوائط ويضعه فى أكياس .. فسأله :

– ماذا تفعل يا سام .. هل ستعيد طلاء البيت ؟

– كلا .. إننا راحلون إلى شقة أخرى!

****

قال أحدهم لآخر :

– بالأمس شربت الشاى فى منزل يهودى.

– وكيف عرفت أنه يهودى ؟

– لأنه كان يضع شوكة بدلاً من ملعقة فى علبة السكر.

****

فى بيت هذا اليهودى ابتلعت ابنته الصغيرة قطعة عملة معدنية .. فصاحت أمها :

– بسرعة .. استدعوا الطبيب.

فصاح أبوها :

– أى طبيب ؟ .. هذا كلام فارغ !.. استدعوا جارنا ناحوم فهو يستطيع انتزاع النقود من أى إنسان.

****

وهذا اليهودى أيضاً ساءت أحواله المالية ووصل إلى حد اليأس .. فقرر التخلص من حياته .. فذهب إلى منزل جاره و أشعل فى نفسه النار.

****

والمعروف عن اليهود الجبن إلى حد أن يهوديين محكوم عليهما بالإعدام، عُرض عليهما تغطية عيونهما .. رفض الأول وراح يسب ويلعن .. فهمس الثانى فى أذنه :

- اعمل معروف لا تثير المتاعب.

****

وفى إنجلترا عندما تسوء الأحوال فى شىء يقول الإنجليز : ليذهب هذا الشىء إلى الجحيم .. وقد سأل مدرس التلاميذ فى حصة الدين :

- من منكم يريد الذهاب إلى الجنة ؟

رفع كل التلاميذ أيديهم فيما عدا تلميذاً يهودياً .. فسأله المدرس :

- لماذا لا تريد الذهاب إلى الجنة ؟

فقال :

- لأن أبى يردد دائماً إلى الجحيم أيها البيزنس وأنا أريد أن أذهب حيث البيزنس.

****

وهذه النكات الخاطفة لم ينشرها سبالدنج وإنما نشرها يهودى آخر .. وُلد فى طهران وعاش فى لندن اسمه "بن البزار" .. وقد نشرها فى كتابين هما : "أفضل نكت فى العالم عن اليهود" .. و"مزيد من أفضل نكت العالم عن اليهود" .. وفى الكتابين سخرية فى حدة السيف من اليهود .. لكنهم لا يغضبون منها مادام الذى يسخر واحداً منهم .. يهودياً مثلهم .. أما إذا كانت السخرية من الأغراب أو الأغيار أو الأجانب - على حد وصفهم لغير اليهود .. فان الاحتجاجات لا تتوقف ولا تنتهى.

وقد احتجت جماعات الضغط اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية على صورة اليهودى التقليدية فى الكاريكاتير المصرى .. مع أنها نفس الصورة التى تبرزها النكات اليهودية .. وقد جمعوا عشرات من الكاريكاتيرات المنشورة فى الصحافة المصرية ووضعوها فى تقرير ساخن، غاضب، قدموه إلى الرئيس حسنى مبارك مرتين .. مرة فى واشنطن .. ومرة فى القاهرة .. وكان رد الرئيس مبارك فى الحالتين : إن الصحافة فى بلاده حرة.

ولعب اليهود لعبتهم الشهيرة .. لعبة معاداة السامية .. وهى تهمة وضعوها سيفاً مسلطا على رقبة كل من ينتقدهم أو يسخر منهم .. هم فقط من حقهم ذلك.

ويقول سبالدنج :

- إن تنكيت اليهود على أنفسهم فيه شجاعة الاعتراف بالأخطاء والعيوب وفيه التسامى والتعالى عليها .. والفرق بين النكتة اليهودية والنكتة المعادية للسامية هو أن الأخيرة تركز على أخطاء اليهود فقط ولا تقترب من فضائلهم أبداً.

لكن .. فى الحقيقة تصعب التفرقة بين النوعين .. اللهم إلا إذا اعتبرنا النكات التى يقولها اليهود عن أنفسهم مهما كانت جارحة هى نكات غير معادية للسامية .. والنكات التى يقولها غيرهم مهما كانت لينة هى نكات معادية للسامية.

****

التقيا معاً فى مقصورة واحدة داخل القطار .. يهودى وأستاذ جامعى بولندى .. شعر اليهودى بأن الوقت طويل والملل ثقيل فألقى تحية الصباح على جاره البولندى الذى كان يكن لليهود آيات الاحتقار .. فتجاهله ولم يرد عليه التحية .. وكرر اليهودى التحية ولكن الأستاذ لم يرفع عينيه عن المجلة التى كان يقرؤها .. وفى المرة الثالثة وبعد لهجة ملحة من اليهودى نظر إليه البولندى نظرة حادة وقال :

- لماذا تصر على أن تتحدث معى .. ألا ترى أيها اليهودى الجاهل أننى لا أرغب فى التحدث إليك ؟

بحذر وصبر أخفى اليهودى غضبه .. وقال بكلمات هادئة :

- اليهودى الجاهل يمكنه أن يتفوق على أى أستاذ جامعي وسوف أبرهن لك على هذا .. سأوجه إليك سؤالاً بسيطاً إن عجزت عن الإجابة عليه ستدفع لى ٢٥ زيلوتى (عملة فضية بولندية) ثم يكون من حقك أن تسألنى السؤال الذى يعجبك .. ولكن حيث إننى يهودى وجاهل حسب كلامك، إذا عجزت عن الإجابة عليه فإننى أدفع لك خمس زيلوتات فقط .. موافق ؟

- موافق .. هات سؤالك.

- ما هو الشىء الذى له ثلاثة عيون ويأكل الريش ويبنى دياره من الذهب الخام ؟

فكر الأستاذ الجامعى وعصر مخه ولكن كل تخميناته لاقت من اليهودى ابتسامة ثقة ورفض .. وأخيراً غلب حماره وقال :

- أنا أعلن هزيمتى .. إليك الـ ٢٥ زيلوتى .. والآن حان دورى لسؤالك .. ما هو الشىء الذى له ثلاثة عيون ويأكل الريش ويبنى دياره من الذهب الخام ؟

ابتسم اليهودى وقال :

- أنا لا أعرف مثلك إليك الـ ٥ زيلوتات التى اتفقنا عليها.

****

يهوديان روسيان فوق ظهر سفينة متجهة بهما إلى أمريكا .. أرض الأحلام .. أحدهما أحدب .. والآخر له أنف كبير جداً .. ولأسباب مجهولة لا يعرفها سواه تجاهل الأحدب، صاحب الأنف الكبير .. ولكن بعد أيام قليلة شعر اليهودى الأحدب أنه فى حاجة إلى يهودى آخر .. فدار بينهما الحوار التالى الذى بدأه صاحب الأنف الكبير :

- لدى سر أريد أن أفضى به إليك وحدك يا صديقى .. أنا يهودى.

ونظر ذو الأنف الكبير فى عينى الأحدب يستطلع أثر اعترافه عليه .. فقال الأحدب :

- أشكرك على ثقتك بى .. والآن .. وحيث إنك كشفت لى سرك .. فأنا أكشف لك أيضاً سرى الرهيب.

- قل .. سرك فى بئر.

- بينى وبينك .. وأرجو ألا تفشيه لمخلوق وإلا فسدت صداقتنا الوليدة ...

- اطمئن ...

- إنى أحدب.

****

- ولكنى لا أريد الذهاب إلى أمريكا يا بابا.

- اسكت يا هيرشل .. وواصل العوم.

****

جاءت البنت إلى أمها قائلة فى خجل :

- أمى لقد تزوجت.

- مبروك.

- أريد أن أخبرك أنه غير يهودى.

- لا أتحامل على غير اليهود.

- وهو زنجى.

- المهم أن يكون متسامحاً.

- وهو فقير.

- خذوهم فقراء يغنيكم الله.

- وبصراحة هو عاطل أيضاً.

- يعنى ستصرفين عليه .. يجب على الزوجة أن تساعد زوجها.

- ولكن يا أمى ليس لنا مكان نعيش فيه.

- لا تقلقى يا حبيبتى ستبقون هنا فى منزلنا.

- ولكن لديك حجرة نوم واحدة فقط.

- حسناً ستنامين أنت وزوجك فيها وسينام أبوك على الكنبة فى الصالة.

- لكن اين ستنامين أنت ؟

- لا تقلقى يا عزيزتى .. ففى اللحظة التى سأشنق نفسى فيها سأسقط ميتة.

****

وصل إسرائيلى إلى باريس وذهب إلى بيت دعارة وطلب عاهرة بالاسم وقضى معها الليلة ثم أعطاها ألف فرنك. وفى الليلة التالية عاد وطلب نفس العاهرة ثم أعطاها ألف فرنك أخرى .. وفى الليلة الثالثة فعل الشىء نفسه .. عندئذ قالت له :

- اسمع .. إذا عدت إلى هنا غداً سأعطيك نفسى مجاناً .. فأنت كريم جداً .. وأنا قد وقعت فى حبك.

فقال لها :

- فى الحقيقة لابد أن أعود إلى إسرائيل غداً .. وبالمناسبة فأنا أعرف أخاك الذى يعيش هناك وهو الذى أعطانى الثلاثة آلاف فرنك لأعطيها لك.

****

فى المغرب كان يهودى وعربى يتقاسمان ملكية زراعية .. لكن الأمور ساءت فقررا الانفصال .. ولكن المشكلة كانت تقسيم ما تبقى لديهما وهو مجرد عنزة وبقرة ودجاجة ...

قال العربى :

- إسمع خذ أنت الدجاجة وسآخذ أنا العنزة و البقرة.

رفض اليهودى .. فقال العربى :

- حسناً فلتأخذ أنت العنزة وسوف آخذ أنا البقرة والدجاجة.

رفض اليهودى .. فقال العربى :

- حسناً فلنأكل البقرة الآن وسوف آخذ العنزة وتأخذ أنت الدجاجة.

ظل اليهودى رافضاً .. وأخيراً قال :

- سأقول لك عرضاً .. فلتأخذ أنت العنزة كما تريد أما أنا والبقرة فسوف نأخذ الدجاجة.

****

أستاذ فى التشريح يخاطب تلاميذه وهو يحمل ضفدعة حية ..قال :

- سأثبت لكم نظرية هامة.

ثم وضع الضفدعة على مكتبه وصاح :

- اقفزى.

- فقفزت الضفدعة قفزة عالية.

ثم قام بقطع أرجلها الأربعة .. وقال :

- الآن سأعرض نظريتى.

ومرة أخرى وضع الضفدعة على مكتبه وصاح :

- اقفزى.

وبالطبع لم تستطع الضفدعة المسكينة أن تتحرك.

فقال الأستاذ :

- لقد أثبت نظريتى وهى أنك لو قطعت أرجل الضفدعة فإنها لا تستطيع أن تسمع.

****

إحدى طائرات "العال" الإسرائيلية تقلع من مطار تل أبيب قاصدة نيويورك .. على متن الطائرة يجلس رجل مسن بجوار آم شابة متكبرة تهدهد طفلها بين ذراعيها .. يرمق الرجل الطفل ويقول:

- يا للبشاعة .. لم أر فى حياتى طفلاً بهذا القبح.

تصرخ الأم غاضبة :

- كيف تجرؤ على ذلك ؟

تسمع المضيفة العراك فتذهب إليهما لتقول :

- أنا المضيفة .. ولا أسمح بالعراك على طائرتى وإلا سأستدعى ابنى الكابتن.

تبكى الأم الشابة قائلة :

- لقد أهاننى.

وينفى الرجل التهمة .. وتحاول المضيفة تهدئة الموقف فتقول :

- اذهب يا سيدى للجلوس فى مكان آخر وتوقف عن إهانة ركاب طائرتى .. أما أنت أيتها الأم الشابة فسأحضر لك كوباً من الشاى الساخن بالليمون .. وسأحضر موزة للقرد الذى تحملينه.

****

اثنان من الطلبة اليهود يدرسان التلمود، ذهبا إلى الحاخام وعلى وجهيهما أمارات الخجل .. وقالا له :

- أيها الحاخام .. جئنا نعترف .. لقد ارتكبنا خطيئة.

وسأل الحاخام :

- ما نوعها ؟

- نظرنا إلى امرأة نظرة محرمة.

- ليسامحكما الرب .. هذه خطيئة كبرى.

- وكيف نكفر عنها ؟

- إذا كنتما تبغيان التوبة فإننى آمركما أن تضعا فى حذاءيكما بعض البسلة الجافة وتسيران بها عشرة أيام كاملة .. إن هذا يلقنكما درساً فى الأخلاق لن تنسياه.

وفعل الشابان ما أمر به الحاخام .. وبعدها بأيام التقى التائبان فى الشارع .. كان أحدهما يعرج متألماً بينما يسير الآخر طبيعياً بلا أدنى شكوى من ألم .. وعلى الفور استهجن التائب الأعرج ما رآه من زميله وقال :

- هل هذه هى الطريقة التى تطيع بها الحاخام ؟ .. أرى أنك تجاهلت وصيته فلم تضع البسلة فى حذائك.

واستغرب الشاب سليم القدم قول زميله وقال :

- ولكننى أطعته تماماً .. وكل ما فعلته هو أننى طهوت البسلة قبل أن أضعها فى حذائى.

****

ربما كان يهود اليمن أقل يهود العالم تحضراً بسبب انعزالهم عن الحضارة .. وكان عددهم ٦٥ ألفاً وقد نقلهم سلاح الجو الأمريكى فى عملية سُميت "البساط السحرى" .. ولم يكونوا يعرفون لإسرائيل مكاناً على خريطة الدنيا .. فكلمة إسرائيل وصهيون والقدس كانت فى أذهانهم أسماء أماكن فى السماء .. لا على الأرض.

ويذكر الطيارون الذين حملوهم "كيف اعترتهم الدهشة حين وجدوهم يعسكرون فى الممرات ويشعلون النار لغلى الشاى" .. ويذكرون أيضاً أنهم خافوا من الطائرات ورفضوا ركوبها لأنها لم تذكر فى التوراة .. واحتاج الأمر لخداع أحبارهم حتى أقنعوهم بأن الشيطان لا يقود هذا الاختراع المدهش.

فى إحدى المناطق النائية فى اليمن عاش رجل وزوجته فى عزلة تامة، لا يخرجان عنها ولا يعرفان ما طرأ على الإنسانية من تغيرات مذهلة .. وفى يوم اتفق أهل القرية على أن يرسلوا الزوج إلى المدينة لأمر من أمور حياتهم الضرورية .. قبلته زوجته وودعته وتمنت عودته سالماً وطلبت منه أن يعود إليها بهدية من المدينة الكبيرة الغامضة.

وابتسم الزوج وسألها :

- كيف تريدينها ؟

- أى شىء .. فقط هدية جميلة الشكل .. مثل القمر.

وبعد أن أنهى الزوج أعماله دخل محلاً كبيراً للهدايا وبعد أن احتار استقر رأيه على مرآة مستديرة .. فضية .. لامعة .. مثل القمر.

قدم هديته لزوجته التى راحت تتفحصها بجدية واهتمام .. وفجأة رأت فى المرآة وجهاً جميلاً لامرأة شابة .. وللحظة حملقت فى الوجه مذهولة .. ثم انطلقت تعدو إلى أمها وقد استبد بها القلق ...

- أمى .. أمى .. زوجى لا يحبنى .. لقد أحضر معه فتاة جميلة من المدينة.

- أين ؟ أين هى ؟

- هنا يا أمى. انظرى بنفسك.

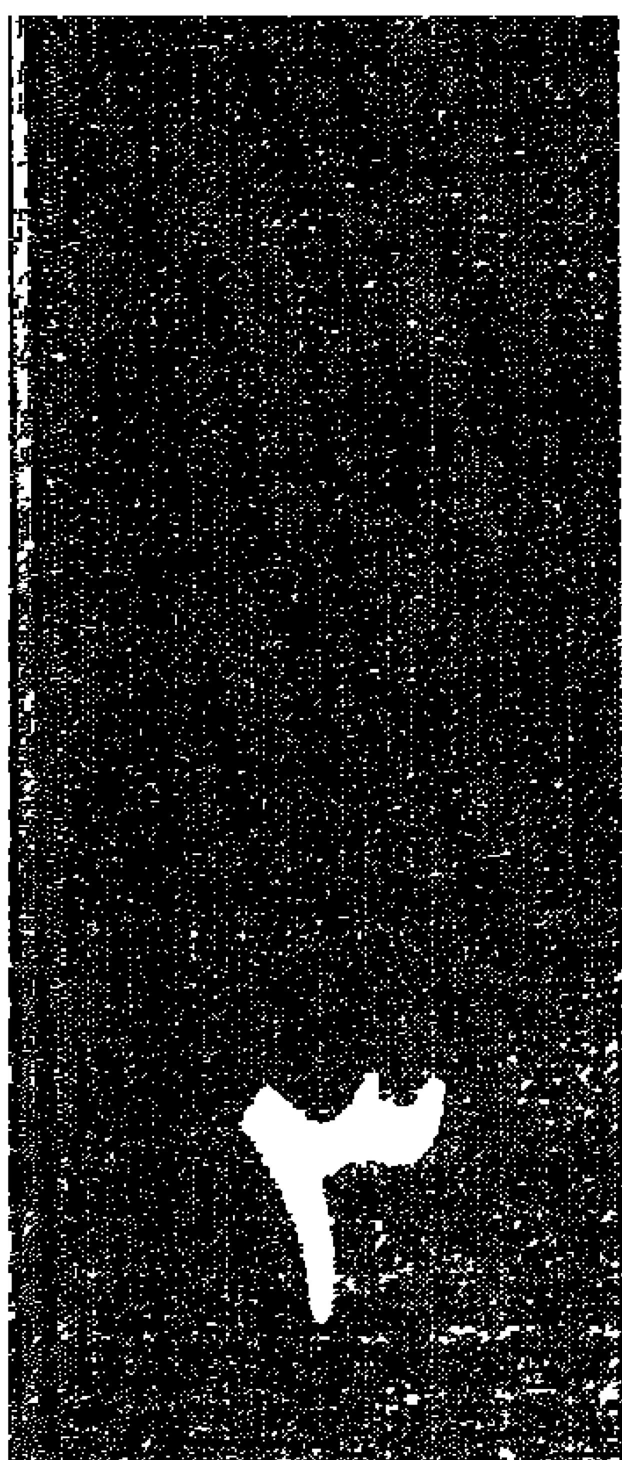
ومدت الأم يدها وأمسكت بالمرآة .. ونظرت فيها تفتش عن الفتاة التى أحضرها الزوج من المدينة .. فلما ارتسمت الدهشة على وجهها هى الأخرى عادت تحاول أن تطمئن ابنتها وهى تعيد إليها المرآة قائلة :

- صدقينى .. ليس هناك ما يدعوك للقلق إذ لا يوجد رجل سليم العقل يترك زوجة جميلة مثلك من أجل تلك العجوز الحيزبون.

****

هل عرفت الفرق بين النكتة اليهودية والنكتة المعادية للسامية ؟

لا تتعب نفسك ..فكل هذه النكات صناعة يهودية.



من نابليون إلى ديان !

بعد حرب يونيو ١٩٦٧ دخل موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى - أو العجل الذهبى الذى عبده الإسرائيليون فى ذلك الوقت - على رئيس آركانه وسأله :

- ماذا نفعل اليوم ؟

قال رئيس الآركان :

- لعلنا نحتل آراضى دولة عربية أخرى.

فاستطرد ديان :

- وماذا نفعل بعد الظهر.

****

وبعد الاجتياح الإسرائيلى لمدينة القدس فى عام ١٩٦٧ أعلن اليهود أنهم سيعقدون صفقة مع الآردنيين ليتقاسموا حائط المبكى بينهما .. بنودها أنهم سيحتفظون بالحائط بينما يمكن للأردنيين الاحتفاظ بالبكاء.

وحائط المبكى هو أقدس الأماكن الدينية اليهودية على الإطلاق حيث يحج إليه اليهود من جميع أنحاء العالم .. وسُمى بذلك لأن الصلوات عنده تأخذ شكل العويل والنواح ويعتقد اليهود أن الحضرة الإلهية أو الشخيناه لا تغادر الحائط آبداً .. لذلك حاول اليهود السيطرة عليه فى وقت مبكر .. ففى عام ١٨٥٠ حاول حاخام اسمه كاليشر شراءه .. وكرر المحاولة المليونير اليهودى روتشيلد .. وقبيل الحرب العالمية الأولى سعى البنك الأنجلو - فلسطينى إلى ذلك .. وبعد سقوط القدس فى حرب الأيام الستة حصل اليهود عليه بلا مقابل .. ومع وافر السخرية من العرب.

****

بعد حرب ١٩٦٧ آيضاً كان جندى إسرائيلى يحرس عدداً من الأسرى العرب .. وفى يوم قال لهم:

- عندى لكم آخبار حسنة وآخبار سيئة .. أيهما تفضلون آن تسمعوا آولاً ؟

قالوا :

- فلنسمع الآخبار السيئة آولاً ؟

قال :

- حسناً الآخبار السيئة هى آنه ليس هناك ما يُؤكل سوى فضلات الجمال.

قالوا :

- والأخبار الحسنة ؟

قال :

- هى أن هناك الكثير من هذه الفضلات.

****

إن النكتة اليهودية انقلبت بعد الانتصار الإسرائيلى الخاطف على العرب فى هذه الحرب من سياط تجلد الذات إلى سياط تمزق لحم العرب .. لقد ظهر الوجه الآخر الشرس للنكتة الإسرائيلية .. وانتقل العرب إلى مرحلة تعذيب النفس بما أطلقوه واستوردوه من نكات .. ووصل الأمر إلى حد أن جمال عبد الناصر طلب فى خطاب فى البرلمان من الشعب المصرى أن يكف عن التنكيت على قواته المسلحة وعلى نفسه.

وقد أفرطت فى تفسير ظاهرة التنكيت والتبكيت التى اجتاحتنا بعد الهزيمة فى كتابى "كيف يسخر المصريون من حكامهم".

لكن .. لم يكن من بين النكات التى نشرتها هذه النكات التى نشرها اليهود فيما بعد.

****

بعد هذه الحرب اتصل الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت ليندون جونسون برئيسة الوزراء جولدا مائير وقال لها :

- يا جولدا إن لدى متاعب فى فيتنام فهل يمكن أن تعطينى الجنرال موشى ديان وفى المقابل سأعطيك اثنين من جنرالاتنا ؟

استشارت جولدا مائير مجلس وزرائها ثم عاودت الاتصال بالرئيس جونسون :

- حسناً سيدى الرئيس يمكنك الحصول على الجنرال ديان. أما الجنرالان اللذان نريدهما فهما "جنرال موتورز" و "جنرال إلكتريك".

****

نكتة أخرى من هذه العينة الهجومية بطلها شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل الذى اتصل بالرئيس الأمريكى رونالد ريجان قائلاً :

- ما هذا الكلام الذى أسمعه عن إرسال عربى إلى الفضاء ؟

- أوه لا تغضب يا شيمون .. سوف نرسل إسرائيلياً فى المرة القادمة.

- أنت لا تفهم يا سيدى الرئيس .. إننى لا أشكو، بالعكس أنا أهنئك ولكنى أسأل : لماذا تكتفون بعربى واحد فقط ؟

****

قال الرئيس جونسون لموشى ديان :

- أعطنى كتيبتين من الجيش الإسرائيلى لأحل جميع مشاكلنا فى الشرق الأقصى.

قال ديان :

- كتيبتان ؟ كتيبة واحدة تكفى.

قال جونسون :

- أنا أعنى جميع المشكلات بما فيها الصين الشعبية.

****

ورغم الانتصارات التى حققتها إسرائيل فإن الحرب والموت والعمليات الفدائية تطارد شعبها .. وهم هناك يقولون : إن كل دولة لها جيش أما إسرائيل فجيش له دولة .. وكل شعب له سلاح طيران أما إسرائيل فسلاح طيران له شعب. [1]

وعندما يودع إسرائيلى آخر لا يقول : أراك على خير.

وإنما يقول : أراك فى صفحات الوفيات.

أو يقول : أراك فى النصب التذكارى.

وفى المجلات الساخرة يمكن أن تقرأ هذا الإعلان : "تخفيضات هائلة فى أسعار المدافن، اغتنموا الفرصة".

وفى إحدى صحف الحائط بمدرسة ثانوية نشر هذا الإعلان : " مطلوب شبان فى الجبهة الجنوبية فالمدافع جائعة إليهم.

ولو كان جابوتنسكى – معلم بيجن ومثله الأعلى – قد قال : "وسيظهر جنس بالدم والعرق يكون قوياً وكريماً وقاسياً" فإن طلبة المدارس عدلوا العبارة لتصبح : "سيظهر جنس بالدم والعرق له أطراف صناعية".

وهذا الحوار الذى دار بين إسرائيليين فى حديقة عامة هو حوار معتاد جداً فى إسرائيل :

- هل أنجبت ابنتك ؟

- نعم .. أنجبت صبياً.

- كم يبلغ عمره الآن ؟

---

(١) راجع كتابنا "تحت جلد إسرائيل" فصل "تراكم على صفحات الوفيات".

- عدة أسابيع .. فهو لا يزال يرضع من ثدى أمه.

- ترى متى سيجند ؟

- إن دوره فى التجنيد سيأتى فى الحرب التى ستنشب فى عام ٢٠١٨.

- هل ستنشب الحرب فى هذه السنة ؟

- نعم .. إذا كانت إسرائيل لا تزال على قيد الحياة!

وبلغة الدراما السوداء البعيدة عن السخرية يقول الأديب الإسرائيلى موشى شامير : إن ابنه سُمى على اسم أخيه الذى قتل فى حرب ١٩٤٨ .. وهو سُمى باسم عمه الذى قتل فى خدمة الجيش الأحمر سنة ١٩٢٠ .. وأن أباه حمل اسم عمه الذى قتل فى أوكرانيا سنة ١٨٩١ .. فالموت له شجرة فى كل عائلة يهودية.

وقد وُلد هذا الأديب فى فلسطين فى عام ١٩١٨، لذلك فمن حقه أن يتساءل : "هل نحن ما زلنا فى بداية الطريق أم فى منتصفه أم فى نهايته" ومن الطبيعى أن يعجز عن الإجابة وأن يقرر فى النهاية : أن الشىء الوحيد الذى نعرفه هو "أنه طوال السنوات التى عشتها لم يفارق الخوف من الموت بيتنا".

وعلى دورة مياه فى الجامعة العبرية كتب أحد الطلبة :

"السفارديم (اليهود الشرقيون) إلى أسبانيا .. الأشكينازيم (اليهود الغربيون) إلى أوروبا .. العرب إلى الصحراء .. والبلد ترجع إلى الله .. فقد أعطانا متاعب كثيرة منذ أن وعد بها الجميع".

****

إن إسرائيل - وهى كلمة عبرية تنطق يسرائيل وتعنى "المتصارع مع الرب" أو "الذى يحارب الرب من أجله" - هى ثكنة عسكرية كبيرة .. تُوضع فيها التوراة على فوهات المدافع .. والأشجار فيها ترتدى الملابس المموهة .. والقمر هناك لا يظهر ليلاً فى السماء إلا بعد أن يطمئن أن خوذته المعدنية فوق رأسه .. أما أنبياؤهم فقد باعوهم ليشتروا أجهزة الإنذار المبكر.

وقد لعب كل زعماء إسرائيل على عقد اليهود النفسية والسياسية والدينية والتاريخية وكسبوا من وراء ذلك الكثير وإن لم ينجوا من السخرية والتنكيت.

وهذه النكتة قيلت على كل زعماء الليكود .. من مناحم بيجن إلى بنيامين نتانياهو .. وبينهما إسحق شامير.

ذهب يهودى شرقى إلى طبيب فى تل أبيب وقال له :

- ذكائى يؤلمنى يا دكتور.

– الذكاء بين اليهود الشرقيين حالة نادرة .. فكيف يؤلمك ذكاؤك ؟

– إن ذكائى فى مستوى ذكاء اليهود الغربيين وهم يرفضوننى .. وأعلى من مستوى ذكاء اليهود الشرقيين وهم لا يعرفون كيف يتعاملون معى ؟

– إذن لا مفر من أن نخفض ذكاءك حتى تستطيع أن تتعايش مع أهلك.

– فى عرضك يا دكتور.

– اجلس هنا وضع هذه الأجهزة فوق رأسك وبعد خمس دقائق سينخفض ذكاؤك وتصبح مثل أهلك.

وجلس الرجل .. ودق جرس التليفون .. وذهب الطبيب ليرد .. وبعد ربع ساعة من الثرثرة هرع الطبيب إلى المريض وهو يقول :

– يا إلهى .. المريض.

وفك أغلال السفاردى الذى نزل من مقعده واجماً .. شارداً وهو يصيح :

– بيبى .. بيبى.

وبيبى هو اسم التدليل والشهرة لنتانياهو الذى ينطق المصريون اسمه بتسكع وفى سخرية ... نتن .. يا .. هو ... وهو ما آثار غضبه وجنونه .. و ما لفت نظر وكالات الأنباء الأجنبية التى أعدت أكثر من تقرير عن سلاح التنكيت الذى شهره المصريون فى وجه غرور وغطرسة "الديك الرومى المنفوش" .. نتانياهو الذى حكم إسرائيل بعد أن أقنع اليهود أنه سيلفستر ستالونى – رمز العضلات فى السينما الأمريكية – أعظم من سيدنا موسى .. فانتخبوه وجاءوا به إلى السلطة ليرينا العين الحمراء .. فلا سلام ولا كلام .. وإنما استسلام وإعلام وإعدام وقبور من رخام .. وعرب أصحاب حق تحولوا إلى أيتام .. وتمددوا مثل طبق شهى على مائدة اللئام.

ونتانياهو هو ثالث زعيم ليكودى يحكم إسرائيل بعد مناحم بيجن وإسحق شامير .. وقد تسلم بيجن السلطة فاتحا الباب لكتلة الليكود اليمينية المتدينة لأول مرة فى ٢٠ يونيو ١٩٧٧ وشكل الحكومة رقم ١٨ فى تاريخ إسرائيل بعد ٢٩ سنة قضاها الليكود والأحزاب الدينية المتحالفة معها فى المعارضة.

إن أقدم الأحزاب الدينية هو حزب "هموزراحى" أو "الشرقى" وقد تأسس فى عام ١٩٠٢ وجمع بين اليهودية والصهيونية ولم يرفض أفكار تيودور هرتزل الخاصة بالدولة العبرية وانضم إلى المؤتمرات الصهيونية الأولى على أمل أن تكون الدولة المزمع قيامها دولة دينية قلباً وقالباً .. ولكن آمله خاب عندما قرر المؤتمر الصهيونى العالمى عام ١٩١١ علمانية الحركة الصهيونية وأعلن "أن الدين موضوع شخصى" وأن شئون التربية والتعليم فى فلسطين مسئولية المنظمة اليهودية .. فكان أن انسحب من المؤتمر وراح يعمل بمفرده وسعى إلى توثيق الصلة مع حزب الإصلاحيين

بزعامة جابوتنسكى وهو حزب يمينى متشدد، يؤمن بالعنف، وبالحصول على أرض فلسطين بالقوة لا بالضغوط السياسية كما كان يفعل هرتزل .. وكان شعاره "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بموجب توراة إسرائيل" وقد تخرج قادة كتلة الليكود فى هذا الحزب ..وهو ما يفسر تحالفهم الدائم مع الأحزاب الدينية والسماح لها بمشاركتها السلطة.

وفى العشرينيات تفرع عن "هموزراحى" التنظيم العمالى "هبوعيل هموزراحى" الذى سعى إلى تنظيم وتوحيد صفوف العمال المتدينين الذين رفعوا شعار "التوراة والعمل" .. وفيما بعد انقسم هذا التنظيم إلى فئة يسارية انضمت إلى الهستدروت وفئة يمينية حافظت على استقلالها النقابى.

لقد اتفق هموزراحى مع هرتزل فى الهدف .. إقامة الدولة .. ولكنه رفض فصل الدين عنها .. ومن ثم وجد الحزب نفسه فى المعارضة عندقيام إسرائيل .. وراح يكافح – مع أحزاب دينية مشابهة تكونت فيما بعد – التيار العلمانى الذى ساد الدولة وحكمها لمدة ٢٩ سنة، كان حزب العمل خلالها فى السلطة.

وعلى عكس هموزراحى – الذى بدأ بالاتفاق ثم اختلف – وُلد حزب أجودات إسرائيل الذى بدأ بالاختلاف ثم اتفق .. إن آجودات إسرائيل تعنى رابطة إسرائيل .. وقد تشكل هذا الحزب فى عام ١٩٠١ من المتطرفين دينياً أو "الحرديم" الذين هاجموا الحركة الصهيونية وأفتوا بعدم جواز التعامل مع هرتزل. وفى اجتماع سرى عقد فى ألمانيا سنة ١٩٠٩ قرر الحرديم أن يصبح آجودات إسرائيل تنظيماً عالمياً .. ولكن هذا التنظيم لم يباشر العمل ضد الحركة الصهيونية إلا فى عام ١٩١١ عندما أعلن المؤتمر الصهيونى علمانية الحركة .. وانشق عن المؤتمر بعض المتدينين المعتدلين واتجهوا إلى أجودات إسرائيل وعقدوا معه اجتماعاً فى عام ١٩١٢ انتهى بإعلان "مجلس حكماء التوراة .. أو موعتيست جدولى هتوراه".

فى سنة ١٩١٩ أقيم لأجودات إسرائيل فى القدس فرع نشط إعلامياً ضد الحركة الصهيونية باعتبارها العدو الأكبر للأمة اليهودية لأنها تضع شعب الله المختار على قدم المساواة مع باقى شعوب العالم فى سعيها لبناء وطن قومى لليهود .. وهكذا لم تنضم أجودات إسرائيل إلى المؤسسات الصهيونية العالمية التى تهتم بشئون الاستيطان وبناء الوطن القومى فى فلسطين.

ولكن هذا الرفض آخذ ينكمش خطوة ..خطوة .. ففى سنة ١٩٣٧ قرر مجلس حكماء التوراة إمكانية قيام دولة، بشرط .. أن تكون دولة دينية فقط .. التوراة دستورها .. والحاخامات سادتها .. وليس فيها آى شكل آخر من أشكال الحكم المعاصر .. الأحزاب .. البرلمان .. الانتخابات .. مثلاً.

ثم بدآت آجودات إسرائيل ترى "فى بناء وطن قومى لليهود ملجأ مؤقتاً يقى اليهود شركوارث المهجر" .. وتعاونت مع المنظمات الصهيونية التى توجهت إلى الاستيطان المنظم فى فلسطين .. ولكن هذا الموقف المعتدل والمفاجىء آدى إلى انشقاق المتطرفين فى عام ١٩٣٩ الذين شكلوا

جماعة نيتورى كارتا .. أو حراس المدينة .. أو حماة القلعة .. أو جماعة التكفير والهجرة على الطريقة اليهودية.

والنيتورى كارتا يرفضون الاعتراف بدولة إسرائيل .. "لأن المسيح لم يبعث بعد" .. ولأن المخلص الحقيقى لايأتى على أصوات المدافع وجثث القتلى ولا يبارك الدم والموت والأراضى المغتصبة .. وهو فى رأيهم "سوف يأتى فى صمت كما يفعل اللصوص فى الليل" .. ولا أحد منهم يخدم الدولة أو يجند فى الجيش أو يأكل خارج بيته، وملاذهم الوحيد هو التفتيش فى أسرار التلمود الدفينة .. وهم يعيشون فى عزلة فى حى "ماى شياريم" فى القدس ويلقون الحجارة على السيارات التى تنتهك حرمة يوم السبت وعلى النساء غير المحتشمات.

ثم تغيرت وجهة نظر أجودات إسرائيل تماماً فى الدولة وبدأت ترى فيها "بداية الخلاص" وإن أكدت على أن واجبها يتمثل فى السعى لضمان الطابع الدينى فى الحياة اليومية لمواطنى هذه الدولة.

وقبيل انتخابات الكنيست الأولى توحدت الأحزاب والحركات الدينية وخاضت الانتخابات وحصلت على ١٦ مقعداً .. وهكذا وُلدت الجبهة الدينية التى أخذت اسم المفدال أو الحزب الوطنى الدينى فى عام ١٩٥٦ الذى أصبح الشريك الأساسى فى الائتلافات الحكومية التى قادها حزب الماباى وبعده المعراخ وحتى وصول الليكود إلى الحكم.

ويدعم المفدال كل المواقف السياسية المتطرفة .. فهو يؤمن بأن دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات .. وأن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لليهود .. وهو لا يذكر الفلسطينيين لأنه لا يعترف بوجودهم .. ويدعم الاستيطان فى الجولان والضفة الغربية ويعتبرها أراضى يهودية محررة .. ويقف بضراوة وراء جماعة جوش إيمونيم المتطرفة.

ولكن الحزب انقسم حول اتفاقيات كامب ديفيد ولم يوحد وجهة نظره فى موضوع السيادة اليهودية على جميع أرجاء "أرض إسرائيل" فانشق حاييم دروكان وأسس كتلة "متساد" عام ١٩٨٣ التى أخذت من المفدال زعامة التشدد ثم فقد الحزب قواعده فى أوساط جماعة جوش إيمونيم الذين راحوا إلى حركة هتحيا الأشد تطرفاً.

وهذا هو التفسير الوحيد لكثرة الانقسامات فى الأحزاب الدينية .. فالفرع لابد أن يكون أكثر قسوة وصلابة من الأصل حتى ينفصل عنه والبقاء فى النهاية للأشد تطرفاً.

إن كل الحركات والأحزاب الدينية – وعددها يزيد على ٣٦ حزباً وحركة – تتبارى على التطرف وقد فهم نتانياهو ذلك فراح يزايد على الجميع.

ونتانياهو هو أول رئيس وزراء لإسرائيل لا يتربى فى إسرائيل .. فقد تربى فى الولايات المتحدة .. حيث كان أبوه يعمل باحثاً هناك .. كان نتانياهو طالباً فى مدرسة ثانوية فى فيلادلفيا عندما قامت حرب يونيو .. وكان طالباً فى إحدى الجامعات الأمريكية عندما قامت حرب أكتوبر ..

وقضى معظم سنوات عمله دبلوماسياً فى سفارة إسرائيل بواشنطن .. أو فى البعثة الإسرائيلية لدى الأمم المتحدة فى نيويورك .. إن ابتعاده عن ساحة السياسة الداخلية فى إسرائيل جعله يراهن على الجواد الرابح الوحيد وهو التشدد والتطرف والمبالغة ليعوض إحساسه بالخوف من اتهامه من قبل الإسرائيليين بأنه زعيم أنابيب وُلد خارج الرحم .. أو خارج الحدود.

كما أن وجوده فى الولايات المتحدة جعله على علاقة قوية بالمنظمات اليهودية الأمريكية .. وهى منظمات ثرية ويمينية .. متطرفة ومؤثرة .. وقد فتحت له الأبواب الخفية .. السرية .. فتعلم اللعب فى الممنوع .. والضرب تحت الحزام .. إن علاقاته المريبة بعصابات المافيا والمخابرات المركزية صنعت منه شخصية فهلوية جريئة تلعب بالبيضة والحجر وتعرف كيف تتكلم أمام الكاميرات وكيف تسرق الضوء من أكثر الناس علماً وثقافة ووجاهة.

****

لكن .. إسرائيل احتجت على سخرية المصريين منه .. وقالت : إن نتانياهو يعنى بالعبرية عطية الله .. ووجدها المصريون فرصة ليطلقوا عليه "عطية الإرهابية" وهو اسم مسرحية ضد الإرهاب لسيدة المسرح المعتزلة سهير البابلى .. ولم تستطع إسرائيل الاحتجاج مرة أخرى .. فالحكومة تستطيع القبض على من يوزع المنشورات .. لا النكات .. ثم إن الإسرائيليين أنفسهم يسخرون من نتانياهو .. ويقولون أنه اكتشف أن السلام ليس يهودياً .. فقرر إجراء عملية ختان له .. لكنه استخدم ماكينة قص الحشائش بدلاً من مشرط الجراح.

وقيل أنه طلب من سائقه أن يفسح مكانه ليقود السيارة قليلاً .. لكنه لم يتمكن من إدخال مفتاح الكونتكت فى مكانه .. وعكسه .. فقال السائق :

- الأسنان لأعلى يا بيبى .. الأسنان لأعلى.

فرفع نتانياهو ذقنه موجهاً أسنانه إلى السقف.

وقال أحد زعماء جماعة "السلام الآن" : إننا نعتقد أن نتانياهو - الذى يهتم كثيراً بصورته التليفزيونية - يبدو مثل الذى يكتفى بالقميص والجاكتة والكرافتة .. لكنه ينسى بنطلونه .. ولا يفكر فيه . . أو هو مثل المنحوس الذى يسقط بنطلونه فى حفل زفافه.

وفى أول زيارة له للقاهرة وضع الساخران أحمد رجب ومصطفى حسين اسم نتانياهو باللغة العبرية على سيارة تقف أمام بوابة مكتوب عليها "ممنوع الدخول" .. ومن خلفها لوحة تمثل وتلخص مصر .. مسجد وكنيسة ونخلة وبرج حمام.

وفى ١/٢ كلمة كتب أحمد رجب : "لقد انتهت الزيارة قبل أن تبدأ .. لأنه لو كان نتانياهو يزور القاهرة لنعرف وجهة نظره فقد أحطنا بها .. ولو كانت الزيارة ليعرف وجهة نظرنا .. فهو يعرفها .. مع "السلامة".

على أن أكثر ما أثار غضب نتانياهو قول إحدى صحف المعارضة : إن هواء القاهرة أصابه التلوث بسبب أنفاسه فى الساعات التى قضاها فى العاصمة المصرية .. وخرج رسام روز اليوسف "جمعة" وهو يرش الجو بعد الزيارة بمعطر الهواء.

****

يقول سبالدنج : إن التهكم اليهودى عندما يكون موجهاً لأمة أخرى يكون حاداً ولاذعاً وقاسياً .. مثل النكات التى سخرت من العرب بعد هزيمة يونيو .. ومثال ذلك المقولة اليهودية الشهيرة .. "المشكلة فى أكل وجبة ألمانية هى أنك ستجوع بسرعة مرة أخرى" .. والمقولة الشهيرة الأخرى التى تعرّف المسيحى بأنه هو الشخص الذى يصر على أكل لحم الخنزير على الخبز الذى يأكله اليهود فى ذكرى خروج أجدادهم من مصر.

ويقول أيضاً أن اليهود ينزعون للسخرية من الأشياء المقربة والمحببة لقلوبهم كذلك .. فهم يسخرون من أحبائهم ودينهم والمثل العليا ودولتهم .. بل وجهاز المخابرات أو الموساد الذى يحميهم.

فبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ أحس الإسرائيليون بالخطر وشاعت نكتة عبارة عن نداء فى ميكروفون مطار بن جوريون الدولى يقول :

- على آخر إسرائيلى يغادر أرض المطار إطفاء الأنوار.

وسُئل إسرائيلى :

- كيف تحقق ثروة صغيرة فى إسرائيل ؟

وكانت إجابته :

- أذهب بثروة كبيرة إلى هناك.

وبعد سقوط العديد من الجواسيس الإسرائيليين على أيدى المخابرات المصرية نشرت إحدى الصحف الإسرائيلية النكتة التالية :

صدرت أوامر الموساد إلى الجاسوس اليهودى برمان بالاتصال بعميل لهم فى القاهرة اسمه شابيرو .. وكانت كلمة السر المتفق عليها عند اللقاء هى : الشمس تشرق الآن.

وفى القاهرة وجد برمان أن شابيرو يسكن فى عمارة من أربعة طوابق .. وحيث إن برمان جاسوس مشهود له بالكفاءة وحسن التصرف، فقد راح يقرأ صناديق البريد المعلقة فى المدخل للتعرف على الطابق الذي يقيم فيه شابيرو .. لكن المدهش أن برمان فوجيء بأن هناك اثنين شابيرو فى العمارة .. لذلك جرب أول شابيرو فدق جرس الباب .. وفتح شابيرو الأول فسأله برمان :

- هل أنت شابيرو ؟

- نعم أنا شابيرو.

- الشمس تشرق الآن.

- آوه .. لا .. آنا شابيرو أستاذ اللغة الفرنسية .. إنك تريد شابيرو الجاسوس .. هو فى الطابق الثالث.

****

كل الإسرائيليين الذين يعيشون فى أمريكا قرروا أن يطلبوا من الرئيس الأمريكى أن يوفر لهم ولاية منفصلة .. وتحققت أمنيتهم .. لكن المفاوضات انهارت عندما فشلوا فى العثور على شخص يقبل أن يكون سفيرهم فى إسرائيل.

****

قبل التوقيع على معاهدة كامب ديفيد .. اجتمع أنور السادات وجيمى كارتر ومناحم بيجن .. لقد انتهوا من وضع بنود المعاهدة .. وراحوا يناقشون أوضاعهم الداخلية .. والمشاكل الصعبة التى يواجهها بلد كل منهم ..

قال السادات :

- إن التطرف الإسلامى يقف لى بالمرصاد.

وقال كارتر :

- إننى مسئول عن أكثر من ٢٠٠ مليون أمريكى.

وقال بيجن :

- وما رأيكما فى أن يكون الواحد رئيساً لثلاثة ملايين رئيس فى إسرائيل ؟

****

أثناء وجود الاتحاد السوفيتى أصدرت المحكمة الشيوعية حكماً بالإعدام على المساجين السياسيين الثلاثة .. وقبل تنفيذ الحكم دُعى الثلاثة للمثول أمام قائد السجن لتلبية رغباتهم الأخيرة.

قال المسجون الأول وهو قوقازى :

- أريد بعض الفودكا.

فى الحال نفذوا طلبه.

وقال السجين الثانى :

- آريد أن يحفر اسمى على قبرى كعضو من أعضاء الحزب الشيوعى.

- لكنك لست شيوعياً ؟!

- أريد أن يفهم الناس أنه بموتى نقص عدد الأشرار فى العالم واحداً.

الضحية الثالثة كان يهودياً .. وقد ضُبط متلبساً بمحاولة الهروب إلى أمريكا .. وكان طلبه طبقاً من الفراولة بالكريمة.

فاعتذر الضابط :

- آسف .. فنحن الآن فى منتصف الشتاء .. ولا توجد فراولة حالياً .. إنها لن تتوافر قبل الصيف القادم.

قال اليهودى :

- سأنتظر !

****

يهودى يريد الانضمام إلى الحزب الشيوعى السوفيتى .. عندما كان هذا الحزب يحكم الاتحاد السوفيتى قبل سقوطه .. سأله المسئول :

- أيها الرفيق .. قبل أن تقبل فى الحزب .. لابد أن تجتاز امتحاناً شفهياً .. والآن لنفترض أن أحدهم مات وصرت أنت وصياً على عشرة آلاف روبل .. فماذا تفعل ؟

- أعطى خمسة آلاف روبل للحزب وأحتفظ بالباقى لنفسى.

- برافو .. وافترض أن لك منزلين ؟

- أعطى واحداً للحزب وآحتفظ بالآخر لنفسى.

- ممتاز .. والآن افترض أن عندك بنطلونين ؟

تردد اليهودى متلعثماً :

- أعتقد أن هذا السؤال محرج يا سيدى، فأنا بالفعل أمتلك بنطلونين !

****

بائع يهودى متجول لم يستطع أن يكمل رحلته إلى بتروجراد فى روسيا بسبب عاصفة ثلجية شديدة .. قال له ناظر محطة القطارات :

- إن القطارات ستسير مرة أخرى فى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى بعد إزالة الجليد من طريقها.

ولم يكن فى استطاعة المسافر إلا آن يذهب إلى الفندق الوحيد فى البلدة .. لكن جميع الغرف كانت مشغولة إلا آن عامل الاستقبال كان طيباً واقترح عليه النوم مع شخص آخر فى الغرفة الوحيدة التى بها سريران.

تنفس الرجل الصعداء وقال :

- شكراً لله .. كنت خائفاً أن آضطر للنوم فى الصقيع الليلة.

قال العامل :

- انتظر لحظة .. يجب آن أقول لك شيئاً .. إن ساكن الغرفة الآخر جنرال فى جيش القيصر ولكنى سأسأله إذا كان سيوافق آن تشاركه الغرفة آم لا ؟

قال اليهودى فى يأس :

- لا تتعب نفسك لن يقتسم الجنرال الغرفة مع يهودى.

ثم فكر قليلاً وأضاف :

- اسمع .. عندى فكرة .. ربما أستطيع النوم فى ذلك السرير .. إن الوقت متأخر الآن ولابد أن الجنرال غارق فى النوم .. ويمكننى أن أتسلل فى الظلام دون أن يشعر .. على أن أستيقظ مبكراً لألحق قطار الساعة السادسة .. فى هذه الساعة المبكرة من الصباح سيكون نائماً ولن يعرف أبداً آننى كنت فى السرير الآخر .. فقط تأكد أنك ستوقظنى فى الموعد.

وافق عامل الفندق .. وبهدوء دخل اليهودى على أطراف أصابعه إلى حجرة الجنرال القيصرى وبدون أن يُحدث صوتاً .. وهو خائف حتى أن يتنفس .. خلع ملابسه وذهب للنوم .. وفى الصباح آيقظه عامل الفندق فى الموعد المحدد .. ولكن فى حلكة ما قبل الفجر ارتدى الضيف اليهودى بدون قصد ملابس الجنرال وأسرع ليلحق بالقطار .. وفى الطريق لاحظ أن كل من يلتقى به ينحنى ويحييه باحترام بالغ .. وتساءل :

- كيف عرفوا آننى شاركت جنرالاً فى غرفته ؟

التقى بكابتن وميجور وحياه كلاهما باحترام .. وفى مكتب حجز التذاكر أعطاه الموظف تذكرة درجة أولى وخصص له مقصورة.

وسأل نفسه وهو مأخوذ من هذه المعاملة غير المعتادة :

- كيف يتعامل يهودى بهذه الطريقة المميزة ؟

فى مقصورة القطار فكر أن بقاءه ليلة مع ضابط قيصرى عظيم قد يكون - على الأرجح - قد أضفى عليه هيئة أرستقراطية .. فوقف أمام المرآة وحملق وتفحص ملامحه .. ربما يكون قد تغير شىء فى مظهره .. وعندما توصل إلى ذلك ارتسمت على وجهه أمارات الصدمة وقد وجد زى الجنرال .. وصاح :

- هذا المغفل عامل الفندق .. طلبت منه أن يوقظنى وبدلاً من ذلك أيقظ الجنرال .. الآن كيف سألحق بقطار السادسة وأنا مازلت نائماً فى الفندق ؟.

****

يقول سبالدنج :

هناك مقولة يهودية مأثورة تستخدم إلى اليوم فى جميع أنحاء العالم وهى : اسأل سؤالاً أحمق تحصل على إجابة حمقاء .. وهذه المقولة لا تنطبق مثلما تنطبق على قصة نابليون وحائك الملابس اليهودى، وقد ترجمتها من كتاب "الفكاهة الشعبية اليهودية" للكاتب إيمانويل أولسفانجر.

تراجع الإمبراطور نابليون من روسيا. وخلال انسحابه مر بجماعة من اليهود. كان العدو فى أعقابه .. وكان يخشى على حياته .. وبحث عن ملجأ .. ودخل منزلاً كان يعيش فيه خياط يهودى .. وبصوت مرتعش توسل نابليون للخياط :

- خبئنى بسرعة .. لو وجدنى الروس سيقتلوننى.

وبالرغم من أن الخياط البسيط لم يكن يعرف من هو هذا الغريب تحركت مشاعر الشفقة لديه .. وقال للإمبراطور :

- ادخل تحت السرير وارقد هناك.

ودخل نابليون تحت السرير وأهال عليه الخياط الفراش وبعدها بقليل انفتح الباب واندفع الجنود الروس مدججين بالسلاح وسألوا بخشونة :

- هل يختبىء أحد هنا ؟

وتساءل الخياط :

- من هذا الأحمق الذى يختبىء فى منزلى.

وانقض الجنود على كل ركن فى البيت ولكنهم لم يعثروا على أحد .. وقبل أن يغادروا البيت آخذوا يضربون السرير بأسلحتهم عدة مرات .. وعندما أُغلق الباب وراءهم فى النهاية خرج نابليون من تحت كومة الفراش وهو شاحب كالموتى يتصبب عرقاً .. ولكنه كان آمناً .. واستدار للخياط قائلاً :

- أريدك أن تعرف أننى الإمبراطور نابليون ولأنك أنقذتنى من الموت يمكنك أن تطلب منى ثلاثة أشياء .. سأنفذها لك مهما كانت.

فكر الخياط برهة ثم قال :

- يا صاحب الجلالة .. إن سقف بيتى به ثقوب وليس لدى المال لأصلحه .. هل تتفضل وتفعل ذلك ؟

وتعجب نابليون نافد الصبر :

- أيها الأحمق .. هل هذا هو أعظم ما تطلبه من إمبراطور .. ولكن لا عليك سأعمل على إصلاح سقف بيتك .. والآن يمكنك أن تقول أمنيتك الثانية ولكن تأكد هذه المرة أنها شىء له قيمة.

حك الخياط البسيط رأسه وظل حائراً .. ماذا يستطيع أن يطلب ؟ .. وفجأة أشرق وجهه وقال :

- منذ عدة شهور يا صاحب الجلالة فتح خياط آخر محلاً على الطريق وهو يفسد علىّ عملى .. فهل سيكون شاقاً عليك أن تطلب منه أن يجد لنفسه مكاناً آخر ؟

وصاح نابليون باحتقار :

- يا لك من أحمق .. حسناً يا صديقى سأطلب من منافسك أن يذهب للشيطان .. والآن عليك أن تحاول وتفكر فى شىء مهم حقاً .. وضع فى اعتبارك أن هذه هى الأمنية الأخيرة لك. وعقد الخياط حاجبيه وأخذ يفكر ويفكر .. وفجأة لاحت نظرة شيطانية فى عينيه وتساءل بفضول شديد :

- عفواً أيها الإمبراطور ولكنى أحب أن أعرف بم شعرت عندما كان الجنود الروس يضربون أسلحتهم فى السرير ؟

وصاح نابليون وقد سيطر عليه الغضب :

- أيها الوقح كيف تجرؤ على توجيه مثل هذا السؤال إلى إمبراطور ؟ .. بسبب وقاحتك سأطلق عليك النار فى الفجر.

واستدعى ثلاثة جنود فرنسيين وضعوا الخياط فى الأصفاد وقادوه إلى السجن .. وفى تلك الليلة لم يستطع الخياط أن ينام .. وبكى وانتحب .. وانتحب وبكى .. ثم تلا صلاة الاعتراف

وشعر بالسلام مع الله.

وعند الفجر آخذوه من زنزانته وقيدوه إلى شجرة واصطفت فرقة من الرماة فى مواجهته وصوبوا بنادقهم نحوه .. وعلى مقربة منه وقف ضابط يحمل ساعة فى يده ينتظر ليعطى إشارة إطلاق النار .. ورفع يده وبدأ يعد .. واحد .. اثنان ... ولكن قبل أن ينتهى جاء أحد معاونى الإمبراطور على حصان وهو يصيح :

- توقفوا .. لا تطلقوا النار.

ثم ذهب للخياط وقال له :

- مولاى الإمبراطور عفا عنك وطلب منى أن أعطيك هذه الورقة.

وتنفس الخياط الصعداء وبدأ يقرأ ما كتبه نابليون ... "لقد أردت أن تعرف بم شعرت وأنا تحت السرير فى منزلك .. حسناً لقد عرفت الآن".

****

إن نابليون كان من أوائل زعماء العالم الذين غازلوا اليهود .. لقد فهم نابليون وهو يقود حملته العسكرية إلى مصر أن الدين يحكم شعوب الشرق .. فادعى أن الرسول زاره فى المنام .. وأنه سيقيم دولة إسلامية حسب شريعة الله .. ونجح فى خداع العامة وعلماء الأزهر .. ووزع منشورات يعترف فيها بأنه مسلم وموحد بالله .. وهى قصة أصبحت شهيرة فى التاريخ المصرى وقد كشفت الكثير من تفاصيلها القديمة فى كتاب "صلاة الجواسيس" عن استعمال الدين فى السياسة .. واستخدام النبوءات فى تنفيذ مخططات أجهزة المخابرات .. لكن محمد حسنين هيكل فى كتابه "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل" يضيف بعداً آخر .. هو أن نابليون - الذى لعب بورقة الإسلام فى مصر - لعب بورقة اليهودية فى فلسطين .. ووزع منشوراً أمام أسوار القدس بعد أن استعصت عليه، كان نداءً ليهود العالم الذين وصفهم بأنهم "الورثة الشرعيون لفلسطين" .. وبأنهم "الشعب الفريد الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومى وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط" .. ثم طالبهم بأن "ينهضوا بقوة .. فأمامهم حرب مهولة" يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التى ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم ... لابد من نسيان ذلك العار الذى أوقعكم تحت نير العبودية وذلك الخزى الذى شل إرادتكم لألفى سنة. إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها. بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلى عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهى تفعل ذلك فى هذا الوقت بالذات وبالرغم من شواهد اليأس والعجز".

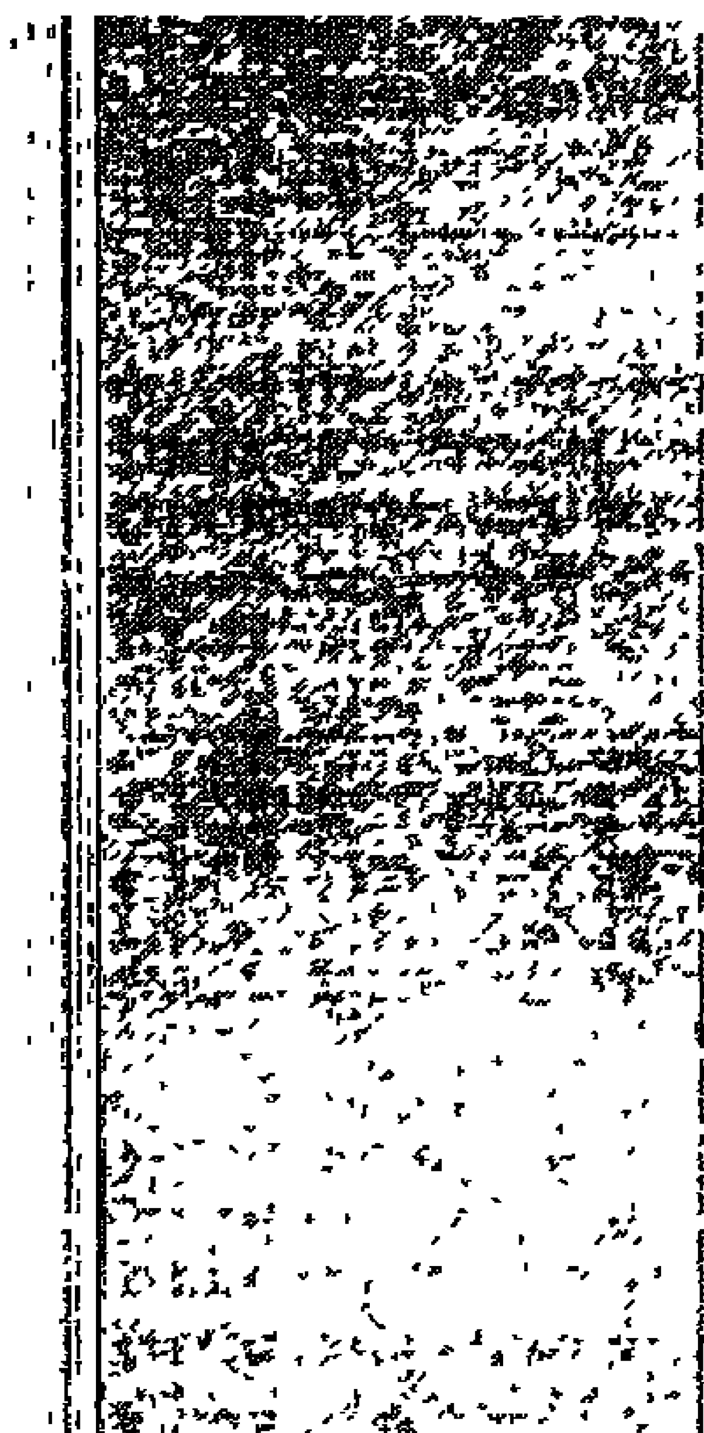
ويستطرد : "إن الأمة الفرنسية التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء .. انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد

شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفاً لإسبرطة وروما وإن معاملة العبيد التى طالت ألفى سنة لم تفلح فى قتل هذه الشجاعة".

إن الوجه الآخر لنكتة الخياط والإمبراطور وثيقة خطيرة من نابليون إلى يهود العالم يدعوهم لوطنهم القومى فى فلسطين، فى وقت لم يكن ذلك مطلباً ملحاً وإنما كان أشبه بأمنية بعيدة على الشجر.

****

وهكذا تبدو النكتة السياسية اليهودية غير متجانسة .. فهى خليط من الغرور والعجز والغطرسة واليأس والتحايل والإحباط .. ولعل السبب التناقض والقلق الذى يعيش فيه اليهود .. فهم يشعرون بالتفوق والدونية فى نفس الوقت .. ويشعرون بالزهو والخوف فى نفس الوقت .. ويصعب فى مثل هذه الحالات النفسية أن تكون النكتة مستقرة سياسياً .. إنها حسب الحالة .. مرة فى السماء .. ومرة فى الأرض .. ويضاعف من هذا الاضطراب أنهم لا ينسون كل ما جرى لهم .. ويسعدهم الألم أكثر مما يفرحهم الواقع .. فهم نسيج معقد لا يمكن تفسيره إلا فى عيادة الطبيب النفسى .. وقد انتبه لذلك سيجموند فرويد وهو واحد منهم .. فراح يغرق فى أساطيرهم ونكاتهم وتصرفاتهم .. ومنذ ذلك الوقت – قبل أكثر من قرن من الزمان – وهو غارق .. لم يطفُ على السطح بعد .. وهذه قصة أخرى.



شرف اليهودى
ليس فى زوجته !

فى إحدى المجلات النسائية كان السؤال :

- ما الذى تقوله المرآة الفرنسية وهى تمارس الجنس مع زوجها ؟

تقول :

- آه .. يا للروعة.

- وماذا تقول المرآة الإيطالية ؟

تقول :

- آه ..شىء ممتع.

- وماذا تقول المرآة اليهودية ؟

تقول :

- سام .. السقف يحتاج إلى إعادة طلاء.

****

كلفت اللجنة اليهودية والجمعية التاريخية فى أمستردام عالماً ومؤرخاً بارزاً فى علم اللاهوت بترجمة مخطوطات البحر الميت إلى لغة الحياة اليومية السهلة .. وبعد حوالى ثلاثة أعوام من العمل الشاق اختفى كل ما فعله.

وصرخ الرجل فى زوجته :

- هيلدا .. ماذا حدث لأوراقى ؟

قالت هيلدا :

- كل شىء على ما يرام يا سام .. لقد نظفت مكتبك من كل الأوراق المستعملة وحرقتها .. أما الورق الأبيض فقد وضعته فى درج مكتبك.

****

يهودى : لماذا خلق الله الرجل قبل المرأة ؟

الحاخام : لأنه لم يرد اعتراضاً من أحد على كيفية خلق الرجل !

****

فى اليهودية .. المرآة ليست مخلوقاً من الدرجة الثانية وإنما من الدرجة العاشرة .. يجب أن تطيع

زوجها حتى فى المعصية .. وفى التوراة .. إن إبراهيم قبل النبوة انحدر إلى مصر هو وزوجته سارة أو ساراى بعد "أن حدث جوع فى الأرض وكان شديداً" .. وعلى أبواب مصر قال لها : انت امرأة جميلة .. ساحرة .. لو رآك المصريون سيقتلوننى ويستبقونك .. "قولى أنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك" .. واستجابت سارة .. فلما دخلا مصر آخذها إلى فرعون .. ونال خيراً من وراء ذلك .. ثروة من الماشية والعبيد والجوارى .. لكن .. الرب "ضرب فرعون وبيته ضربات عظيمة "فذهب فرعون يؤنب إبراهيم على ما فعله .. ثم طردهما .. "خذها واذهب" ... و"شيعوه إلى خارج الديار".

وفى التوراة أيضاً .. لا يتعلم إبراهيم الدرس .. ويكرر ما فعل فى أرض ملك فلسطين "أبيمالك" .. ويتدخل الرب مرة أخرى لإنقاذ شرف إبراهيم الذى فرط فيه مقابل العبيد والماشية .. أما زوجته فلا حق لها أن تعترض.

وحسب التلمود .. ليس للمرأة اليهودية أن تبدى أدنى شكوى "إذا زنى زوجها فى المسكن المقيم فيه معها". [١]

ولا يخطىء "اليهودى مهما فعل مع زوجته .. فهى بالنسبة له كقطعة لحم اشتراها من الجزار .. يمكنه أن يأكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته". [٢]

وحدث أن جاءت امرأة إلى الحاخام وشكت له أن زوجها يأتيها على خلاف العادة، فأجابها : "لا يمكننى أن أمنعه عن هذه المسألة يا ابنتى لأن الشرع قدمك قوتاً لزوجك". [٣]

ويلزم أن يكون حاضراً فى المعبد عشرة أشخاص ذكور فإذا حضر تسعة فقط ومليون امرأة لم يكف هذا العدد للإتيان بأى واجب دينى .. "لأن المرأة تُحسب صفراً". [٤]

ولو كانت المرأة اليهودية صفراً عند اليهود فإن المرأة غير اليهودية ليست إنساناً عندهم وإنما هى بهيمة .. لا خطيئة ولا جريمة لو اغتصبها يهودى.

وفى التلمود ما هو أشد غرابة .. لقد جاء فيه : "إن من رأى أنه يجامع أمه فسيؤتى الحكمة" .. وفى كتاب "الأمثال" المقدس بين اليهود .. إن الحكمة تدعى "والدة" .. وفيه أيضاً : أن من يرى أنه يجامع خطيبته فهو محافظ على الشريعة .. ومن يرى أنه يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل .. ومن يرى أنه يجامع امرأة قريبه فله الحياة الأبدية.

****

ويقول سبالدنج : إنه ليس هناك أناس يسخرون من أمهاتهم مثل اليهود .. الأم اليهودية نموذج لسخرية أبنائها .. لكنها "سخرية لا تخلو من الحنان" على حد قوله.

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود .. السابق الإشارة إليه .. انظر فصل المرأة ص ٩٥.

ويروى نكتة عن أم يقاتل أبناؤها الثلاثة فى الجيش وتخدم ابنتها فى البحرية .. ويعمل زوجها فى مصنع ذخيرة .. كان ذلك فى الحرب العالمية الثانية .. وقد قررت الأم أن تفعل شيئاً فتطوعت فى مستشفى للمساعدة فى تقديم الإسعافات الأولية وسألتها كبيرة الممرضات :

– ماذا تفعلين لو أن القنابل سقطت فجأة وملأ القتلى والجرحى الشوارع ؟

أجابت :

– سأجلس على مقعد ثم أميل للأمام حتى يلمس رأسى ركبتى وسيحمينى هذا من الإغماء.

****

وفى مأدبة أقيمت من أجل تكريم صهيونى شهير، وقف ستة من المتحدثين ليثنوا على ضيف الشرف وراحوا يؤكدون على كرمه وأمانته وإحساسه بالواجب ومساهمته فى أعمال الخير .. فمالت الأم على ابنها وهمست :

– ما هى الحكاية ؟ لماذا يحتاج هذا الرجل الشهير لكل هؤلاء الشهود ؟

****

ورغم التشدد اليهودى مع المرأة فإن بعض الحاخامات يرون أنها لو مارست الجنس مع غير اليهود فإنها لم تزن .. لأن غير اليهود حسب التلمود حيوانات .. وممارسة الجنس مع الحيوانات ليست زنى .. "إن الزنى بغير اليهود ذكوراً وإناثاً لا عقاب عليه لأن الأجانب – أى غير اليهود – من نسل الحيوانات".

وقد صرح حاخام فرنسى عاش فى القرن التاسع عشر فى فرنسا ليهودية أن تتزوج بمسيحى تهود مع أنها كانت عشيقته قبل الزواج، فقد اعتبر الحاخام هذه العلاقة كأن لم تكن "لأنها أشبه بنكاح الحيوانات".

ويعتقد اليهود أن المرأة مخلوق للإغراء والإغواء .. وأنها لا تضع حداً لشهواتها .. وفى قصة لوط .. تقول التوراة أنه سكن فى مغارة مع ابنتيه .. بعيداً فى الجبل .. وقالت البكر الصغيرة : "أبونا شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض .. هل نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاً" .. ونفذت الخطة .. ليلة بعد أخرى .. ولم يعلم لوط "باضطجاعهما" .. كيف ؟ لا تجيب التوراة.

وليس فى اليهودية أطفال غير شرعيين بشرط أن تنجب المرأة اليهودية من يهودى .. فالأطفال للأم .. مهما كان موقعها .. زوجة أو عشيقة.

وموقف اليهودية من المرأة يثير الدهشة .. مع أن فى تفسيرها لقصة خلق آدم وحواء مساواة بينهما .. فهم يقولون أن الله أخذ تراباً من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة .. وخلقها جسماً ذا

وجهين ثم شطره نصفين .. فصار أحدهما آدم .. والثانى حواء .. منتهى المساواة التى انقلبت مع مرور العصور إلى تمييز وتعذيب واحتقار وإهانة وقيود غريبة.

فلو خرجت المرأة من الحمام ثم رأت شيئاً نجساً مثل الكلب والحمار أو الخنزير أو الجمل .. أو رأت مجنوناً أو مجذوماً أو شخصاً من ديانة أخرى عليها أن تعيد الاغتسال والتطهر .. فلا فرق عندهم بين الحيوان وغير اليهودى .. وغير اليهودى هو حيوان خلقه الله فى صورة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم .. فهم جزء من الله .. ولو لم يخلقهم الله لانعدمت البركة فى الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش كما فى التلمود.

وبعض الطوائف اليهودية أو أغلبها لا يمانع أن تتجمل المرأة يوم زفافها .. لكن هناك من يرى أن ديانته تفرض على العروس أن تحلق رأسها بالموسى قبل الزفاف بليلة .. ويتكرر ذلك كل ٢٨ يوماً .. حتى لا يجد فيها أى رجل - بخلاف زوجها - ما يُغرى .. هذا إذا وجد فيها زوجها ما يُغرى.

وهى وسيلة إجبارية للعفة .. عفة الرجال الآخرين .. وربما عفة الزوج أيضاً .. وقد علقت إحدى زعيمات تحرير المرأة فى إسرائيل على ذلك بقولها : عندما يطفأ النور لن يعرف الزوج الفرق بين رأس المرأة ومؤخرتها .. فلا فرق بينهما عنده.

وتُسمى هذه الطائفة بالهاسيديين .. وهم يشتغلون بتقطيع الماس .. أهم وأغلى ما تتزين به المرأة .. "بيزنس إز بيزنس" .. والعجيب أن رجال هذه الطائفة يتباهون بشعورهم الطويلة !

وعموماً لا تحترم الطوائف المتدينة المرأة .. وتعتبرها متاعاً للرجل ومصنعاً للأطفال وهى يجب أن تتبع زوجها وتكسب قدرها منه .. ولا يحق لها أن تعرض التوراة .. أو تتحدث عنها .. هذه خطيئة .. والزواج يعفيها من الخدمة العسكرية .. فالخدمة المنزلية أشق .. وليس من حقها أن تشكو .. وليس من الدين أن ترأس امرأة الرجال .. لذلك فجولدا مائير التى تولت رئاسة الوزراء فى وقت من الأوقات "كافرة" .. والوزراء وقادة الجيش الذين نفذوا أوامرها أسوأ منها .. هم غير محترمين .. أو غير رجال .. وهذه النظرة تتسع مع ازدياد نفوذ المتدينين .. وهذا يعنى أن المرأة فى إسرائيل عليها الخوض فى حرب طاحنة من أجل المساواة الاجتماعية لا الدينية .. فالتراجع إلى الوراء سمة تزدهر فى إسرائيل.

ويرى المتدينون أن المرأة يجب أن تغطى شعرها وألا تلبس البنطلون وأن تكون أكمام ثيابها طويلة وألا تستحم فى البحر مع غرباء .. وهم يقولون : "أن المسيح المخلص يمكن أن يأتى فى أى لحظة .. فكيف يكون الحال إذا ما وجدها بالشورت الساخن أو بالبكينى ؟"

وفى كتاب " التمزق" لجان فرنسيس هيلد تعترف امرأة يهودية من جماعة جوش إيمونيم "فى خجل واضطراب بعض الشىء" ...

"إنه عندما تصاب المرأة بنزيف، تحضر ملابسها الداخلية للحاخام كى يقرر عند فحصها ما إذا كانت لاتزال حائضاً أم أنها أصبحت طاهرة .. وأشدهن ارتياباً يذهبن إلى الحاخام شهرياً كى يطمئنن تماماً".

****

وتصور النكات اليهودية المرأة فى صورة الثرثارة، التافهة، المشغولة بالجنس، وإنفاق أموال زوجها.

زمجر الأب الساخط :

– لآخر مرة يا راشيل لن أسمح لك بترك المدرسة .. مشكلتك أن كل الذى تفكرين فيه هو الشبان .. الشبان .. الشبان.

– ليس هذا صحيحاً يا دادى .. إن الوقت الوحيد الذى أفكر فيه فى الصبيان هو عندما أفكر.

****

اعتاد الحاخام كانز منلسون أن يسمع أغرب الحكايات من الأزواج والزوجات الذين يرغبون فى الطلاق، ولكن أغرب ما سمعه ذات مرة كان من السيدة روث يلحان التى زارته صباح يوم جمعة .. صبر عليها حتى انتهت من رواية طويلة مملة .. ثم قال :

– أفهم من كلامك أن العلاج الوحيد هو الطلاق.

فقالت :

– نعم الطلاق .. وبشروطى.

– شروطك ؟ .. وما هى شروطك ؟

– يجب أن يتركنى على الحالة التى أخذنى بها.

واتسعت عينا الحاخام من الدهشة والخجل .. وقال :

– سيدتى .. عفواً إن كنت قد فهمت خطأ .. ولكن هل تعنين أن يعيدك .. عذراء ؟

اندهشت المرأة من كلام الحاخام وتفكيره وقالت مستنكرة :

– لا .. لا .. لا .. لقد كنت أرملة قبله مرتين.

****

فنان شاب طلب من متعهد زيجات أن يعثر له على زوجة.

جاء المتعهد إلى الشاب ليقول :

- عندى لك الفتاة التى تناسبك كفنان مبدع.

فى اليوم التالى جاءت الفتاة .. ومن أول نظرة صعق الفنان الشاب .. فأخذ المتعهد بعيداً وسأله :

- ما نوع هذا الوحش الذى أتيت به ؟ .. عين فوق وعين تحت .. الأذن اليسرى طالعة للسماء والأذن اليمنى مبتورة .. والجبهة ممتدة من منتصف الرأس إلى منتصف الوجه فى انحدار مذهل.

- أنت رسام وفنان وتعرف أكثر من غيرك معنى هذه اللوحة التى أمامك .. اختر بنفسك .. هل تحب بيكاسو أم تكرهه ؟

- فى هذه الحالة أنا أمقته.

****

أرمل ثرى جداً، فى الخامسة والسبعين من عمره .. أراد أن يتزوج من جديد .. لكنه لا يريد أن يقبل بفتاة أكبر من ١٨سنة .. ذهب إلى متعهد زواج أوصله إلى عذراء شابة أعجبته من نظرة واحدة .. فقال لها فى لهفة :

- أين كنت طوال هذا العمر الذى أفنيته وحدى ؟

قالت :

- لم أكن قد وُلدت بعد !

****

الأم عماد الأسرة اليهودية .. أما الأب فعليه الأعباء المالية وتعليم الطقوس الدينية وتدبير فرص الترفيه والمتعة.

وعندما تموت الزوجة فإن الشريعة اليهودية تفرض على شقيقتها أن تحل محلها إلا إذا أعتقها الزوج ورفض الاقتران بها.

ولو مات الزوج أو فُقد فى الحرب فلابد من ظهور جثته أو مرور خمس سنوات على غيابه حتى تتزوج أرملته من آخر .. لذلك فالبحث عن جثث القتلى مهمة عسكرية واجتماعية ودينية ليس من السهل التفريط فيها، وكان دائماً أحد شروط التفاوض فى كل المباحثات السياسية من هدنة ١٩٤٨ إلى ما بعد اتفاقيات الصلح.

والزوجة التى يعود زوجها ليجدها متزوجة من آخر، تطلق من كلا الرجلين .. ومع أنه لا ذنب لها

فإنه لا أحد يسعى للزواج منها .. فقد أصبحت فى الوحل .. ومن العار الزواج منها.

ولا يمكن للمرأة أن تتزوج رجلاً تورطت معه فى علاقة جنسية إذا كان متزوجاً حتى بعد طلاقه.

وإذا كُشفت خيانة المرأة لا تعود إلى زوجها .. مواخير تل أبيب هى مأواها الوحيد. وفى التلمود أن الذى يعيش بلا أنثى محبب إلى الله أكثر من غيره، والدليل على ذلك أن الحوت هو أحب الحيوانات إلى الله .. فقد حرمه من زوجته .. وقتل الأنثى وملحها وأعدها لطعام المؤمنين فى الفردوس.

وفى التلمود : "إن النهار اثنتا عشرة ساعة : فى الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفى الثلاث الثانية يحكم، وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفى الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك".

لكن فى التلمود أيضاً : إن الله لم يعد يلعب مع الحوت بعد هدم المعبد أو الهيكل، كما أنه منذ ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها وعقص لها شعرها .. وقد اعترف الله بخطئه فى تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويندم على تركه اليهود فى حالة التعاسة .. "إنه يلطم ويبكى كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان فتحصل الزلازل".[٥]

إن الأساطير والخرافات الدينية أكثر إثارة للضحك من النكات أحياناً .. ولذلك لا تتعرض النكات اليهودية إليها .. فالمنافسة ليست فى صالح النكات.

****

استقلت سيدة القطار من نيويورك للسفر إلى واشنطن .. قال لها ابنها :

- عليك بتغيير القطار فى فيلادلفيا لركوب القطار المسافر إلى واشنطن.

لكن فى فيلادلفيا ارتبكت واختلط عليها الأمر وهى سيدة عجوز فاستقلت القطار العائد إلى نيويورك.

ومر وقت قبل أن يكتشف الكمسارى الخطأ وكانت السيدة اليهودية قد أقامت علاقة طيبة مع جارة لها فى الجانب الآخر من العربة .. ودار بينهما حديث طويل انتهى بأن سألت المرأة العجوز:

- وفيم ذهابك إلى واشنطن ؟

- واشنطن ؟ لقد غادرت واشنطن لتوى .. إننى مسافرة إلى نيويورك لأرى ابنتى المتزوجة هناك.

بانت دهشة عظيمة على السيدة اليهودية وقالت :

(٥) المصدر السابق - ص ٥٦.

- هذه واحدة من عجائب القطارات فى آمريكا، ها أنت تجلسين فى جانب من العربة فيذهب بك القطار إلى نيويورك .. وأجلس أنا على الجانب الآخر من نفس القطار فأسافر إلى واشنطن !

****

فى كتابه التحليلى "الفكاهة الذكية لليهود" يشير د. تيودور ريك إلى أن اليهود الشرقيين يستخدمون المزامير فى معالجة كل مشاكل حياتهم الطارئة .. ويروى أن أماً منكوبة آتت إلى الحاخام من أجل ابنها المريض .. وقالت فى أسى :

- أيها الحاخام .. إن ابنى يعانى طيلة آسبوع كامل من الإسهال .. وقد فشلت معه كل الأدوية.

طمأنها الحاخام قائلاً :

- لا تقلقى .. كل ما تحتاجين هو أن تتلى المزامير وسترين معجزة.

بعد ثلاثة أيام عادت الأم القلقة إلى الحاخام مرة أخرى وقالت :

- لقد فعلت ما قلته لى بالضبط ولكن ابنى يعانى الآن من أعراض مضادة .. الإمساك.

نصحها الحاخام قائلاً :

- اقرئى المزامير مرة أخرى.

احتجت المرآة قائلة :

- ولكن المزامير أيها الحاخام تؤدى إلى الإمساك.

****

وجد تيفيل صائغ الفضة اليهودى فى مدينة مينسك وزوجته موك أن من الضرورى أن يقوما برحلة إلى مدينة بينسك .. لكن بسبب الثلوج التى كانت تتساقط بغزارة تعطل القطار الوحيد الذى يذهب إلى هناك لأجل غير محدد.

خطرت لتيفيل فكرة .. "مويش" السائق يأخذنا إلى بينسك بعربته .. لكن مويش رفض بحجة الثلوج والبرد القارس والخوف على الجياد التى قد تنزلق وتتكسر .. وفى ذات الوقت خطرت فكرة ثقيلة لتيفيل .. فهو لم يصبح غنياً لأنه يبعثر نقوده .. قال للسائق بدهاء :

- إذا آخذتنا من مينسك إلى بينسك ووصلنا فى الموعد سأدفع لك ضعف الأجر.

- الضعف ؟ هل ستدفع لى ٢٠ روبل ؟

- نعم.

- موافق.

- لكن بشرط واحد.

- ماهو ؟

- إذا نطقت أنا بصوت واحد خلال الرحلة سأدفع لك ضعف الأجر .. ولكن إذا بقيت صامتاً تماماً فلن أدفع لك شيئاً.

هرش مويش رأسه وراح يقلب العرض وأخيراً أومأ برأسه وهو يضحك ضحكة ماكرة ويقول لنفسه: ضعف الأجر لوأحدث صوتاً ؟ .. سوف يُحدث صوتاً .. سوف يصيح بأعلى صوته. وبمجرد أن غادر مويش وراكباه ضواحى حى مينسك وأصبحوا على الطريق المفتوح، حث مويش جياده على السير بأقصى سرعة وأخذ يميل بها من جانب الطريق إلى الجانب الآخر مما جعل العربة تقفز فى الهواء فى سرعة جنونية .. وكانت الخيول ترتطم بكل صخرة وتسقط فى كل حفرة وتميل بشدة مع كل منحنى .. وكانت العجلات ترتطم بجنون فوق الثلوج .. لكن لا صوت واحداً صدر عن تيفيل وزوجته .. وفعل مويش ما يخيف راكبيه بحيث يصدر عنهما ولو صوت خافت لكنهما بقيا صامتين كالقبر.

أخيراً وصلت الرحلة المجنونة إلى منتهاها وأوقف مويش خيوله فى بينسك وساعد تيفيل على النزول وقال له بحزن :

- أنت تكسب فإنك لم تصدر صوتاً.

فقال تيفيل وهو مايزال شاحباً مأخوذاً :

- بينى وبينك يا مويش أريد أن أعترف لك بشىء .. عند آخر منحنى عندما أوشكت العربة على الانقلاب كدت أن تكسب الرهان .. حيث سقطت زوجتى من العربة.

****

وبسبب بخل تيفيل وحيلته فى الاحتفاظ بالنقود إلى حد التضحية بزوجته تفضل المرأة اليهودية الزواج من رجال غير يهود .. وهو ما يُعرف بالزواج المختلط .. والشريعة اليهودية تمنعه وتحرمه وتلعنه وتلعن من يقدم عليه وتعاقبه بالضرب ونزع شعره .. شعرة .. شعرة .. وقد كان أنصار الحاخام المتطرف كاهانا - الذى قُتل فى نيويورك - يقومون بخطف الشبان العرب الذين يمارسون الجنس مع يهوديات وسكب مياه النار بين أفخاذهم .. والأخطر أن تتزوج المرأة اليهودية من رجل غير يهودى لأن الأولاد ينسبون إليها وهى التى تحدد يهوديتهم .. والزواج المختلط من أخطر المشاكل التى تهدد اليهود بالذوبان .. وقد لاحظت مجلة "تايم" الأمريكية عام ١٩٧٥ أن ثلث الزيجات بين يهود أمريكا البالغ عددهم قرابة الستة ملايين يهودى هى زيجات مختلطة .. كما أنه فى الفترة ما بين عام ١٩٢١ و ١٩٤٥ كان ٤٢ ٪ من الزيجات اليهودية مختلطة.

وفى التوراة .. فى سفر القضاء أن والدى شمشون تفجرا غيظاً عند سماعهما برغبة ابنهما فى الزواج من فتاة فلسطينية .. وصرخا فى وجهه :

- "ألم تجد بين بنات أقربائك وفى قومنا فتاة حتى تذهب وتتزوج من بنات الفلسطينيين الأجلاف" ؟

فقال شمشون :

- "هذه هى الفتاة التى راقتنى فزوجونى إياها".

أما التحول إلى ديانة أخرى فقد كان وسيلة يهودية للتكيف مع الشعوب الأخرى ولتفادى البطش والاضطهاد .. وقد كان كارل ماركس يهودياً ثم أصبح مسيحياً .. وفي صباح أحد أيام الآحاد وهو يغادر منزله إلى الكنيسة آمسكت زوجته بذراعه وصاحت :

- ماذا حدث لك ؟ إنك تضع على رأسك الطاقية اليهودية.

فخبط ماركس على جبهته قائلاً :

- أأخ خ .. لقد نسيت أننى مسيحى.

والمعنى أن اليهودى يظل يهودياً حتى لو ترك دينه .. وحتى لو كان كارل ماركس صاحب المقولة الشهيرة "الدين أفيون الشعوب" !

****

ويعتقد اليهود فى السحر ويقولون أن إبراهيم كان يتعاطاه ويعلمه وكان يعلق فى عنقه حجراً ثميناً يشفى بواسطته جميع الأمراض .. لكنهم يضيفون أن السحر أسهل فى النفاذ فى النساء .. فالشيطان يسكن جسد المرأة لأنها معتادة على الخطايا .. والشياطين من الإناث مشهورات بتعليم السحر .. ومنهن آذا وآذائيل وهما اللتان علمتا أنبياء اليهود السحر .. وكان الملك سليمان يحكم على الطيور و الشياطين بواسطتهما، وكانتا السبب فى حضور بلقيس إليه فى غمضة عين .. وقد استعصت بلقيس عليه ورفضت الذهاب إلى فراشه فأوحت واحدة منهما إليه بحيلة .. وهى آن يعقد صفقة مع بلقيس .. لو قامت من نومها ليلاً لتشرب سحبها إلى فراشه .. وأوحت إليه أيضاً بأن يضع التوابل فى طعامها .. وقد نجحت الحيلة .. وشعرت بلقيس بالعطش .. وعندما راحت تشرب كان سليمان فى انتظارها .. ويقول حاخامات اليهود أن أمهات الشياطين أربع، كان سليمان يجامعهن وبذلك سيطر عليهن واستخدمهن فى كشف أسرار باقى المخلوقات .. وواحدة منهن تهوى الرقص بدون آن تستريح وهى تصحب معها ١٧٩ روحاً شريرة .. لذلك يحرم اليهود الفنون .. والأهم أنهم يؤمنون بأن المرأة الشيطانة هى المرأة المسرفة.

****

كان جاك ليفين مدير بيت الأزياء الشهير الذى يحمل نفس الاسم فى باريس، عادة شخصاً مرحاً، إلا آنه فى ذلك الصباح كان واجماً غاضباً.

سأله كاتب الحسابات :

– هل لديك مشكلة ؟

رد شاكياً :

– إنها زوجتى .. إنها شيطانة تقودنى إلى الجنون بطلبها الدائم للمال .. الأسبوع الماضى طلبت ١٥٠ دولاراً .. وآمس طلبت ١٠٠ دولار واليوم تريد ٧٥ دولاراً.

سأله كاتب الحسابات :

– ولم تريد كل هذه الأموال ؟

– من يعلم ؟ حتى الآن أنا لم أعطها سنتاً !

****

يهودى : لماذا يُعرف صهر موسى فى الأسفار الخمسة الأولى فى العهد القديم بسبعة أسماء مختلفة؟

يهودى آخر : فكر بنفسك. صهر موسى لديه سبع بنات. أليس كذلك ؟. حسناً كلما زوّج واحدة منهن كان الأمر مكلفاً له للغاية، فيؤدى الأمر إلى إفلاسه ولكى يبدأ العمل من جديد، كان عليه فى كل مرة آن يتخذ اسماً جديداً .. سبع بنات أى سبع زيجات .. سبع زيجات أى سبع مرات إفلاس .. سبع مرات إفلاس أى سبع مرات لبدء العمل من جديد بسبعة أسماء جديدة.

****

جيك روبين وقع فى حب فتاة تجهل الدين والتقاليد اليهودية .. غير اسمه إلى جيمس روبنسون بناء على إصرارها وتزوجا وأنجبا طفلاً أسمياه باتريك .. فى أحد الأيام عاد باتريك من المدرسة وآعلن آنه أخذ أجازة يومين من المدرسة بمناسبة العام اليهودى الجديد .. قال الأب غاضباً :

– لن تفعل ذلك. إنك نصف يهودى. لذلك ستكتفى بيوم واحد أجازة.

****

سألت المرآة صديقتها :

– هل تستطيعين آن تعرفى إن كان زوجك يكذب أم لا بمجرد النظر إلى وجهه ؟

- ليست هناك مشكلة على الإطلاق فإذا كانت شفتاه تتحركان فهو يكذب !

****

قالت الزوجة بحزم :

- إسحق لقد رأيتك تقبل الخادمة اليوم.

قال الزوج سريع البديهة :

- لا تتسرعى فى الوصول إلى نتائج. كل ما فعلته هو أننى شكوت من أنها لم تنظف غرفة المعيشة كما يجب .. فهاجمتنى .. ورحت أعضها دفاعاً عن النفس.

****

قالت الزوجة :

- زوجى البخيل ذهب إلى البحر الأسود ليملأ قلمه الحبر مجاناً.

قالت صديقتها :

- لقد فعل زوجى نفس الشىء وذهب إلى البحر الأحمر.

****

متسول يضع نظارة سوداء على عينيه، ينادى بتوسل : ساعدوا الضرير .. ساعدوا الضرير .. وكانت زوجة حاخام عجوز تمر من الشارع، فرق قلبها ودست فى يده مبلغاً من المال .. فقال لها بامتنان :

- سيدتى .. فى اللحظة التى "رأيتك" فيها عرفت أنك طيبة القلب.

****

كان سبيجيل يقوم بجولاته المعتادة ليجمع النقود من تسوله المعتاد من زبائنه المعروفين، ولكنه عندما وصل إلى السيدة هوروتيز قالت له :

- عد غداً ليس معى "فكة" الآن!

قال سبيجيل بحزم :

- عفواً سيدتى، إننى لا أتعامل بالآجل.

****

طرق شحاذ الباب ولكن ما أن فتحت سيدة المنزل البيت حتى انطلقت اللعنات من فمها :

- أيها العاطل المتسكع اذهب بعيداً.

- لماذا ؟

- أنت تعرف جيداً ماذا فعلت ؟ .. الأسبوع الماضى كنت هنا وأعطيتك بعضاً من الطعام الذى صنعته بنفسى، فما كان منك إلا أن أرسلت لى أصدقاءك.

- سيدتى إنهم لم يكونوا أصدقائى وإنما أعدائى !

****

مسز بولاك ومسز جلوم دخلتا لتوهما إلى دنيا الثراء .. فهما محدثتا نعمة .. ورغم أنهما ناقصتا ثقافة إلا أنهما قررتا الظهور فى الأوساط الأدبية والثقافية .. ولا تفوتهما حفلة موسيقية أو مسرحية .. وفى ليلة السبت اتصلت مسز بولاك بمسز جلوم وقالت بزهو :

- سنذهب الليلة إلى "زواج فيجارو".

- ما الحكاية ؟ .. آلا يمكن الاكتفاء بإرسال برقية ؟

****

عاد جوكى من المدرسة يوماً ليجد أمه فى معطف جديد من جلد النمس :

- آوه يا ماما .. لابد أن الحيوان المسكين قد ذاق العذاب المر من أجل أن ترتدى هذا المعطف ؟

- عيب يا ولد .. ما هذه الطريقة التى تتحدث بها عن أبيك !

****

لم يجد آل ميندلسون أفضل من هذه الخادمة .. مدبرة .. نظيفة .. ونشطة .. وأمينة .. ولكنها قررت أن تتركهم آسفة لأنها حامل وعلى وشك أن تضع .. ولما كانت غير متزوجة فقد وافقوا على أن تبقى هى وطفلها الوليد.

بعد سنتين أعلنت أنها من جديد حامل .. فقالوا لها :

- ولايهمك .. ربى ولديك هنا فنحن لا نستغنى عنك.

بعد سنة أخرى كانت الخادمة على موعد مع طفل ثالث وما أن خرجت من المستشفى حتى قالت لهم :

- إنى سأترككم !

- ولكن لماذا ؟ .. هل أسأنا إليك ؟

- لا .. ولكنى عندما جئت للعمل عندكم لم تخبرونى أننى سأخدم أسرة وثلاثة أطفال.

****

حاصرت الشابة الجميلة عازف البيانو المشهور آرثر روبنشتاين ليعطيها فرصة للغناء أمامه على أنغام البيانو .. ومن شدة الحصار وافق فدعاها إلى الأستديو .. ولمدة نصف ساعة جلس الرجل المسكين يسمعها فى عذاب صامت .. وعندما انتهت سألته :

- ما رأيك فىّ الآن ؟

- أعتقد أنه يجب أن تتزوجى فوراً !

****

مات يوسيل الصغير فى حادث سيارة .. وفى منزل والديه جاء الجيران والأهل يقدمون التعازى .. وكان بين المعزين زوجان لا يكفان عن الشجار .. دخلا معاً حجرة الميت واقتربا من جثة الطفل .. وبصوت يختلط بالدموع قالت الزوجة :

- يا ملاكى الصغير يوسيل .. سبقتنا الآن إلى السماء لتفتح لنا أبواب الجنة.

فقال الزوج :

- هذه مهمة لا يقدر عليها طفل صغير .. لماذا لا تقومين بها بنفسك ؟

****

العجوز جوزيف رجل معروف بثرائه الكبير وله محلات مجوهرات منتشرة فى كل مكان باسمه .. وهو على فراش الموت اقترب من زوجته لتسمع منه آخر وصاياه :

- إسمعى يا جولدى .. هذه وصيتى التى لم أملك الوقت لكتابتها.

- إنى مصغية إليك.

- أولاً .. المحلات يأخذها هارى.

- لا يا جوزيف .. هارى فاسد وزير نساء .. المحلات يأخذها جيروم، إنه يعتمد عليه وله ذاكرة حسابية طالما فخرت بها أيام مجدك.

- وهو كذلك .. لتكن المحلات كلها من نصيب جيروم .. وسأعطى هارى الأسهم والسندات.

- من الأفضل أن تترك لى الأسهم والسندات فأنا أحسن التصرف فى الأوراق المالية.

- وهو كذلك الأسهم والسندات لك .. أما المنزل الصيفى فسأتركه للحلوة مينى.

- مينى .. وماذا ستفعل به مينى ؟ ألم يشتر زوجها منزلاً فى العام الماضى ؟. أعطه لأنى فزوجها فقير ثم إنها من لحمنا ودمنا.

- وهو كذلك .. آنى تأخذ البيت الصيفى أما آبى أصغر أولادنا فسأترك له المخازن والسيارة.

- ولكن آبى عنده سيارتان، فما حاجته إلى سيارة ثالثة ؟ ثم إنه يريد أن يصبح موسيقياً أى أنه لن يتفرغ للمخازن .. خذها نصيحة منى وأعطها للويس.

تساند الرجل حتى جلس فى الفراش واقترب بوجهه من زوجته وهو يقول :

- جولدى .. من الذى يحتضر الآن، أنا أم أنت ؟

****

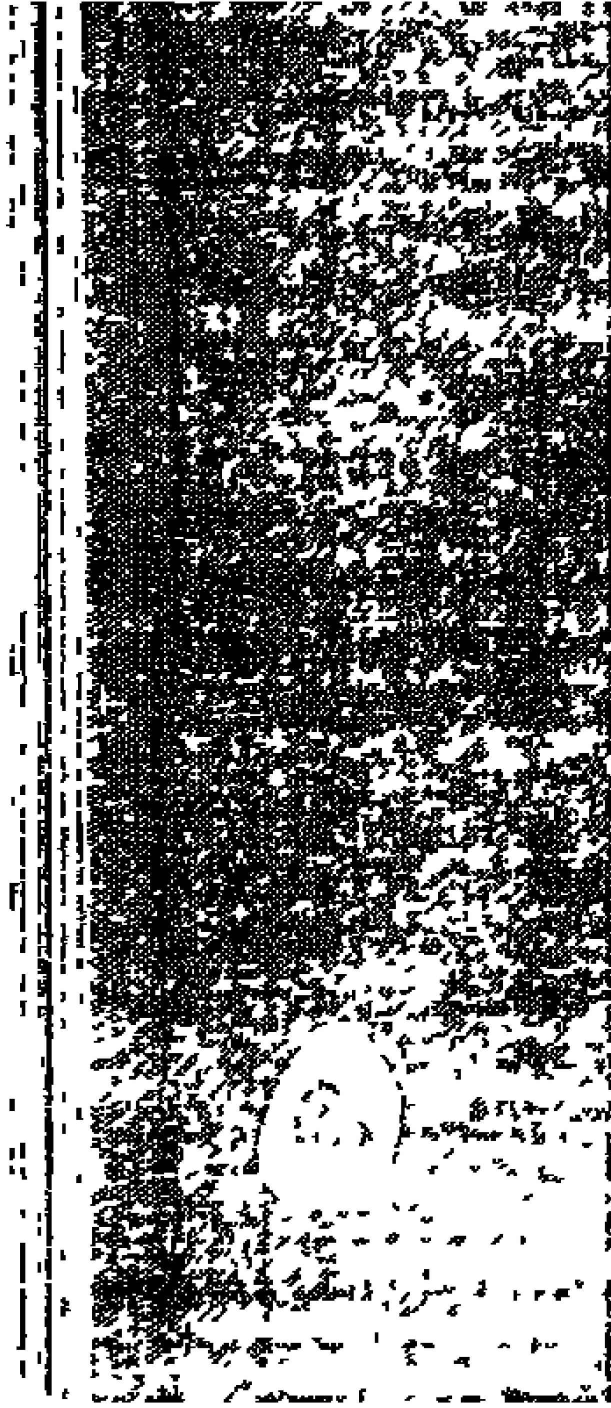
كان حاييم فى حالة رومانسية .. مزاجه رائق ونفسه راضية .. مرت الآن أربعون سنة على زواجه من المرأة الطاهرة الوفية .. إن قلبه يشع نحوها بالحب والامتنان .. قال لها :

- حبيبتى لينا .. أحبك حتى أعجز عن القول بذلك .. إنى أتمنى لنفسى الشر الذى قد يلحق بقلبك الطيب .. بل إنى لأتمنى شيئاً أرجو أن يحققه لى : ألا تصبحى أرملة قبل أن أسبقك أنا فأصبح أرمل.

****

قال الحاخام بعد أن أنهى مراسم الزواج :

- الزواج مثل القيثارة .. عندما تنتهى الموسيقى الجميلة تبقى الأوتار مشدودة.



سخرية تنقلب إلى هيستريا

يؤمن سيجموند فرويد أشهر علماء التحليل النفسى بأن الإنسان إذا لم يستطع أن يحرك السموات فإنه قادر على الأقل أن يحرك الجحيم.

وهو يقتبس هذا المعنى من فيرجيل شاعر اللاتينية الأعظم .. مؤلف " الإنيادة" .. وهى غير "الإلياذة" التى آلفها هوميروس.

وقد حاول فرويد أن يحرك الجحيم عندما سعى إلى تفسير سخرية اليهود من أنفسهم فى كتابه الأول من نوعه "النكتة وعلاقتها باللاشعور" .. وهو أقدم محاولة علمية جادة، وصعبة لتفسير النكتة .. فقد نشر كتابه فى عام ١٩٠٥.

لقد توقف فرويد وهو يهودى عند سيل النكات التى تحولت إلى خناجر يطعن بها اليهود أنفسهم .. وإلى سياط يلسعون بها حياتهم .. وراح يرصدها .. ويتأملها .. ويفحصها .. ويخضعها للتحليل النفسى.

****

عاد تاجر يهودى من سفرة طويلة ليجد واحداً من أعز أصدقائه تُوفى .. وعندما توجه إلى المقبرة كى يصلى على جثمانه، وجد مكتوباً على شاهد القبر :

"هنا يرقد إيلى كوهين ..

"رجل طيب ..

"تاجر أمين".

فتمتم الرجل موجهاً كلامه لصديقه الميت :

- دفنوك فى قبر واحد مع رجلين غريبين !

****

كان حاخام المعبد ينظر من بابه المفتوح عندما رأى وجها مألوفاً له .. وأخذ يفكر أين رأى هذا الرجل من قبل .. ثم جرى وأمسك بتلابيب الرجل صائحاً :

- آيها اللص .. أمس فقط رأيتك تتسول أمام باب الكنيسة الكاثوليكية .. واليوم تتسول أمام المعبد .. هل أنت كاثوليكى أم يهودى ؟

فرد الشحاذ :

- يهودى .. ولكن فى هذه الأيام الصعبة .. من يستطيع أن يكسب رزقه من دين واحد فقط ؟

****

يهوديان جائعان متعبان عثرا على رغيف طازج سقط سهواً من خباز كان فى طريقه إلى السوق .. انقض الرجلان على الرغيف .. التقطه أحدهما بينما راح الآخر ينفخ من الغيظ :

اقسمه بيننا فإنى آكاد آموت من الجوع.

ولكن زميله الذى يميل إلى الفلسفة قال يوبخه :

– آلا تكف عن هذه الشراهة ؟ .. قبل آن نأكل الرغيف دعنا نمتع عيوننا به ونشبع براتحته حواسنا .. انظر إلى جماله واستدارته .. انظر إلى ....

قاطعه مزمجراً :

– الرغيف هو الرغيف فلنأكله.

قال المتفلسف :

– هذه هى المصيبة .. الرغيف ليس هو الرغيف .. إن كل شىء فى هذا الكون ليس واحداً وإنما شيئان.

– وهذا الرغيف شيئان ؟

– نعم إن له وجهين. وجه مادى ووجه معنوى – وجه محسوس وآخر غير محسوس .. الشكل والمضمون . . هكذا ترى آننا لم نعثر على رغيف واحد بل رغيفين.

– إذن فلنأكل مادمت انتهيت من كلامك.

– كل آنت نصيبك الآن من الرغيف ودعنى آنام قليلاً فإذا ما صحوت باركت نعمة السماء وحمدت الله ومددت يدى إلى نصيبى.

ونام .. فلما صحا دهش لأنه لم يجد شيئاً من الرغيف .. وسأل غاضباً :

– آين نصيبى ؟

– نصيبك .. ابحث عنه .. لقد أكلت آنا الشكل وتركت لك المضمون.

****

فى الأيام الأخيرة من حكم القيصر الروسى نيقولا، حدث أن سقط يهودى فى نهر موسكفا وكاد آن يموت غرقاً لأنه لا يعرف السباحة .. وراح الرجل يصرخ مستغيثاً .. فى تلك اللحظات تصادف مرور فرقة من جنود القيصر .. لكنهم سمعوا صراخ اليهودى ولم ينقذوه .. بل راحوا يسخرون منه .. توصل اليهودى إلى فكرة ذكية .. فقال صارخاً :

- يسقط القيصر .. تحيا الثورة.

وعلى الفور قفز الجنود إلى النهر وأمسكوا به.

****

يحكى أن إمبراطوراً قاسياً تافهاً استبد به الغيظ من ذكاء رعاياه من اليهود فأصدر أوامره بأن يختار اليهود فى مملكته واحداً منهم ليدخل فى حوار مع الإمبراطور بإشارات اليد دون كلمة واحدة، فإذا فشل اليهودى سيكون مصيره الجلد وإذا لم يتقدم أحد منهم ليحاور الملك فإن اليهود جميعاً سيعذبون حتى الموت بسوط صاحب الجلالة نفسه.

بعد آن استبد اليأس باليهود من خروج متطوع لهذه المهمة لإنقاذهم من القتل، برز من وسطهم إسكافى متطوعاً.

وجاء اليوم المشهود الذى احتشد له الناس .. ونزل الإمبراطور من عرشه إلى حيث اليهودى الفقير الذليل .. وبدآ النقاش الصامت.

رفع الملك سبابته إلى السماء فصوب اليهودى أصبعه إلى الأرض .. دهش الملك من سرعة البديهة فرفع أصبعين وسددهما نحو السماء فازدادت دهشته حينما سدد إليها اليهودى أصبعاً واحداً .. وبطريقة درامية مد الملك كفه وفرد ما بين أصابعه فقبض اليهودى كفه وضم ما بين أصابعه وراحته فبدت قبضة معروقة .. حار الملك وتعجب .. دس يده فى جيبه وأخرج زجاجة نبيذ أحمر فأخرج له الإسكافى قطعة جبن من جيبه.

سلم الملك وابتسم وقال :

"كافئوا هذا الرجل لقد أبلى بلاءً حسناً".

ولكن كبير الوزراء استبد به فضوله لفك طلاسم ما رآه وطالب الملك بأن يفسر له ذلك .. فقال الملك :

- عندما رفعت أصبعى إلى السماء إنما قصدت القول : "أنتم اليهود كثيرون مثل نجوم السماء". فرد على بإشارته عندما صوب أصبعه إلى الأرض "لا .. إن اليهود فى عددهم مثل رمال الأرض ولكن يدوسهم كل الناس" .. فلما أظهرت له أصبعين عنيت القول أن هناك إلهين، واحد للخير والآخر للشر، ولكنه أكد أنه إله واحد حين أظهر أصبعاً واحداً .. ولما فردت له كفى كلها قصدت القول : أنتم لستم أمة .. إشارة إلى أنهم مبعثرون فى كل الدنيا .. فرد علىّ بقبضة يده مؤكداً أنهم متحدون رغم البعد .. وقلت له أن خطاياهم دموية فى لون النبيذ الأحمر، فإذا به يرد بأن خطاياهم بيضاء فى لون الجبن.

ولكن عندما عاد الإسكافى إلى قريته وسأله الناس كيف فهم إشارات الملك بهذه السرعة والبراعة .. قال :

– رفع الملك سبابته إلى أعلى ففهمت آنه يقول أنه سيزهق روحى ويرسل بها إلى السماء .. فرددت عليه بأننى سوف آخسف به الأرض عندما سددت أصبعى إلى الأرض .. ثم هددنى الوغد بأن يفقأ عينى الاثنتين عندما أظهر أصبعيه فرددت أنا ببساطة العين بالعين حين أظهرت له أصبعاً واحداً .. ثم أبدى الملك رغبته أن يصفعنى حين فرد كفه فى مواجهتى فكان آن كورت قبضتى لأعرفه أننى مستعد بدورى أن ألكمه .. وأخيراً .. عندما رأى جلالته آننى صمدت آمام حركاته أدرك أن من الحكمة أن يقدم كأساً من النبيذ عربوناً لصداقتنا الوليدة .. فما كان فى وسعى ألا أن قدمت له "المزة" .. قطعة الجبن.

****

ويقول فرويد : إن النكتة اليهودية تثير ضحك الآخرين بمجرد أن يعرفوا أنها عن اليهود .. فيكفى آن تقول : "مرة واحد يهودى" .. حتى يضحك الناس مقدماً وقبل أن تكمل النكتة .. فنكات اليهود تتناول تصرفاتهم .. وهى تصرفات تصنع بطبيعتها السخرية .. مثل تحايل البخلاء على عدم دفع المال .. وتحايل المغفلين على بلاهتهم .. وتحايل محبى المال للحصول على المزيد منه ... والتحليل النفسى لهذه النكات هو أن اليهود يكرهون ذاتهم الداخلية .. يكرهون يهوديتهم .. ويحاولون آن يتعايشوا معها بالسخرية.

****

ركع موريس ليفى عند مذبح الكنيسة بينما قال القس وهو ينثر الماء المقدس على المعتنق الجديد للمسيحية :

– باسم الآب والابن والروح القدس أعمدك الآن وأرحب بك فى مملكة المسيح.

ثم وقف ليفى وصافحه القس قائلاً :

– الآن وقد تم تعميدك يمكنك أن تختار اسماً مسيحياً.

قال ليفى :

– سيدى المبجل لقد فكرت فى الأمر وأحب آن يكون اسمى مارتن لوثر.

آشرق وجه القس وقال :

– حسناً لقد اخترت اسماً مسيحياً مجيداً .. هل يمكن أن أعرف سبب اختيارك له ؟

قال موريس ليفى سابقاً :

– اخترته لأننى لا أريد آن آغير الأحرف الأولى من اسمى فى المغسلة لتمييز ملابسى.

****

فى التلمود آن اسم الشخص يؤثر فى مستقبله .. ويرى الحاخامات آن اليهودى الفاضل يجب ألا يغير اسمه العبرى وهو فى الشتات .. ولكن الذى حدث آن اليهود غيروا فى الشتات ديانتهم آحيانا وآسماءهم دائماً .. فاسم بن جوريون كان بن جرين .. واسم جولدا مائير كان جولدا مايرسون .. واسم موشى شاريت كان موشى شارتوك.

وفى إسراتيل بعد اختراع اللغة العبرية على يد يهودى اسمه إليعازر يهودا أصدرت الأكاديمية العبرية دليلاً للأسماء التى كان تغييرها عملية إجبارية فى إسرائيل حتى يقطع المهاجرون كل صلتهم بالشتات .. كما آن البعض كان يحمل آسماء لا تناسب التعصب اليهودى فى إسرائيل .. مثل عبد الله الذى يصبح آمى يسراثيل .. ومثل ماري الذى يصبح ميريام .. وبرنارد الذى يصبح بناد .. ونورى السعيد الذى يصبح نوريت شيمونى، ونورى السعيد كان اسم رئيس وزراء شهير فى العراق وكان يحمله يهود بغداد كثيراً. (١)

ولا يغير اليهود آسماءهم من مكان إلى مكان .. ومن ديانة إلى ديانة فقط .. بل مفترض حسب تقاليدهم القديمة أن يغير الشخص اسمه من مرحلة إلى آخرى فى حياته .. وفى العهد القديم نجد آن بعض الشخصيات غيرت أسماءها عقب مرورها بتجربة مهمة .. فأفرام بعد أن تلقى العهد من الرب آصبح إبراهيم .. ويعقوب بعد مصارعة الرب يصبح يسرائيل. (٢)

وحواء عند اليهود الحياة .. ويوسف معناه "سوف يزيد" .. وبارليف – اسم الخط الشهير الذى اقتحمه المصريون فى يوم العبور – معناه ابن القلب آو صاحب القلب.

وبعض الأسماء اليهودية القديمة مأخوذة من نباتات آو حيوانات فدييورا تعنى نحلة .. وتمارا هى النخلة وباركوخبا هو ابن الكوكب.

ولا يحمل اليهود آسماء عائلات إلا فى حالات نادرة جداً مثل عائلة روتشيلد .. وأحياناً تكون آسماؤهم غير لائقة مثل شفارتز ومعناه أسود بالألمانية ولكنها تعبر عن العبد أو الملون .. ولم يقم اليهود بعبرنة آسمائهم فقط بل فعلوا ذلك مع أسماء البلاد والمدن فأم الرشراش أصبحت إيلات والضفة الغربية يشار إليها بالسامرة .. وفلسطين تختفى لتصبح إسرائيل أو أرتس يسرائيل.

إن كل شىء فى حياتهم لا يمر بسهولة فالعقد أكثر من أطراف الخيط .. ولا تكفى مليون نكتة لكى تحل عقدة واحدة.

****

بخيل يهودى واسع الثراء آصابه مرض عضال وعندما ارتفعت حرارته قال الطبيب لزوجته :

– عفواً سيدتى .. لا أمل آن ينجو زوجك .. كل ما أنصح به هو الصلاة.

---

(١) عادل حمودة : تحت جلد إسرائيل – المرجع السابق.

(٢) غازى السعدى : المرجع السابق.

بآخر رمق فيه رفع الزوج رأسه عن الوسادة وطلب بضعف من زوجته أن تذهب إلى المعبد وتمنح صدقة للفقراء ليدعوا له بطول البقاء .. وذهبت الزوجة وتبرعت بخمسين دولاراً .. وصلت بضراعة وهى تبكى وتدعو الله بأن يحفظ حياته.

وكأن الله قد استجاب لها فقد هب البخيل الثرى من فراشه كالحصان، ولكن عندما علم أن زوجته تصدقت بخمسين دولاراً امتقع وجهه من الغضب .. فذكرته زوجته :

– ولكنك أنت نفسك الذى طلبت ذلك.

– كنت محموماً و أهذى.

****

قال حاخام لتاجر ثرى :

– يا سيدى كانتور أود أن أقترض منك بضع مئات من الدولارات وسأردها لك خلال ستة أشهر.

نظر التاجر وكان من رعايا الحاخام وقال فى مكر :

– لا أريد أن أواجهك بذلك أيها الحاخام ولكن ألم أسمعك أنا بنفسى تقول فى موعظتك بالأمس أن من يقرض المال بفائدة كأنه قتل المدين ؟

فتعجب الحاخام قائلاً :

– فائدة ؟ أنا لا أريد أن أقترض بفائدة.

قال التاجر :

– فى هذه الحالة أكون قد قتلت نفسى.

****

ذهب يهودى فقير إلى منزل أغنى رجل بنوك فى نيويورك وكان من ملته وراح اليهودى الفقير يصف له بؤسه وهو يقول :

– لخمسة أيام لم نجد أنا وزوجتى شيئاً نأكله و أولادى الخمسة يقتربون من الموت وصاحب البيت ألقى بنا فى الشارع لأننا لم ندفع الإيجار والعيد على الأبواب وليس لدينا نقطة نبيذ أو شريحة لحم أو قطعة خبز .....

تحركت مشاعر رجل البنوك بشدة فصاح فى البواب :

– ألق بهذا الرجل فى الخارج .. إنه يمزق قلبى !

****

شحاذ نزل مدينة جديدة عليه لأول مرة، وفى الطريق نادى على رجل بنوك ثرى يطلب منه نقوداً ولدهشته، صافحه الرجل بحرارة وقال بلطف :

- مرحباً بك فى مدينتنا.

اندهش الشحاذ قائلاً :

- شكراً على ترحابك ولكن كيف عرفت أننى غريب هنا ؟

أجاب رجل البنوك البخيل :

- الأمر سهل .. فليس فى هذه المدينة شخص يمكن أن يضيع وقته فى طلب صدقة منى !

****

تاجر فراء ثرى مسن كان يعرف أن الموت قريب منه، فقرر السير فى طريق الله، وذهب إلى الحاخام ليقول له أنه أخيراً خضع للدين.

سأله الحاخام متشككاً :

- هل ستدفع كل ديونك وتسامح من يدينون لك ؟

اعترض الرجل قائلاً :

- مهلاً يا سيدى إنك لا تتحدث الآن فى الدين وإنما تتحدث فى التجارة!

****

ربما سمعت عن اليهودى الذى أخذ فتاة إلى منزله فى تاكسى (!!) وكانت جميلة للغاية لدرجة أنه كان يرفع عينيه بالكاد عن عداد التاكسى !!.

****

قبّل اليهودى زوجته كعادته قبل أن يذهب إلى المتجر صباحاً ثم ربت على رأس ابنه قائلاً :

- إلى اللقاء يا سولى .. ولا تنس أن تخلع نظارتك عندما لا تجد شيئاً ذا قيمة !

****

لن يعرف أحد لماذا قرر شخص أحمق مثل جو أن يصبح مخبراً خاصاً ؟ .. فلا شىء يفعله يكون صواباً أبداً .. فى إحدى المرات تلقى مكالمة من جواهرجى تعرض للسرقة ثلاث مرات .. وفى

كل مرة لم يكن يعرف السارق.

وقرر جو أن يعرف السارق .. فوضع كاميرا لتصوير السارق وهو يسرق المتجر .. ووضع طعماً عبارة عن مجموعة من الساعات الرخيصة التى لا يزيد ثمنها على ٥٠ دولاراً أمام الكاميرا .. الذى حدث أنه فى الزيارة التالية تجاهل السارق الساعات والحلى الرخيصة واختفى فى الليل ومعه كاميرا جو التى تساوى ٥٠٠ دولار.

****

ولعل أقدم نكتة يهودية هى التى تُروى منذ زمن فرعون الذى أخلف وعده لموسى ورفض إطلاق سراح أبناء إسرائيل وخروجهم من مصر.

وكان هارون أخو موسى يبحث هذه المشكلة مع زوجته قائلاً :

- هذا الفرعون .. إنه وغد سفاح.

ردت عليه زوجته :

- هارون لا يجب أن تتحدث هكذا .. إننا جميعاً أبناء الله .. فكل شخص على هذه الأرض من سلالة آدم وحواء .. إننا جميعاً عائلة واحدة حتى فرعون.

قال هارون :

لا أستطيع أن أنكر ذلك ولكن لابد أن فرعون جاء من فرع العائلة الذى جئت أنت منه !

****

وهناك قصة أخرى يعود تاريخها إلى ١٠٠ عام قبل الميلاد عندما سقطت أورشليم وأصبحت تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية.

ظهر إليعازر بوكار عند بوابات السماء وطرقها يطلب الإذن بالدخول .. وفُتحت الأبواب ببطء وخرج البطريرك إبراهام ينفخ فى بوقه الذهبى .. وعندما أنهى موسيقى الترحيب خاطب إليعازر :

"تحياتى يا دماء من دماتى ولحم من لحمى. إن يهوه (الرب) ينتظرك".

وأُخذ إليعازر بهذا الاستقبال الرائع إلا أنه استجمع نفسه بسرعة وقال بجرأة :

"الأب إبراهام إننى جاهز للقاء الرب".

وتقدم إليعازر ليدخل البوابات السماوية إلا أن إبراهام منعه بكفه قائلاً :

- "انتظر يا آخى .. قبل آن تدخل مملكة الرب يجب أن تستحق هذا الشرف".

- "وكيف آثبت آحقيتى به" ؟

- " يجب آن تظهر بأن تسترجع عملاً دنيوياً شجاعاً قمت به".

- "نعم .. أستطيع .. آتذكر أننى ذات مرة ذهبت إلى قصر القنصل الرومانى وقابلته وجهاً لوجه وكان محاطاً بعشرات من الحرس كلهم مدججون بالسلاح إلا أننى تجاهلتهم ببساطة وقلت له : إنه نسر يتغذى على عظام شعب أورشليم المقهور وإنه قاتل اليهود .. ثم بصقت فى وجهه".

وتأثر إبراهام بشدة :

"يجب أن آوافقك على أنه عمل يتسم بالشجاعة للغاية .. نعم يا أخى .. إنك بالقطع نلت السماح بدخول الجنة ولكن قل لى متى حدث ذلك ؟"

آجاب إليعازر :

"آه منذ حوالى ثلاث أو آربع دقائق".

****

غش يهودى يهودياً آخر من آبناء جماعته وأدى الخلاف بينهما إلى شجار مشتعل تبادلا فيه السباب والشتائم .. قال الأول للآخر :

- آنت لا تصلح للنوم مع الخنازير.

فرد عليه الآخر دفاعاً عن نفسه :

- بل آصلح.

****

ويصنف فرويد هذه النكتة تحت بند المغفلين والسذج .. ثم يقول : إن صفة السذاجة أو البلاهة أو البراءة التى تظهر فى تصرفات بطل النكتة قد تكون صفة حقيقية فيه .. وقد تكون غطاءً للمكر والخبث والدهاء .. خاصة فى ظروف التيه والتشرد التى عاش فيها اليهود منذ أن حكم الله عليهم بذلك.

والمقصود أن اليهود يكتمون صفاتهم الأساسية بصفات آخرى على السطح مختلفة تماماً .. تخبىء صفات القوة والتعنت والحيلة والثراء .. وتطفو صفات العجز والذل والاضطهاد والضعف والبخل والغباء والحماقة .. وفى الوقت المناسب تخرج الصفات الحقيقية حسب المثل العامى المصرى : "يتمسكن حتى يتمكن" .. أو هو مايصفه المصريون بقولهم : "شغل يهود".

****

ولقد تمسكن اليهود حتى تمكنوا من بناء دولة لهم فى فلسطين : إن الحلم الممتد إلى آلاف السنين بدآوا فى تنفيذه بالتقسيط أو بالتنقيط فى سنة ١٨٨٢ .. سنة الاحتلال الإنجليزى لمصر .. كان ذلك همساً وسراً مثل لصوص الليل .. وانتقلوا خلال ٦٥ سنة من العمل المكثف من الشتات إلى "الوطن القومى".

فى الشتات عاشوا فى عزلة .. فى أماكن مغلقة .. عاشوا فى مجتمع داخل مجتمع .. وقد أخذت هذه الأماكن أسماءً مختلفة وإن ظل معناها وأسلوبها واحداً .. فى مصر سميت "حارة اليهود" .. وفى اليمن "قاعة اليهود" .. وفى المغرب "الملاح" .. وفى شرق أوروبا "شتتل" وهى كلمة ألمانية معناها الضاحية أو المدينة الصغيرة .. وفى روسيا "قاهال" أى الجماعة أو الطائفة .. والكلمة عبرية .. وفى إيطاليا "جيتو" .. وقد اشتهرت هذه الكلمة أكثر وأصبحت رمزاً لعزلة اليهود .. وجيتو من جيت .. وجيت كلمة عبرية معناها الطلاق أو الانفصال .. والمعنى مناسب، فقد طلق اليهود المجتمعات التى حولهم وانفصلوا عنها وعاشوا بمفردهم على هامشها .

وفى الجيتو مارسوا الطقوس الدينية واستمتعوا بعقدة الاضطهاد .. فهذه العقدة المزمنة عكست إحساساً قوياً بالعظمة والتفوق .. فكان أن أصبح التناقض جزءاً من تكوينهم من الصعب التخلص منه .. فهم يشعرون أنهم شعب الله المختار وأيضاً يشعرون أنهم تراب الأرض الذى تدوسه الأقدام.

****

كان عمر دولة إسرائيل بضعة أسابيع فقط عندما كانت الترقيات فى الجيش تمنح على عجل .. لذلك وجد الملازم هاليفى نفسه فجأةً يترقى إلى ميجور .. ولم تمر عليه عدة دقائق فى مكتبه الجديد عندما طرق شخص الباب .. وأراد الميجور الجديد أن يوحى بالأهمية لنفسه .. فقال :

– ادخل .

والتقط سماعة التليفون وتظاهر أنه يتباحث فى أمر هام مع شخص مهم وقال :

– نعم يا سيد بن جوريون إننى أتفق معك ولكن ربما كان من الأفضل أن تؤجل قرارك إلى أن نلتقى .. سأنتظرك فى بيتى الليلة على العشاء .

ووضع الميجور السماعة وتحول إلى الزائر الذى كان ينتظر بفارغ الصبر وقال له :

حسناً أيها الشاب ماذا تريد ؟

رد الغريب :

– لا شيء يا سيدى لقد أرسلونى إلى هنا لكى أصلح تليفونك !

****

لكن قبل هذا التفاخر كان الإحساس بالاضطهاد .

رئيس وزراء بولندا فى الحرب العالمية الأولى التقى مع الرئيس الأمريكى ودارت بينهما مناقشات حول شئون بولندا .. فقال المسئول البولندى :

- إذا لم يستجب مؤتمر الصلح لكافة مطالب الشعب البولندى فإننى أؤكد لك أن شعبى سيبلغ به الغضب حداً جامحاً .. وسيذهب الكثيرون منه إلى بيوت اليهود ويذبحونهم جميعاً .

قال الرئيس الأمريكى :

- وإذا استجاب المؤتمر لمطالب البولنديين ؟

قال المسئول البولندى :

- سوف يسعد الشعب البولندى سعادة غامرة وسوف يسكر الكثيرون منه فيذهبون إلى بيوت اليهود ويذبحونهم .

****

راسبوتين :

- مولاى .. يدعى اليهود أنك معادٍ للسامية .. فلماذا لا تلقنهم درساً فتقضى عليهم جميعاً وتقتلهم ؟

القيصر نيقولا :

- كل من قال أننى معادٍ للسامية كاذب .. ولكى أثبت ذلك فإننى لن أقتلهم جميعاً كما اقترحت بل إننى آلومك وأقول ينًبغى أن تخجل من نفسك يا راسبوتين لمجرد أنك حاولت أن تفكر فى أشياء مخيفة مثل هذه .. اقتل نصفهم .

****

عندما مات فرانكلين روزفلت دخل الجنة .. وهناك رحب به النبى موسى :

- هل أنت فرانكلين الذى كان منذ قليل رئيس أمريكا ؟

- بالضبط .

- آه يا فرانكلين إنى أشعر بالشفقة نحوك .. وأعتقد أنه عار على العالم أن يتجاهل حرياتك الأربع.

- كل شىء نسبى .. فإن وصاياك العشر لم تجد بعد فرصة أفضل !

****

لقد بدأ اليهود الهجرة إلى فلسطين فى عام ١٨٨٢ وخلال ٢٠ سنة وصل عددهم إلى ٢٥ ألف مهاجر لكن .. فى الثلاثينيات بدأت الصهيونية فى بناء المستوطنات التى أسست فيما بعد الدولة .. وفى هذه المستوطنات أعيدت صياغة العلاقات بين الجنسين من اليهود .. حيث تمردت الفتيات على نظرة الديانة اليهودية للمرأة ومعاملتها باحتقار وأصرت على المساواة .. وقد أخفت اليهوديات فى تلك الفترة كل مظاهر الأنوثة .. لا صدر نافر .. لا ثوب ضيق .. لا ميوعة فى الصوت .. ولا تثنى فى الحركات وإنما "أوفرول"كاكى للعمل والنوم .. وأحياناً قميص وشورت وصندل من الجلد وإصرار على العمل الشاق.

وبعد آن وصل هتلر إلى السلطة هاجر ٢٢٠ ألف يهودى إلى فلسطين وكانوا أثرياء فجاءوا بالمال والازدهار .. وخلال الحرب العالمية الثانية هاجر ١٠٠ ألف يهودى زيادة .. ثم .. تدفقت الهجرة بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة حتى أقاموا الدولة .. وقد أفضت فى تناول هذه القضية فى كتاب "تحت جلد إسرائيل"، وفيه أيضاً شرحت كيف "استغفلوا" العالم بالمسكنة حتى أشهروا أنيابهم ومخالبهم :

وربما كانت النكتة التالية تعيد قطع المسافة بين المسكنة والغطرسة ولكن بطريقة ساخرة ...

كان المغنى العالمى فرانك سيناترا يتناول طعام العشاء فى أحد الملاهى الليلية عندما اقترب منه مراهق صغير .. وقال فى لهجة مهذبة جداً :

- مستر سيناترا .. أنا اسمى بونى روزنبرج وأود لو أديت لى خدمة صغيرة لن أنساها لك ما حييت .

- هات ما عندك.

- معى الآن فتاتى وأريد أن أشعرها بأهميتى .. وسوف أقدر صنيعك لو أنك مررت بمائدتى وناديتنى "هاى .. بونى" .

ابتسم سيناترا وربت على كتف الصبى وقال :

- وهو كذلك يا بنى .. اذهب أنت وسأحاول .

وبعد دقائق مر سيناترا بمائدة اليهودى الشاب وقال :

- هاى .. بونى.

فرفع بونى إليه عينين متعاليتين وقال :

- لا تضايقنى الآن يا فرانك .. آلا ترى أنى مشغول ؟

****

والنكتة لم ينشرها فرويد بالطبع .. لأن سيناترا لم يكن قد ولد بعد، إنما نشرها سبالدنج فى موسوعته عن النكتة اليهودية .. وقد لاحظ سبالدنج مثل فرويد أن كثيراً من النكات اليهودية آقرب للقصة .. ففيها كثير من التفاصيل مثل حكايات قبل النوم .. خاصة النكات القديمة أيام الجيتو والانغلاق .. فقد كانوا يملكون الوقت لذلك .. ولكن مع الانفتاح على الآخرين أصبحت النكتة آكثر تكثيفاً وتركيزاً وتخلصت من الشحم والترهل .

****

كان ذلك قبل آسبوع من عيد الفصح عندما استجاب الحاخام الفقير إليشع للطرق على بابه .. كان اليوم بارداً بخلاف هذا الوقت من السنة .. وكان الزائر يرتعش فى معطفه الخفيف البالى .. آدخله الحاخام ودعاه للجلوس بالقرب من الفرن وأعطاه كوباً من الشاى الساخن .. وسأله :

- لماذا تبدو محبطاً إلى هذا الحد ؟

قال الغريب بمرارة :

- إننى يائس، فبعد عدة آيام سيأتى عيد الفصح وليس لدى مال لشراء النبيذ واللحم والاحتياجات الضرورية .. بل إننى وزوجتى وأولادى نخجل من أن نذهب إلى المعبد يوم العيد بسبب ثيابنا البالية.

آومأ الحاخام متفهماً وقال :

- صدقنى يا صديقى سيساعدك الله فهو لا ينسى أبناءه أبداً.

وأوشك الزائر غير المقتنع بما سمع على البكاء، وحاول الحاخام التعاطف مع الفقير فالله لا ينسى أبناءه أبداً.

اقترح الحاخام اقتراحاً وأتى بورقة وقلم وقال :

- فلنحدد احتياجاتك .. كم ستحتاج لشراء اللحم والنبيذ ؟

- ١٥ روبلاً.

- وثيابك ؟

- ٢٥ روبلاً.

- وثياب أولادك وزوجتك ؟

– ٦٠ روبلاً .

– لنرى .. إنك تحتاج إلى ١٠٠روبل .. أظن أننا حللنا المشكلة.

– ماذا تعنى ؟

– الأمر واضح .. الآن لن تقلق بشأن اللحم والنبيذ وملابسك وملابس زوجتك وأولادك .. لقد اختصرنا كل ذلك فى شىء واحد تقلق بشأنه هو كيف ستحصل على ١٠٠ روبل ؟

****

كان هناك سائقا عربات فى بولندا يتنافسان دائماً على الزبائن .. أحدهما هوإيفان والآخر ميكائيل .. وقد تقابلا فى يوم وجهاً لوجه .. وضعا حصانيهما وتبادلا تحية باردة .. صاح إيفان ساخراً :

– أرى يا ميكائيل أن الراكب الذى معك هو اللص يوسيل اليهودى.

– ماذا تعنى بكلمة لص. إن اليهودى الذى معى أفضل عشرات المرات من المرابى اليهودى الذى يركب عربتك.

– توقف الآن لا يمكن آن تهين راكبى بهذا الشكل وتفلت.

– سأهينه كما يحلو لى .. إن اليهودى الذي بصحبتى أفضل من اليهودى الذى معك وآنا أحذرك أيها الخنزير .. كلمة أخرى تخرج من فمك سأوجه لكمة لليهودى الذى معك فى أنفه.

– حقاً فلتحاول وسترى ما الذى سيحدث.

ونزل ميكائيل من عربته ووجه لكمة قوية لأنف الراكب اليهودى .. فتملك إيفان الغضب ونزل من عربته وهو يسب وجرى إلى عربة ميكائيل وضرب راكبه اليهودى فى عينه بكل قوته وقال :

– آنت ضربت اليهودى الذى معى وآنا ضربت اليهودى الذى معك.

وطاش صواب ميكائيل وآقسم بالله ورأس القيصر بأن ينتقم ونزل إلى راكب إيفان وأخذ يضربه بلا رحمة .. وصاح ميكائيل فى راكبه الذى فقد وعيه :

– لا تقلق سآتولى آمر هذا الكلب القذر. سأعطيه درساً لن ينساه بقية حياته.

وقبض بيده على عنق راكب إيفان وخنقه حتى آوشك على الموت وفى الوقت نفسه كان يضرب رأسه فى حجر.

ثم حدق كلا السائقين أحدهما فى الآخر والكراهية تملأ أعينهما .. وصعد كل من إيفان وميكائيل إلى عربتيهما وسارا فى طريقهما.

وتمتم ميكائيل لنفسه :

– هذا سيعلم إيفان أن يحترم اليهود.

وتمتم إيفان لنفسه :

– هذا سيعلم ميكائيل أن يحترم اليهود.

****

وواضح أن النكتة أو الفكاهة أقرب للحكاية أو القصة القصيرة .. وقد اختصرت الكثير منها لتكون أكثر تركيزاً .. لكن لماذا يفعل اليهود ذلك وكانوا فى ذلك الوقت – فى شتات روسيا و أوروبا وفى غيرها – يعيشون فى عزلة عن الآخرين ويملكون وقتاً طويلاً فى الليالى الباردة .. لا مانع من التفاصيل والاستطراد والتشويق والإضافة مادام السمر والسهر هما أفضل ما يعرفونه .. ثم إنها متعة مجانية.

****

كانت السيدة مورجانستين متأثرة جداً بموعظة الحاخام .. وقالت لزوجها :

– إنه رجل ملهم.

فقال زوجها :

– لوأخبرته بذلك سيشعر بالسعادة.

فى السبت التالى بعد الموعظة ذهبت إليه لتقول :

– أود أن تعرف أن جميع مواعظك رائعة .. والواقع أنك يجب أن تنشرها فى كتاب .

– لا أستطيع أن أعبر لك عن سعادتى بمديحك ولكن هناك حاخامات مواعظهم أفضل منى بكثير.

– هراء .. هراء.

– حسناً .. إذن ربما أنشر مواعظى بعد وفاتى.

صاحت السيدة مورجانستين فرحة :

– آوه .. هذا رائع .. فلنأمل أن يكون ذلك فى القريب العاجل.

****

– ساهم الصحفى ديفيد شوارتز الذى يكتب فى صحيفة "الصوت اليهودى" بكاليفورنيا فى دعم وتثبيت فلكلور النكتة اليهودية.

وقد كتب مرة :

– إن الانفجارات السكانية ليست دائماً سيئة .. إن نفوذ وثروة آل روتشيلد جاءا من الأبناء العديدين لروتشيلد .. فمع وجود فرد من عائلة روتشيلد فى عاصمة دولة كبيرة استطاعوا أن يكونوا نوعاً من الاتحاد العالمى.

فى ذات مرة طلب شحاذ من البارون روتشيلد أن يعطيه شيئاً .. ولكنه استاء من المبلغ الذى أخذه قائلاً :

– إن ابنك أعطانى ضعف هذا المبلغ.

فقال روتشيلد :

– ابنى يستطيع أن يفعل ذلك لأن "أبوه" ثرى.

****

وقد لخص فرويد سمات وشروط النكتة فى : (١) التكثيف. (٢) المعنى المزدوج. (٣) الاستخدام المتعدد لمادة واحدة .. ولا أريد الخوض فى شرح فلسفة النكتة وخواصها وأساليب ابتكارها .. ليس لأن الشرح يفسد السخرية وإنما لأننى فعلت ذلك من قبل فى كتابى "كيف يسخر المصريون من حكامهم ؟".

على أننى سأكتفى بما قلته عن فرويد والنكتة .. ليس لأنه يهودى ولكن لأنه رائد مدرسة التحليل النفسى وقائد أكبر انقلاب حدث فى علم النفس .. فقد وضع على عينيه نظارة الجنس وتأمل من خلالها كل شىء .. إن الاضطرابات التى نتعرض لها سببها الكبت .. وسببها أن النصف السفلى للإنسان يضغط بضراوة على النصف العلوى .. إن الغريزة تسيطر كثيراً على العقل .. لذلك ليس مثيراً للدهشة أن يربط فرويد بين الجنس والنكتة .. فهى فى رأيه من العمليات "الإخراجية" التى تريح الإنسان وتخفف توتراته.

" وعندما ننكت نعود إلى طفولتنا .. نرتد إلى سنوات البراءة والحرية والانطلاق والمرح .. نهرب بعيداً عن رقابة الكبار .. نتحرر من الطاقة المكبوتة .. تماماً كما يندفع التلاميذ الصغار إلى الطريق العام فرحين متهللين لخروجهم من المدرسة .. وحسب نوع الكبت يكون نوع النكتة .. فالغضب والخصام يولدان النكات العدوانية والدعابات الساخرة الثقيلة .. والشعور بالنقص يثير النكات الخفيفة التى تتسم بالحياء والخجل .. والميول الجنسية تعمل على ظهور النكات الماجنة .. والضغوط الاجتماعية والنزعات الفاشية تخرج على شكل نكات سياسية حراقة وقاسية".

ويتوقف فرويد كثيراً عند النكتة الجنسية .. لأنه لا ينسى وظيفته السيكولوجية .. ويتوقف عند

النكتة اليهودية .. لأنه لا ينسى أيضاً أنه يهودى .. كذلك فإن ظاهرة النكات اليهودية كانت أكبر من أن يتجاهلها.

يلاحظ فرويد أن النكتة الجنسية تنطوى على عنصر تخفيف وراحة .. "فهى تحررنا إلى حين من القيود الأخلاقية الصارمة التى يفرضها علينا المجتمع فيدعلنا مطلق الحرية فى أن نتعرض لتلك المسائل المحرمة أو المحظورة التى اعتدنا عدم الإشارة إليها.

لكن .. النكتة الجنسية تتجاوز تفريغ الكبت إلى الإثارة والإشارة والتحريض إذا ما رويت فى وجود الجنس الآخر .. ومن يفعل ذلك كمن يكشف عورته .. أو كمن يتمنى أن يكشفها .. ومن يركز – وهو يروى نكاته الجنسية – على شخص ما من الجنس الآخر فهو يخدش حياءه حتى يضطر إلى انتهاك حرمة القانون الأخلاقى .. أى أن الفتاة التى تضحك على نكتة بذيئة قالها شاب يمكن أن تقبل منه ما هو أبعد من ذلك وأخطر .. فالنكتة أحياناً هى توفيق رأسين فى الخطيئة.

أما النكتة اليهودية فيرى فرويد أنها تنطوى على نقد ذاتى .. فمعظم النكات التى عن اليهود هى يهودية الأصل ..هدفها نقد خصائص الشخصية اليهودية .. وهى غير النكات التى يطلقها غير اليهود على اليهود .. فهى خاوية من هذه الخصائص .. وتركز فقط على اليهود كيهود .. وهم فى رأى غيرهم شخصيات مضحكة .. ومثيرة للتنكيت فى حد ذاتها.

ويقول فرويد : إن النكات اليهودية توضح الأخطاء الحقيقية والواقعية فى سمات اليهود وعاداتهم .. وهى ليست مجرد ادعاءات قاسية لإثارة الضحك .. وإنما فيها مرارة القول المأثور .. شر البلية ما يُضحك.

****

فى فيينا كان الحاخام مفتوناً بأهميته وكماله حتى أنه كان يعتقد أنه لا يرتكب أى خطأ .. وكل ما يقوله بالنسبة له لا مناقشة فيه مثل قانون الجاذبية.

فى أحد الأيام جاء أحد أتباعه وطلب منه أن يصلى من أجل زوجته التى كانت مريضة فى حالة حرجة.

قال الحاخام بابتسامة واثقة : لا تقلق .. فقط اذهب إلى المنزل وسأتولى أنا أمرها حالاً.

لكن فى اليوم التالى عاد التابع وهو حزين وغارق فى البكاء :

– أيها الحاخام .. لقد ماتت زوجتى المسكينة.

– هذا مستحيل.

- إنه صحيح .. ماتت.

- كيف يمكن أن يحدث ذلك وقد تفاوضت بنفسى مع عزرائيل، ملك الموت، بل وانتزعت منه المنجل الذى يحصد به الأرواح ؟

- يبدو أنك لا تفهم أيها الحاخام .. أقول لك ماتت.

- حسناً إذا كان الأمر كذلك فإن الإجابة المنطقية أن ملك الموت بعد أن أخذت منه المنجل ذهب إليها وخنقها.

****

كان المليونير الأمريكى يستمتع بصحبة هيرشيل آو ستروبولير وهو يهودى خفيف الظل، سريع البديهة.

قال المليونير :

- هيرشيل إذا استطعت أن تقول كذبة فورية بدون تفكير سأعطيك دولاراً.

وكانت إجابة هيرشيل الفورية :

- دولاراً .. ماذا تعنى بقولك دولاراً .. لقد قلت ١٠٠ دولار لتوك.

****

والكذب أحياناً يُعرف بالفشر .. أى الكُذب الخيالى .. أو الكذب المستحيل .. ويبدو أن الفشر إحدى سمات الشعوب الشرقية واليهود منها .. فكثير من نكاتهم .. فشر فى فشر.

يهوديان من نيويورك كانا يتناقشان فى معجزات العلم والتكنولوجيا.

قال أحدهما :

- لقد أقمت مشروعاً للأجهزة الإلكترونية وحققت من ورائه ثروة.

قال الآخر :

- بالنسبة لى .. العكس .. فقد كلفتنى التكنولوجيا ثروة.

- كيف ؟

- فى العام الماضى ذهبت إلى معرض سيارات ورأيت سيارة كهربائية بالكامل .. ليس فيها وقود ولا كاربرتير .. أنت فقط توصلها بأحد مفاتيح الكهرباء فى منزلك ثم تنطلق بها وقد أعجبتنى الفكرة فاشتريتها وقمت برحلة إلى كاليفورنيا، لم أنفق مليماً على البنزين .. فعلاً .. ولكن الأمر

كلفنى ٣٠٠ دولار قبل آن آصل لوس أنجلوس.

– كيف ذلك ؟

– تخيل طول سلك الكهرباء الذى يجب أن تشتريه.

****

هارى وجو صديقان قديمان كانا يقارنان دائماً بين أعمالهما الفذة .. وكل منهما كالمعتاد يحاول أن يتغلب على الآخر.

قال هارى :

– ذات مرة اصطدت سمكة رنجة وكانت أكبر سمكة رنجة رأتها عين بشر .. كانت تزن ٥٠٠ رطل.

رد جو :

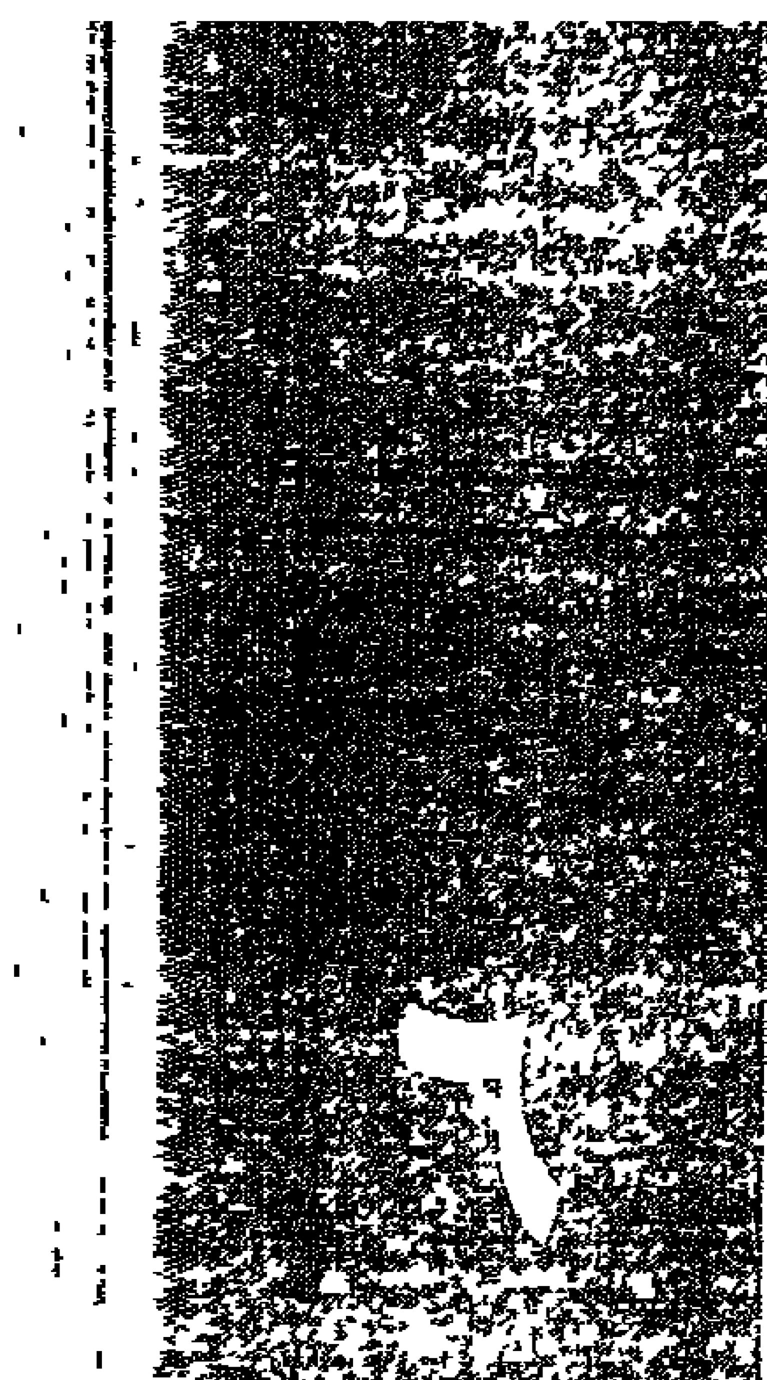
– هذا لا شىء .. ذات مرة عندما كنت أصطاد شددت سنارتى فوجدت بها مصباح سفينة وكان التاريخ المحفور عليه ١٣٩٢ ميلادية أى ١٠٠ عام قبل ظهور كولومبس .. ولكن ذلك لم يكن هو كل شىء .. داخل المصباح كان هناك ضوء مازال مشتعلاً !

نظر هارى فى وجه صديقه لبعض الوقت دون أى تعبير على وجهه ثم ابتسم قائلاً :

– اسمع يا جو .. فلنتفق .. أتنازل أنا عن ٤٩٥ رطلاً من الرنجة وتطفىء أنت نور المصباح.

****

لا جدال أن الاستمتاع بالنكتة أفضل من تحليلها .. فالتحليل يفسدها .. ويحولها من سخرية إلى هيستريا.



٦

السم فى النكتة اليهودية

هم الذين اخترعوا الجدل والمراوغة.

لا يستجيبون مباشرة .. ولو كان الأمر من الله .. يلفون .. يدورون .. يماطلون .. يتحايلون .. يفتحون الثغرات .. يختلقون الأعذار .. يلعبون بالبيضة والحجر .. يجيبون عن السؤال بسؤال .. وفى النهاية يدفعون الثمن غالياً.

ولا أحد لا يعرف قصة اليهود مع البقرة .. لقد أمرهم الله أن يذبحوا بقرة .. لكنهم تصوروا أن فى الأمر سخرية .. ولو كانوا قد فعلوا لذبحوا أى بقرة وانتهى الأمر .. ونفذوا التكليف الإلهى .. فلم تكن هناك صفات محددة فى البداية لهذه البقرة .. هم الذين تشددوا وتساءلوا – من باب المناورة والمراوغة – عن لونها .. وسنها .. وصفاتها.

"قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى " .. قال إنها بقرة "لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك" .. أى أنها بقرة وسط فى العمر .. "قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها" .. وشددوا بذلك أكثر على أنفسهم .. وزادوا من صفات البقرة .. وضاعفوا من صعوبة الحصول عليها .. وتحدد اللون باللون الأصفر المشوب بالحمرة .. وهو لون نادر عزيز .. وأضيف شرط آخر .. أن "تسر الناظرين".

ولم يكتفوا بذلك .. ولكن .. "قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى".. تانى ؟ .. وتحددت صفات أدق وأضيق .. بقرة مدللة .. لم ترهق بحرث الأرض .. ولا بالدوران فى ساقية .. سليمة .. لا عيب فيها .. ليس فيها لون يخالف لونها.

وعندما لم يجدوا مفراً – بعد كل هذا الجدل – قالوا "الآن جئت بالحق" ... وراحوا يبحثون عن بقرة بهذه الصفات النادرة والشروط القاسية التى فرضوها بأسلوبهم .. لكنهم لم يجدوها إلا عند رجل منهم كان باراً بأبيه .. فطلبوها منه فأبى عليهم، فضاعفوا ثمنها حتى عرضوا مقابل وزنها ذهباً لكنه رفض .. ولم يقبل حتى أعطوه وزنها عشر مرات ..

"فذبحوها وما كادوا يفعلون".

****

هذه الصفات التى انفرد بها اليهود طوال تاريخهم عكست نفسها فى كثير من نكاتهم .. اللف والدوران وتعقيد الأمور ثم اكتشاف أنها أبسط مما يعتقدون .. أو مما يعقدون .. ولكنه اكتشاف يأتى متأخراً .. وبعد ضياع الوقت .. ومضاعفة الثمن.

****

توقف ريب بيريل شاريف عن انهماكه فى دراسة التوراة والتلمود ليأتى بكوب من الشاى .. وعندما عاد إلى كتبه لم يستطع أن يتذكر أين وضع نظارته .. وكان من عادة هذا الحكيم أن يضع نظارته فوق الكتاب الذى يقرأه حتى يعرف دائماً أين يجدها عندما يستأنف عمله .. لكنه هذه المرة لم يجدها فى مكانها المعتاد .. وبحث فى كل مكان .. بين الأوراق وتحت الأثاث وفى صينية

الشاى .. فلم يعثر عليها.

قال لنفسه :

- سأطبق ما أعرفه من طريقة التفكير الخاصة بالتلمود.

وبدأ :

- أولاً .. من يمكن أن يستفيد من سرقة نظارتى ؟ .. إذا كانت قد سُرقت أصلاً .. فلنفترض أن شخصاً يحتاج إلى نظارة .. أخذها .. ولكن من ناحية أخرى الشخص الذى يحتاج إلى نظارة لاشك أن لديه واحدة خاصة به فلماذا يسرق نظارتى ؟ .. لذلك يجب أن نستبعده كمشتبه فيه.

ولكن لنفترض أن شخصاً لا يحتاج إلى نظارة أخذها .. لا .. هذا غير محتمل .. إذا كان لا يحتاج نظارة فليس هناك سبب لأن يسرق نظارتى .. بالطبع يمكن أن يبيعها لرجل يحتاج نظارة .. ولكن إذا كان الرجل الذى يحتاج نظارة لديه نظارة بالفعل فلماذا يدفع مبلغاً من المال فى نظارتى ؟ وإذا كان السارق لن يحقق فائدة من نظارتى فليس من المنطق أن يسرقها ويعرض نفسه للسجن.

ولكن المنطق يفرض علينا أن نبرهن على أن النظارة سُرقت .. وإذا كان الحال هكذا .. فلابد أن الذى أخذها يحتاج إلى نظارة ويملك واحدة بالفعل .. إذن لماذا يسرق شخص كهذا نظارة شخص آخر ؟ .. الاستدلال البسيط يقول أن مثل هذا الشخص فقد نظارته .. إذن يمكننا أن نفترض ذلك .. ولكن إذا كان شخصاً حريصاً كمعظم أصحاب النظارات فليس من المرجح أن يفقد نظارته .. إذن يمكننا أن نفترض فقط أنه وهو شارد الذهن دفع نظارته إلى جبهته ونسى ذلك.

حسناً والآن حيث وصلنا إلى هذا الفرض .. لماذا لا أطبق الأمر على مشكلتى وأقول أننى قد أكون فعلت نفس الشىء.

وعندما وصل ريب بيريل إلى هذه النتيجة لمس جبينه بيده ووجد ما كان يبحث عنه .. وقال بحماس وهو سعيد بتطبيقه لهذه الصيغة فى التفكير :

- شكراً للرب لأنه منح شعبنا قدرة التحليل التلمودى .. فلولا هذا التحليل لكان علىّ أن أنتظر حتى نهاية العالم عندما يصل المسيح المخلص ليجد لى نظارتى !

****

طرق فلاح خجول، جاهل باب حاخامه فى أحد الأيام وعندما رحب به، قال الفلاح ووجهه يتورد خجلاً :

- لقد أردت دائماً أن أفهم التلمود لكننى حتى الآن لم أجد الشجاعة لأسأل عن تعاليمه.

ثم توسل قائلاً :

- أيها الحاخام من فضلك علمنى ما هو التلمود !

وابتسم الحاخام فى صبر:

- أشرح التلمود ؟ .. إن العديد من علمائنا لا يفهمونه بشكل واضح .. فكيف لفلاح غير متعلم مثلك أن يدرك قوانينه المعقدة ومعانيه الغامضة ؟

وأصر الفلاح .. وأخيراً استجاب له الحاخام .. وقال :

- الآن تابع كل كلمة بعناية ... إذا اقتحم لصان منزلاً عن طريق المدخنة .. ودخلا ليجدا أن أحدهما وجهه متسخ والآخر وجهه نظيف فأيهما سيغتسل ؟

أجاب الفلاح :

- الشخص ذو الوجه المتسخ طبعاً ؟

هز الحاخام رأسه مستهزئاً :

- هذا ما كنت أعنيه بشأن الفلاحين الجهلاء الذين يحاولون الإلمام بالتلمود ... إذا فكرت دقيقة ستفهم أن الرجل ذا الوجه النظيف نظر إلى الآخر ذى الوجه المتسخ وافترض أن وجهه هو أيضاً متسخ فغسله .. والعكس أيضاً .. الرجل المتسخ الوجه نظر إلى وجه اللص الآخر النظيف فافترض أن وجهه هو أيضاً نظيف .. لذلك لم يغسله بالطبع.

وفكر الفلاح فى هذا التفسير ثم قال :

- سيدى الحاخام لا أعرف كيف أشكرك .. الآن على الأقل فهمت التلمود.

قال الحاخام فى حزن :

- أوه يا صديقى .. هناك طريق طويل يجب أن تقطعه .. كيف يمكنك أن تصدق أنه عندما يدخل لصان من مدخنة يتسخ أحدهما فقط ؟

****

بعيداً عن هذه الطريقة الملتوية الملفوفة فى التفكير والتفسير اليهودى .. التلمود غير التوراة .. وقد تحول التلمود بمرور الزمن إلى كتاب أكثر قداسة من التوراة .. وقد بدأت قصة التلمود بعد المسيح بمائة وخمسين سنة عندما جمع حاخام يُسمى "يوضاس" تعاليم موسى فى كتاب سماه "المشنا" .. ومعناها الشريعة المكررة لأن شريعة موسى المرصودة مكررة فى هذا الكتاب .. أما الغرض من الكتاب فهو إيضاح وتفسير ما التبس فى شريعة موسى .. ثم علق علماء اليهود على المشنا بشروحات وحواش مسهبة دعوها باسم "جامارة" .. والمشنا والجامارة هما معاً التلمود .. ومعنى الكلمة : كتاب تعاليم ديانة وآداب اليهود.

وفى نسخ التلمود المطبوعة فى المائة سنة الأخيرة مساحات بيضاء كان مكانها ألفاظ سب فى حق المسيح والعذراء والرسل كانت مذكورة فى النسخ الأصلية .. وقد غضب المسيحيون منها فقرر المجمع الدينى اليهودى فى مدينة بولونيا فى سنة ١٦٣١ ترك هذه المساحات البيضاء بدلاً من الطعن والسباب فى المسيحيين .. وقد اختفت المساحات البيضاء فى بعض الطبعات الجديدة المتداولة فى إسرائيل الآن منقولة حرفياً عن النصوص الأصلية.

واليهود يعتبرون التلمود هو الأكثر قداسة .. ويقول الحاخامات : "إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها .. ومن درس "المشنا" استحق أن يكافأ عليها .. ومن درس الجامارا فعل أعظم فضيلة".

وبصراحة أكثر يقولون : "إن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى".

ثم بجرأة لا تخلو من التجاوز يستطردون : "إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها فى السماء".

وقال ميمونيد : "مخافة الحاخامات هى مخافة الله" .. وميمونيد هو موسى بن ميمون، الطبيب والفيلسوف اليهودى الذى وُلد فى الأندلس وعاش ولمع فى مصر ومات فى سنة ١٢٠٤.

وفى صفحة ٧٤ من التلمود : "إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله" .. ولا تتوقف العصمة عند الحاخامات وإنما تمتد إلى كل ما يتعلق بهم .. وقد قيل "أن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئاً محرماً".

وفى كتاب "الكنز المرصود فى قواعد التلمود" السابق الإشارة إليه : إن الله حسب ما جاء فى التلمود ليس معصوماً من الطيش لأنه "حالما يغضب يستولى عليه الطيش" .. كما حدث منه "يوم غضب على بنى إسرائيل وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ولكنه ندم على ذلك بعد ذهاب الطيش منه ولم ينفذ ذلك اليمين لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة" – ص ٥٦.

وفى الكتاب نفسه أن القمر قال للرب : أخطأت حين خلقتنى أصغر من الشمس .. فاعترف الرب بخطئه وقال : اذبحوا لى ذبيحة أكفر بها عن ذنبى لأنى خلقت القمر أصغر من الشمس – ص ٥٦.

وفى الكتاب كذلك : إن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطىء .. وقد جبر اليهود على قبولها – ص ٥٧.

****

إن هذه الجرأة تجلت فى نكتة الخياط والتاجر وهى نكتة من التراث اليهودى القديم، ومتوارثة عبر الأجيال.

طلب التاجر من الخياط أن يحيك له قميصاً على أن ينتهى من عمله خلال أسبوع لأن التاجر

سيسافر بعيداً بعد أسبوع فى رحلة تجارية طويلة وهو يريد القميص فى هذه الرحلة .. لكن الخياط الذى لا يعتمد عليه لم يجهز القميص فى الموعد المحدد واضطر التاجر للسفر بدونه .. وفور عودته ذهب إلى الخياط الذى حياه بحرارة وهو يقدم له بفخر قميصه الجديد قائلاً :

لقد أنهيته.

- أنهيته لتوك ؟ .. شوف لقد خلق الله العلى القدير كل هذه الدنيا فى ستة أيام فقط فهل استغرق الأمر منك ستة أسابيع لكى تصنع قميصاً بسيطاً ؟

واحتج الخياط :

- أى مقارنة هذه ؟ .. انظر إلى الفوضى التى عليها الدنيا ثم انظر إلى هذا القميص الرائع الذى صنعته.

****

ولا يوجد شعب تمتلىء نكاته بالجدل مثل اليهود .. وهو أمر طبيعى .. فالنكتة مرآة تكشف ملامح أصحابها .. وجهاز ليزر يخترق أعماقهم.

إن المصريين يقولون : "عقبال ١٠٠ سنة" .. فهى فى تصورهم أقصى عمر يحلم بأن يعيشه إنسان .. أما اليهود فيقولون "حتى المائة والعشرين" .. وهو العمر الذى عاشه موسى.

اثنان من المهاجرين اليهود كانا على وشك دخول أمريكا .. شاب وامرأة عجوز .. وفى مكتب الهجرة سأل الضابط المرأة العجوز :

- اسمك ؟

- موك !

- سنك ؟

- الخامسة والسبعون حتى المائة والعشرين.

- عفواً .. كم عمرك ؟

- الخامسة والسبعون حتى المائة والعشرين.

- سيدتى لا أفهم .. أخبرينى بعمرك بأرقام بسيطة.

- لقد قلته لك .. الخامسة والسبعون حتى المائة والعشرين.

ربت الشاب اليهودى على كتف المرأة وسألها :

– سيدتى .. حتى المائة والعشرين كم عمرك ؟

– الخامسة والسبعون !

****

ركب شاب القطار المتجه إلى آوديسا وجلس إلى جوار راكب تبدو عليه أمارات الثراء .. فسأله الشاب محاولاً أن يبدأ معه حواراً :

– كم الساعة ؟

حملق فيه الرجل باحتقار ثم قال :

– اذهب إلى الجحيم.

– ماذا بك بحق الشيطان .. أسألك بأدب عن الساعة فترد بهذه الوقاحة ؟

– حسناً سأقول لك .. أنت تسأل عن الساعة .. سأرد عليك .. ثم تبدأ فى مناقشة عن الطقس والسياسة والبيزنس وسنكتشف على الفور أن كلينا يهودى .. وأنا أعيش فى أوديسا وأنت غريب عنها .. ومن ثم يحتم علىّ الواجب أن أدعوك إلى منزلى وتقابل صوفى ابنتى .. الجميلة .. وبعد عدة زيارات يقع كل منكما فى حب الآخر .. وفى النهاية تطلب منى أن أباركما حتى تستطيعا الزواج .. فلماذا لا نتجنب هذه القصة الطويلة .. وأقول لك من الآن إننى أرفض بشدة أن أزوج ابنتى لشخص لا يملك ساعة .. ومن ثم اذهب إلى الجحيم.

****

فى مدينة براغ كان يعيش أخان .. أحدهما أستاذ جامعة والآخر لص .. وكان أستاذ الجامعة يتجنب شقيقه .. ولكن فى أحد الأيام قابله صدفة فى شارع وحاول تجاهله .. ولكن الأخ اللص أمسك به فى غضب قائلاً :

– انتظر لحظة .. ما الذى يجعلك فخوراً ومتعالياً هكذا ؟ إذا كنت أنا متكبراً فلى العذر فإن لى أخاً أستاذ جامعة أما أنت فأخوك لص فلماذا هذه الغطرسة ؟

****

يهودى جاء من إحدى مدارس التلمود المغلقة إلى أمريكا مهاجراً .. وسأل صديقاً له :

– كم المسافة من نيويورك إلى فيلادلفيا ؟

– ١٠٠ ميل.

– ومن فيلادلفيا إلى نيويورك؟

- نفس المسافة بطبيعة الحال.

فاحتج المهاجر الجديد قائلاً :

- ما هو الطبيعى فى هذا الأمر .. فليس بالضرورة أن تكون مسافة الذهاب مثل مسافة الإياب.

- كيف ؟

- على سبيل المثال المسافة من عيد البوريم إلى عيد الفصح شهر واحد .. لكن المسافة من عيد الفصح إلى عيد البوريم ١١ شهراً.

****

والمعروف أن عيد البوريم فى شهر مارس (آذار) أما عيد الفصح فهو فى أبريل (نيسان) .. ويعرف عيد البوريم بعيد المسافر .. فكلمة "بور" أو "نور" الفارسية معناها قرعة، ويحتفل بهذا العيد فى ١٤ مارس وهو اليوم الذى أنقذت فيه إستير يهود فارس من المؤامرة التى دُبرت لذبحهم .. وهم فى إسرائيل يتلون قصة إستير فى الإذاعة احتفالاً بهذا العيد ولكن العلمانيين يتنكرون ويتقمصون شخصيات أخرى ويمشون فى كرنفال .. ويتبادلون القفشات والنكات .. ومن بينها بالطبع المراوغة والمناورة.

****

قال يهودى لجاره :

- لقد أصبحت شخصاً عالمياً ؟

- كيف وأنت معدم ومجهول وتعيش فى قرية صغيرة لا يستطيع أحد أن يكتشفها على الخريطة.

- إننى عندما احتجت قرضاً حصلت عليه من اللجنة الأمريكية المشتركة .. وقد سدد القرض ابنى الذى يعيش فى الأرجنتين .. وضرائبى يدفعها صهرى الذى يعيش فى كندا .. ويمدنى بالثياب لجنة إغاثة اليهود فى لندن .. وترسل لى أختى فى باريس البطاطس .. وآخر حذاء اشتريته سددت ثمنه لجنة المعونة فى جوهانسبرج.

****

هو حاخام مشهور بطريقته المعقدة فى التفكير .. وأثناء إلقائه درساً فى الفلسفة .. سأله طالب متجهم :

- أيهما تفضل .. أن يكون لك خمس بنات .. أم خمسة آلاف دولار ؟

أجاب الحاخام على الفور :

- خمس بنات.

- لكن هذا الاختيار يقوم على العواطف وليس على العقل ؟

- إن اختيارى يقوم على المنطق البحت .. أولاً : وفقاً للطبيعة الإنسانية إذا امتلكت خمسة آلاف دولار سأرغب فى المزيد بلاشك وبصفتى رجلاً متديناً لا أستطيع أن أتسامح مع الجشع حتى مع نفسى .. وهذا الأمر لا ينطبق فى حالة الخمس بنات .. ثانياً : إذا رغبت فى الحصول على خمسة آلاف دولار لن يتحقق هذا الأمر على أى حال فالرغبة دون تطبيق عملى لا تجلب مالاً، فلماذا أجعل من نفسى أحمق ؟ .. ثالثاً : أيها الشاب أنا أفضل أن يكون لدى خمس بنات لأن لدى بالفعل ثمانى بنات.

****

أوصى فلاح يهودى بتوزيع ثروته على أولاده الثلاثة بحيث يحصل ابنه الأكبر على نصف أبقاره .. ويحصل ابنه الأوسط على ثلثها .. ويحصل ابنه الأصغر على تسعها .. وبعد موته اكتشفوا أن لديه سبع عشرة بقرة .. فاحتاروا فى تقسيمها حسب وصية أبيهم لكنهم فشلوا تماماً .. فراحوا بالمشكلة إلى الحاخام.

أخذ الحاخام يفكر فى هذا الموقف الغريب لبعض الوقت إلى أن استطاع بعد جهد طويل حل المشكلة بأن أضاف بقرته هو إلى بقرات المتوفى مما جعل التقسيم سهلاً .. فأعطى الابن الأكبر نصف الأبقار (٩بقرات) وأعطى الابن الأوسط الثلث (٦ بقرات) وأعطى الأصغر التُسْع (بقرتان) .. وبقيت بقرة واحدة .. هى بقرة الحاخام فأخذها إلى منزله.

****

كان الحاخام شارف فى محطة قطار بودابست عاصمة المجر يقف فى الصف ليحصل على تذكرة عودة لقريته الصغيرة التى تبعد ٦٠ ميلاً .. كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى .. وكان أمامه رجل حسن الهندام اشترى تذكرة لنفس القرية .. وفى القطار جلسا فى نفس الكابينة.

تساءل الحاخام بينه وبين نفسه :

- من يكون هذا الرجل ؟ وما العمل الذى يمكن أن يقوم به فى قريتنا الصغيرة ؟

وبالطبع لا يسأل أحد الآخرين عن هذه الأمور بسهولة فقرر الحاخام أن يعرف ما يريد بنفسه عن طريق تطبيق طرق التلمود فى استبعاد وحصر الافتراضات.

قال لنفسه :

- بالحكم على ملابس الرجل الأنيقة ومتاعه الفاخر لابد أنه صاحب مهنة محترمة .. ربما طبيب .. نعم قد يكون كذلك .. إن يوشيلوف مريض .. ولكن يوشيلوف فقير فكيف له أن يدفع

آجر طبيب يأتى من المدينة .. ربما كانت سارة زوجة اللبان .. إنها حبلى .. ولكنها أيضاً فقيرة وقد ولدت ابنيها الأخيرين بمساعدة موكا الداية.

ربما لا يكون طبيباً على الإطلاق .. فماذا يكون إذن ؟ مهندساً ؟ .. ولكن من يحتاج إلى مهندس فى قريتنا الصغيرة ؟ .. لا أحد .. ربما يكون محامياً ؟ .. ولكنى أحكم بنفسى فى جميع القضايا هناك.

ربما يأتى لزيارة قريب له .. لم يغادر أحد قريتنا منذ ٣٠ سنة .. لكن .. مهلاً .. ألم يكن للسائق فيفيل شقيق ذهب للعيش مع عمه فى بودابست منذ ٣٣ سنة مضت ؟ .. بالطبع هو شقيق فيفيل كوهين ياكوف.

ولكن لماذا يعود ياكوف بعد كل هذه السنين ؟ .. فيفيل يبدو فى صحة جيدة فيما عدا بعض الألم فى أسنانه يصيبه أحياناً .. آه فهمت ياكوف طبيب أسنان وجاء ليعالج أسنان أخيه - وهذا يعنى أنه طبيب على كل الأحوال.

ولكن من سمع عن طبيب فى المدينة الكبيرة يُدعى ياكوف كوهين ؟ .. لا .. لا .. لابد أنه غير اسمه إلى اسم مجرى .. آه ياكوف لابد أنه أصبح جون .. نعم جون كوهين .. لا .. لابد أنه غير اسمه الأخير أيضاً إلى اسم مجرى .. كوهين .. كوهين .. آه .. عرفت أصبح كوفاك.

ابتسم الحاخام حينئذ وتحول إلى رفيقه فى السفر وقال له :

- د. جون كوفاك على ما أعتقد ؟ .. اسمح لى أن أقدم نفسى .. أنا الحاخام شارف.

اندهش الغريب وسأله :

- كيف عرفت أننى د. جون كوفاك ؟

- قرأت اسمك على إحدى الحقائب !

****

إن هذه الطريقة فى التفكير التى يقول اليهود أنهم تعلموها من التلمود يستخدمونها ببراعة فى المفاوضات السياسية .. إنهم يطلبون الحد الأقصى إذا كانوا يريدون الحد الأقصى .. ولا يملون من التفاصيل ربما خرجوا من المأزق .. وهم يختارون الطرق الملتوية لأن الطريق المستقيم الظاهر أمامهم قد يورطهم ولا يعطيهم فرصة للتنازل والتراجع .. ثم إنهم يفاجئون الخصم بتغيير مفاجىء دائماً فى جدول الأعمال لم يكن متوقعاً .. فإذا ما فقد الخصم صبره وطول باله وكان متعجلاً كان عليه هو أن يقدم التنازلات.

وقد تابعت فى إحدى مراحل حياتى الصحفية الانسحاب الإسرائيلى من سيناء .. ومع أن كل شىء كان محدداً سلفاً .. فإن التنفيذ لم يكن سهلاً .. ففى إحدى المرات فاجأ الإسرائيليون

رئيس الجانب المصرى فى اللجنة العسكرية المشتركة المسئولة عن التنفيذ العميد آبو شناف بأنهم لن ينسحبوا من الطور إلا بعد حل مشكلة الأرامل الذين فقدوا أزواجهم فى الحرب، ولم يعثروا على جثثهم المدفونة فى سيناء بطولها وعرضها .. وكاد برنامج الانسحاب أن يرتبك ويضطرب لولا آن الضابط المصرى الخبير بأساليبهم - بسبب عمله فى المخابرات الحربية - آخرج من حقيبته لفائف للتوراة عثرت عليها القوات المصرية فى خط بارليف .. وقدمها لهم .. وهو ما آسعدهم وأنساهم مؤقتاً دموع الأرامل .. وتم الانسحاب من الطور فى موعده .. وكنت هناك شاهداً على ذلك.

وهناك مئات الأمثلة الأخرى وهو ما يعنى آن التفاوض مع إسرائيل يستوجب دراسة نكاتهم .. وهذه ليست نكتة.

****

أستاذ فى التلمود كان يلقى محاضرة عن أهمية وضرورة التفكير المناسب .. كان يقول :

- مشكلة الإنسان آنه لا يطيق التفكير الإيجابى حتى فى الموضوعات الأولية والجوهرية .. وسوف أعطيكم مثالاً .. لنفرض آن هناك ثلاث عربات مملوءة بالقش ويقودها ثلاثة جياد .. وكل منها وراء الآخر مباشرة .. سيقوم جوادان من الثلاثة بأكل القش الذى فى العربة التى أمام كل منهما .. فآى حصان أكثر حظاً من الآخرين ؟

قال آحد الطلبة :

- بالطبع ليس الحصان الأول فهو لن يستطيع آن يأكل وهو يجر حمولته.

وقال آخر :

- حيث إن الحصان الأول لا يستطيع آن يأكل فإن الحصانين الآخرين محظوظان بنفس القدر لأنهما يأكلان القش.

تنهد المعلم قائلاً :

- هذا هو ما آعنيه بعدم التفكير بإمعان فى الأشياء .. لو فكرتم جيداً ستوافقون على آن الحصان الأوسط هو آكثرها حظاً .. فهو لا يأكل فقط من القش الذى أمامه وإنما هو الوحيد الذى تخف الحمولة التى يجرها أيضاً.

****

اعتاد يهودى ريفى متدين تناول شرائح البيض المسلوق فى عشاء يوم السبت .. ولكن جاء وقت ولم يجد طبقه المفضل على المائدة.

وسأل زوجته عن السبب .. ففسرت الأمر قائلة :

– إننا فى نهاية الصيف والدجاج يضع القليل من البيض ليصبح البيض غالى الثمن .. فى بداية الموسم كان سعر البيضة عملة فضية واحدة أما اليوم فقد أصبح سعرها ثلاث عملات فضية.

تعجب اليهودى المتدين قائلاً :

– يا إلهى .. إننا لا نملك إلا التعجب من حكمته المجيدة .. لقد منح الذكاء حتى للدجاجة الصغيرة فتتوقف عن وضع البيض عندما يصبح ثمنه عملة فضية واحدة .. ثم تبدأ فى وضعه مرة أخرى عندما يرتفع سعره إلى ثلاث عملات ... إن الرب يمكن أن يكون رجل أعمال لا مثيل له.

****

طلبوا من حاخام تقى أن يشرح الفرق بين الشخص الطيب والشخص الشرير .. فقال :

– لا تزعجوا أنفسكم بالبحث فى التوراة أو التلمود .. إن كلا من الطيب والشرير يرتكب المعاصى ولكن هناك فرقاً واحداً .. الطيب يعرف مادام يعيش أنه يرتكب المعاصى .. ولكن الشرير يعرف أنه يعيش مادام يرتكب المعاصى.

****

طالب دين يهودى كان يتناقش مع حاخامه.

قال الشاب :

– أود يوماً أن أصبح أنا أيضاً حاخاماً .. هل هناك مؤهلات أخرى – إلى جانب الدراسة – أحتاج إليها لكى أصبح حاخاماً ؟

رد الحاخام :

– نعم .. الخيال الواسع .. الخصب .. فسيكون عليك أن تتخيل أن أحداً يهتم بما تقول.

****

شكا حوذى يعمل على عربة جياد قائلاً :

– أيها الحاخام .. أكاد أفقد عقلى بسبب جيادى .. إنها لا تأكل سوى البطاطس والفطائر .. وهى على قدر كبير من النحافة وأخشى أنها لن تبقى طويلاً على قيد الحياة.

– دعنى أسألك عدة أسئلة !

– تفضل.

– هل تصلى كل يوم ؟

- ليس دائماً.

- هل تغسل يديك بعد الأكل ؟

- ليس دائماً.

- هل تطلب مباركة الرب قبل الأكل ؟

- لا.

- كل شيء واضح إذن .. إن للأمر علاقة بقانون التعويض الإلهى .. فحيث إنك تأكل مثل الحصان فإن جيادك تأكل مثل البشر.

****

طلب طالب تلمود شاب من الحاخام ليزر كيلمر أن يعينه حاخاماً .. تحدث الحاخام كيلمر إلى الشاب ووجده ذكياً لكنه مغرور .. فقرر اختباره .. وسأله :

- ماذا تفعل إذا واجهتك مشكلة رجل قطع يده يوم السبت وتدفق الدم منه بغزارة ؟

قال المرشح :

- دقيقة من فضلك أيها الحاخام سأبحث فى التلمود عن الإجابة الصحيحة !

قاطعه الحاخام قائلاً :

- لا عليك أيها الشاب - أقترح أن تعود إلى المنزل وتقوم بمزيد من الدراسة .. ففى الوقت الذى ستبحث فيه فى التلمود سيكون الرجل المسكين قد نزف حتى الموت.

****

السبت كلمة عبرية محورة من كلمة "شبتون" التى كان يستخدمها البابليون للإشارة إلى أيام الصوم والدعاء .. وإلى مهرجان القمر المكتمل .. "البدر" .. والسبت أو شبات هو يوم الراحة الإجبارية عند اليهود .. فعندهم أن الله خلق الدنيا فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع، لذلك باركه الله وقدسه وحرم فيه القيام بأى نشاط .. والحفاظ عليه وعلى حرمته إحدى الوصايا العشر .. ويبدأ السبت من الرابعة مساء الجمعة إلى الخامسة من مساء السبت .. أى ٢٥ ساعة .. وخلالها توجد قائمة لا نهائية من الممنوعات .. التدخين .. ركوب العربات .. المشى أكثر من نصف ميل .. التبرج .. والبعض لا يستخدم التليفون ولا يشاهد التليفزيون ... وعندما كانت جولدا مائير رئيسة للحكومة رفع أحد الحاخامات دعوى قضائية لمنع برامج التليفزيون يوم السبت .. واتهمها بالكفر لأنها لا تكتفى فقط بالبث التليفزيونى فى ذلك اليوم الذى استراح فيه الرب وإنما تستفزه أيضاً بعرض رقصات خليعة، تخدش الحياء.

أمام المحكمة قالت جولدا مائير :

– لقد تعب الرب بعد أن خلق العالم ومن حقه أن يستريح ويستمتع بالرقص.

وفى كتاب عن "الأعياد والمناسبات والطقوس الدينية" يقول غازى السعدى : إن طقوس يوم السبت تبدأ بأن تقوم ربة البيت بإضاءة شمعتين على الأقل قبل دخول السبت – واحدة لتذكر أيام السبت والأخرى لمراقبة الأعمال فيه .. ويتم أيضاً تحضير ثلاث وجبات طعام يوضع مع كل منها رغيفان كاملان من الخبز على المائدة لتدل على الحصة المضاعفة من المن الذى نزل على بنى إسرائيل يوم السبت.

وغير السبت الأسبوعى .. هناك سبوت أخرى .. سبت البركة "شبات مبارخين" وهو السبت الذى يسبق الشهر الجديد وتشارك فيه المرآة على غير المعتاد .. وسبت رأس الشهر (شبات روس هودس) وهو السبت الذى يصادف أول الشهر .. وسبت التوبة (شبات شوبة) وهو الذى يصادف خلال الأيام العشرة لعيد الغفران .. وأنواع أخرى من السبوت لا تنتهى.

ولابد من ملاحظة أن كثيراً من الكلمات العبرية مأخوذ أو مسروق من اللغة العربية .. فالسبت، شبوت .. والتوبة، شوبة .. والبركة مبارخين .. والذكرى، ذكورا – والعالم، هو علم .. وجورب، جاربيم .. ومنديل، ماجديف .. وكبريت، جوفريت .. إن اللغة العبرية المستعملة فى إسرائيل بصورة رسمية منذ سنة ١٩٥٠ لم تأخذ من التوراة سوى ٨ آلاف كلمة .. والرقم محدود جداً .. فكان لا مفر من السطو على لغة من حولهم، كما سطوا على أرضهم .. وهناك فى إسرائيل من يرفض استخدام العبرية .. ولا يزال من الطبيعى أن تسمع أناساً يتحدثون ٢٠ لغة كل ٤٠ متراً.

ولا خطيئة عند اليهود تفوق عدم حفظ شعائر السبت إلا عبادة الأوثان .. فحرم يوم السبت كل ما يشغل اليهودى عن ذكر الرب .. ويجب ألا يحمل أى شىء سوى التوراة أو كتاب الصلوات وإن كان جابوتنسكى قد أشار إلى أحد الحاخامات الذين أحلوا حمل التوراة والسيف معاً فى يوم السبت لأنهما أُرسلا سوياً من السماء .. والسيف بلغة العصر هو السلاح .. وبلغة المستوطنين .. الفؤوس التى يبنون بها المستوطنات يوم السبت والناس والحكومة فى حالة انشغال بالعبادة.

وهناك جدل لا ينتهى أيضاً حول التنكيت يوم السبت.

****

فشل دوفيد فى كل مشروع تجارى حاول القيام به لذلك بدأ مشروعه هذه المرة – وهو الوساطة فى الزواج – هو المشروع الوحيد الذى يمكن أن يبدآه بدون رأس مال.

على الفور راح يدون قائمة بأسماء الشبان المتعلمين الذين يمكن ترشيحهم للزواج، والفتيات المؤهلات للزواج منهم.

ولو أن تصوراته تحققت لأصبح دوفيد أنجح "خاطبة" فى إسرائيل.

فى الواقع بدا من أول عرض حصل عليه أنه سيحقق ثروة .. فقد عقد صفقة مع عائلتين من أغنى العائلات ظن أن اندماجهما سيفيدهما معاً .. وقوبل العرض برضا من الجانبين .. وفى اليوم التالى أحضر دوفيد الابنة اللطيفة لإحدى العائلتين إلى منزل العائلة الأخرى .. ولكن لأنه منحوس دائماً اكتشف أن الأسرة الأخرى ليس لديها سوى ابنة.

****

وفى بعض الأعياد يمتنع اليهود تماماً عن التنكيت .. بل ويحرمونه .. كما فى عيد التاسع من آب (آغسطس) الذى يعرف عندهم "تيشاع بآب" .. وهو يوم صوم وحداد .. لأنه يوم ذكرى سقوط الهيكل .. وفى هذا اليوم يقرأ كتاب " المراثى" فى المعبد بعد صلاة المساء.

وكذلك تحرم النكتة فى عيد "السوكوت" أو العُرُش .. وهو فى ١٥ من شهر أكتوبر أو تشرى ومدته ٧ أيام ومناسبته هى إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت بنى إسرائيل فى العراء بعد الهجرة .. فهى تذكرهم بأيام التيه .. وفى هذا العيد يقيمون فى أكواخ من أغصان الشجر فى الخلاء تدعى "سوكاه" ويصلون من أجل سقوط الأمطار بعد الصيف الجاف .. وأغلبهم يكتفى الآن بوضع مظلة على إحدى شرفات المنزل.

أما الأعياد التى يتبادلون فيها النكات فأشهرها عيد البوريم أو المساخر، وهم يهتمون أكثر بنكات المغفلين والمنحوسين من اليهود.

****

يهودى واسع الثراء معروف بفطنته قال لزوجته وهو يتألم :

– إننى أملك أموالاً وأملاكاً لا حصر لها ولكن لن يمر وقت طويل قبل أن أموت .. وأنا أشعر بالقلق أن أترك ثروتى لابننا الوحيد .. فلو وضعتها بين يدى هذا الأحمق فسوف يبددها خلال عام أو عامين.

ابتسمت الزوجة قائلة :

– الحل أن نرسله إلى الجامعة ليتعلم هناك الحكمة والفطنة.

وأرسلوا الابن إلى الجامعة التى درس فيها الكثير من العلوم ليعود إلى أبيه وهو واثق أنه قادر على إدارة أملاكه والحفاظ على أمواله.

على العشاء أراد الأب اختباره فسأله :

– قل لى يا بنى إلى أى مدى يصل عمق المحيط ؟

– من سطح الماء إلى القاع.

– سؤال آخر .. حشرة الحريش (أم أربعة وأربعين) لماذا لها ٥٠ رجلاً فى كل جانب ؟

– لأن لو لديها خمسون رجلاً فى ناحية و٤٩ فقط فى الناحية الأخرى ستعرج.

أحس الأب بسعادة غامرة .. ثم خلع خاتماً من أصبعه وأغلق عليه قبضته وهو يقول :

– اختبار آخير .. قل لى ماذا أضع فى كفى ؟

حملق الشاب فى يد أبيه للحظات ثم قال :

– وفقاً لقوانين الفيزياء والجبر والحساب والتشريح التى تمكنت منها .. من الواضح أنك تحمل شيئاً مستديراً .. به فجوة فى منتصفه.

ابتهج الرجل وزوجته من هذا الاستعراض البارع .. ولكن قبل أن يستطيعا تهنئته استأنف الابن كلامه قائلاً :

– لا أستطيع أن أقول بالتحديد ما هو الشىء الذى تحمله فى قبضتك ولكن لأنه مستدير وفى منتصفه فجوة فهو عجلة عربة كارو.

****

فى وقت ما انتعش حال يوسيل ماجيلا، تاجراً للحبوب لكن تجارته انهارت فى أيام حزينة .. وقد تذكر فى وسط هذا السواد صديقه القديم برودسكى الذى ساعده يوسيل منذ سنوات مضت حتى فتح الله عليه.

ذهب يوسيل إلى برودسكى ليطلب منه قرضاً .. فقال له :

– عندما كنت أنا غنياً وكنت أنت فقيراً أقرضتك ألفى دولار حتى تستطيع أن تبدأ عملك فى تجارة الأخشاب.

– نعم .. وسأظل ممتناً لك دائماً .

– إذن هذه هى فرصتك .. ليس لدى دولار واحد وسأكون شاكراً لو أعطيتنى قرضاً حتى أستطيع العودة للعمل من جديد.

– بالطبع .. لك كل ما تريد.

أخذ يوسيل المبلغ وعاد إلى تجارة الحبوب إلا أنه لم يستطع أن يواجه المنافسة الشديدة لمن هو أصغر منه سناً .. وخلال فترة قصيرة أفلس مرة أخرى .. وعاد إلى برودسكى يطلب قرضاً آخر .. ومرة أخرى أعطاه مبلغاً كبيراً من المال .. وعاد من جديد إلى العمل ولكن فى مجال آخر غير تجارة الحبوب .. وكان أن فقد كل ما معه أيضاً .. إلا أن برودسكى أعطاه قرضاً .. مرة وثانية

وسابعة وعاشرة وفى كل مرة كان يوسيل يفشل فى مشروعه الجديد.

وفى آخر مرة فشل لم يعد يوسيل إلى صديقه القديم للحصول على أموال أخرى .. وشعر برودسكى الطيب بالقلق عليه .. وذهب بنفسه إليه.

سأله برودسكى :

– لماذا لم تأت لى لتطلب قرضاً آخر .. سأكون سعيداً بأن أقدم لك أى معروف.

صاح يوسيل :

– معروف .. هل تسمى ذلك معروفاً ؟

– ماذا تقول ؟

– لقد سمعتنى .. لقد عرفت كل شىء .. إن السبب فى أننى سيىء الحظ فى العمل هو أنك .. سيىء الحظ .. اخرج من هنا أيها المنحوس.

****

ويروى الحاخام مونتاج ايزاكس الزعيم الروحى لجماعة يتفيريث جاكوب فى لوس آنجلوس لرعاياه هذه القصة التى يقول آنها تكشف الأعماق النفسية لليهود الذين درسوا التوراة والتلمود بطريقة مقلوبة.

كان الكونت إيستر هازى ينظم رحلة إلى الشرق الأقصى ووجد مساعدوه أنه محتاج لشخص يتولى عنه كافة المهام الضرورية فى الرحلة .. فنشروا إعلاناً يطلبون فيه رجلاً يتحدث لغات الشرق الأقصى .. ويكون شجاعاً مثل السيف وفارساً جسوراً لا يخاف .. وكان الإعلان محدداً بحيث لا يجذب إلا الرجل المناسب .. ولم يتقدم أحد إليه .. ولكن بعد اسبوع جاء رجل ضئيل الحجم .. رث الثياب.

سأله الكونت :

– هل تحب السفر ؟

– لا .. إننى أكره السفر .. السفن والطائرات والقطارات تصيبنى بالغثيان.

– لكنك قطعاً تجيد عدة لغات ؟

– من ؟ أنا ؟ .. أنا لا أتحدث إلا اليهودية.

– إذن لابد آنك فارس شجاع.

- إننى آخاف من خيالى.

- لماذا إذن جئت إلى هنا ؟

- لقد رأيت إعلانك وجئت فقط لأقول لك لا تعمل حسابك علىّ فى هذه الوظيفة.

****

ادخر سيمور كابلان الخياط اليهودى فى نيويورك ما يكفى من المال ليزور البلدة التى وُلد بها فى روسيا .. لم يكن لديه جواز سفر .. ويجهل كيفية الحصول عليه .. فكان أن اشترى جواز سفر مزوراً مقابل ١٥ دولاراً من لص متخصص فى ذلك.

حذره اللص قائلاً :

- كل ما عليك هو آن تتذكر أن اسمك الآن هو إيزاك ليبوفيتش .. فقط انس اسمك ولن تقابل مشاكل.

كرر سيمور الاسم الجديد مراراً مسجلاً إياه فى ذاكرته حتى لا يكتشفه أحد .. وفى المطار حملق موظف الجوازات فى وجهه وهو ينظر إلى الصورة .. كان التشابه بسيطاً فأراد الضابط آن يتأكد .. فألقى سؤالاً على الرجل الذى يرتجف آمامه ويتصبب منه العرق بغزارة :

- ما اسمك ؟

- اسمى .. اسمى .. أنا .. آنا ....

- لابد أنك تعرف اسمك ؟

- يا سيدى سمِّنى ما شئت لكن بحق السماء لا تنادينى سيمور كابلان.

****

لكن ...

ليس كل الحمقى يهودا .. كما تقرر هذه النكتة اليهودية.

موتاك كيسلوف المعروف بذكائه وفكاهته وقدرته الفائقة على تدبير المقالب، كان يسير فى الشارع فى نيويورك عندما احتك به زنجى فقير وضربه بكتفه .. وغضب الزنجى واستدار ليضرب موتاك فى وجهه .. ولكن عندما تمالك موتاك نفسه من الضربة لم يظهر الغضب .. بل أعطى الزنجى - الذى تحول من الغضب إلى الدهشة - ورقة مالية قيمتها ١٠ دولارات .. سأله الزنجى :

- لماذا تعطينى مالاً ؟

أوضح موتاك الماكر :

- اليوم هو عيد الفصح ومن تقاليد اليهود المتدينين فى هذا اليوم أن يعطوا شخصاً غير يهودى نقوداً إذا ما ضربهم فى هذا اليوم.

قال الزنجى :

- فى هذه الحالة سأضربك مرة أخرى.

ورفع قبضته القوية.

- لا ضرورة لذلك إننى رجل فقير ولا أستطيع أن أدفع لك مرة أخرى، ولكن إذا ذهبت إلى منزل يوديل أوبوتوه رجل البنوك المعروف وضربته بنفس القوة التى ضربتنى بها قد يعطيك ١٠٠ دولار.

ابتسم الزنجى الساذج وقال فى نفسه :

"يا لكم من أغبياء أيها اليهود".

وسار فى طريقه إلى منزل أوبوتوه الفاخر وعندما فتح له رجل البنوك الباب أعطاه الزنجى لكمة قوية فى فكه .. سقط بعدها على الأرض وهويصرخ وينادى خدمه وحراسه .. وفى لحظة كان الزنجى محاطاً برجال أوبوتوه الذين ضربوه وطرحوه أرضاً وخلعوا له أسنانه وجعلوا عينيه تسودان من الضرب وكسروا له عدة ضلوع ثم ألقوه شبه فاقد الوعى فى الشارع.

قال الزنجى وهو يجر نفسه من الألم :

"هذا اليهودى اللعين كان غاضباً منى لدرجة أنه أرسلنى إلى منزل لايراعى أهله مراسم أهم عيد لديهم"!

****

كثير من النكات التى قيلت عن الزنوج نسبها اليهود إلى أنفسهم .. فهناك - كما يلاحظ هنرى سبالدنج - وجه شبه بينهما .. فكلاهما "عرف الرق والذل والحرمان والعبودية والازدراء الاجتماعى" .. ولكن .. ما لم يقله سبالدنج .. أن اليهود عندما أتيح لهم استرداد ما فقدوه لم يترددوا فى الانتقام .. لكنهم اختاروا ضحايا أبرياء .. مثل العرب .. كذلك فإنهم لم يتخلصوا من عقدهم القديمة .. وواصلوا جلد أنفسهم بالنكات .. وعندما لم تشبعهم نكاتهم سرقوا نكات الزنوج .. فكثير من نكات الزنوج أصبحت لهم بعد أن نزعوا منها "الزنجى" ووضعوا "اليهودى" .. والأمثلة هنا بالعشرات.

****

ابن أحد اليهود (أو ابن أحد الزنوج) فاجأ أباه بعد عودته من المدرسة قائلاً :

- درسنا اليوم نظرية داروين فى النشوء والارتقاء.

- وما هى ؟

- إنها تقول أننا جميعاً انحدرنا من القرود.

- ما هذا الكلام الفارغ ؟

- ولكن يا بابا ..

- من فضلك .. لا أريد أن أسمع ذلك منك مرة أخرى .. إننى لم أنحدر من أى قرد .. بالطبع .. لكن .. ربما أنت.

****

أمضت المعلمة أكثر من نصف ساعة مع تلاميذها اليهود والزنوج تشرح لهم أسباب عظمة إبراهام لنكولن .. ثم طلبت من سولى وينبرج أن يجيب عن سؤالها :

- من الذى كتب خطاب جتسبرج ؟

رد سولى وكان يتصور نفسه خفيف الظل :

- ليس أنا على أى حال.

انفجر التلاميذ فى نوبة من الضحك وفقدت المدرسة سيطرتها على الفصل، فصاحت تأمرهم بالسكوت وطلبت من سولى أن يحضر ولى أمره.

فى اليوم التالى حضر الأب وأخبرته المعلمة بالفوضى التى أحدثها ابنه المشاغب .. وكيف أنها سألت عمن كتب خطاب جتسبرج فقال إنه ليس هو على أى حال .. واستطردت المعلمة :

- فهل يعجبك هذا السلوك ؟

قال الأب بلهجة عادية :

- إن ابنى ليس ملاكاً لكنه ليس كاذباً أيضاً .. فإن كان قد قال إنه لم يكتبه فقد صدق !

وعندما عاد الأب إلى البيت وحكى القصة لزوجته استنكرت ما فعله وقالت :

- كنت سخيفاً يا وينبرج.

- لماذا ؟ .. ما الخطأ الذى ارتكبته ؟

- لقد ارتكبت خطأً كبيراً .. فقد كان عليك أن تعتذر للمعلمة نيابة عن سولى .. ثم تقول لها كرجل مهذب : إنه إذا كان ابننا قد كتبه هذه المرة فلن يكتبه أبداً بعد ذلك.

****

انتقل الطفل اليهودى (أو الزنجى) الصغير إلى مدرسة جديدة والتحق بفصل المتفوقين .. وفى أول يوم سأله المدرس :

- لماذا نربى الماعز والخراف ؟

- لكى نحصل منها على الصوف.

- برافو .. وماذا نصنع من الصوف ؟

- الحق .. لا أعرف.

- لا تعرف .. إنك تعرف .. قل لى مم صنعت جاكتتك ؟

- من بنطلونات أبى القديمة.

****

قال المدرس للتلميذ اليهودى (أو الزنجى) :

- هل تريد القول أنك لا تعرف متى اكتشف كولومبوس أمريكا ؟ .. إذا فتحت الصفحة الأولى فى كتاب التاريخ وجدت السنة بالضبط : ١٤٩٢.

قال التلميذ : ظننت أن هذا رقم تليفونه.

****

ولكن ...

هذه النكتة يهودية تماماً.

أبحر د. حاييم وايزمان ود. آلبرت آينشتاين إلى أمريكا فى مهمة صهيونية .. وعندما وصلا إلى نيويورك سُئل د. وايزمان :

- كيف قضيتما وقتكما على ظهر السفينة ؟

فقال :

- ظل د. آينشتاين يحدثنى عن نظرية النسبية طوال الرحلة.

- وما رأيك فى نظريته ؟

- يخيل إلىّ أن البروفيسور آينشتاين يفهمها على آحسن وجه.

****

وهذه النكتة يهودية أيضاً :

يهودى فقد حافظة نقوده .. وجدها أخوه .. هو الآن يبحث عن أخيه.

****

وهذه النكتة كذلك.

رقد رالف على فراش الموت وبجانبه شريكه شارلى يواسيه ويربت على يده فى رفق وحنان بالغين .. وفى صوت ضعيف قال رالف :

- أريد أن أعترف لك يا شارلى بشىء قبل أن أموت.

- لا ترهق نفسك يا رالف.

- أبداً .. هل تتذكر يا شارلى يوم سرق أحدهم من الشركة ٧٥ ألف دولار وقت أن كنت أنت فى أجازة ؟ .. كنت آنا اللص الحقير.

- ولا يهمك.

- وهل تتذكر ذلك التصميم الجميل الذى قمت به والذى سيقضى على كل الشركات المنافسة .. أنا أيضاً الذى سرقته .. وبعته لمنافسنا قبل أن تطرحه شركتنا فى الأسواق.

- ولا يهمك.

- وفاكر عندما ضبطتك زوجتك فى الفراش مع سكرتيرتك ؟ .. أنا الذى وشى بك عند زوجتك حتى طلبت الطلاق .. وقد خربت بيتك بيدى.

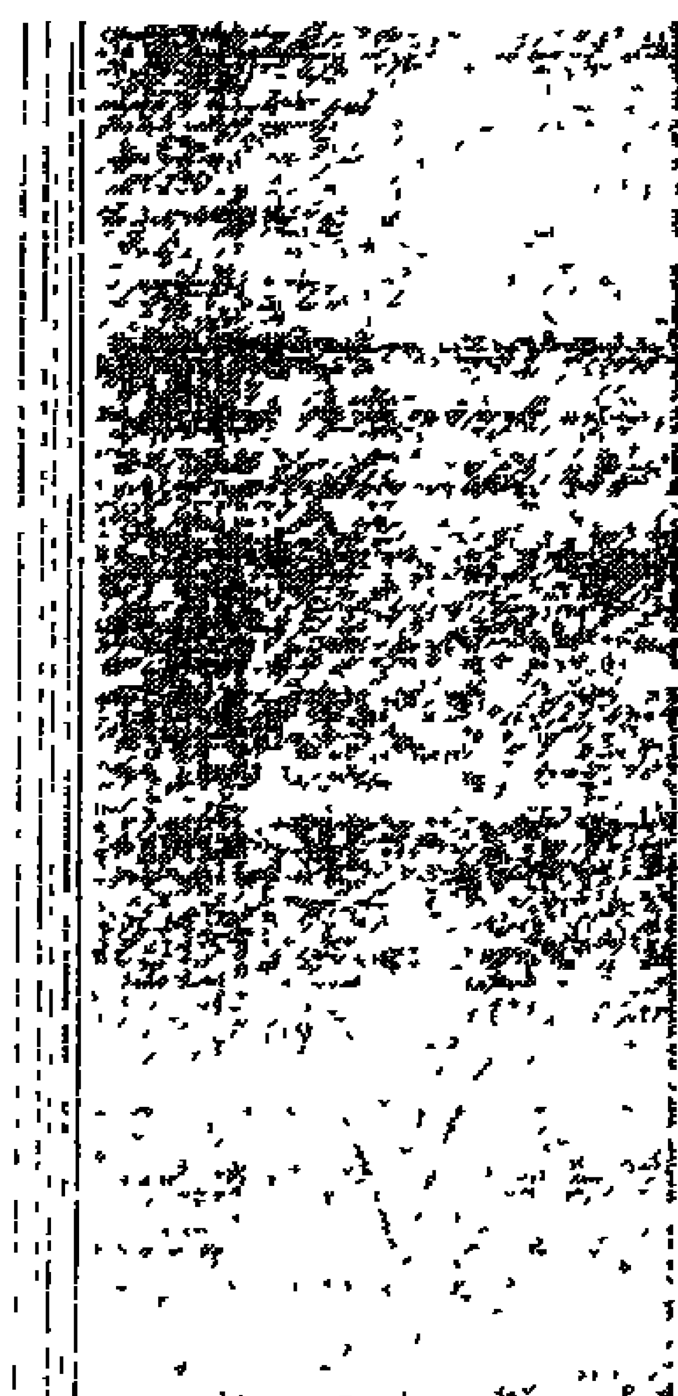
وبكى رالف من قلبه وشارلى هادىء جداً .. ثم آضاف رالف :

- أرجوك .. سامحنى .. اغفر لى .. إننى نادم .. سامحنى قبل أن أموت.

- آنت آيضاً سامحنى قبل أن تموت.

- أسامحك ؟ .. ليه ؟

- لأننى أنا الذى وضعت لك السم فى القهوة.



وأنت أيضاً على حق !

خلال فترة حكم هتلر .. كان رجال المخابرات النازية المعروفة بالجستابو على وشك القبض على يهودى اسمه روبنسون كروتزمير لترحيله إلى معسكر على الحدود .. وقد تمكن كروتزمير من الهرب عن طريق باب خلفى وأخذ طريقه إلى روتردام .. هناك سرق قارباً من البلدة واتجه به إلى البحر العريض على أمل أن يصل إلى إنجلترا .. حيث الأمان فى النهاية.

لم يكن كروتزمير قد نزل إلى الماء من قبل .. كما أنه لم ير المحيط أبداً .. لكن .. عندما يتعلق الأمر بيهودى يطارده رجال الجستابو فإن مثل هذه الأمور تبدو مثل التفاصيل الصغيرة التى لابد من التغاضى عنها.

فى اليوم الأول فقد مجدافيه .. وفى اليوم التالى هبت عاصفة دفعته إلى اتجاه عكس ما كان يبغيه .. وبعد أسبوعين نفد الطعام والماء منه .. ولكنه وجد نفسه فى جزيرة استوائية عبارة عن جوهرة صغيرة خضراء فى مكان ما على ساحل أفريقيا الغربية .. بعيداً عن الطرق المعتادة للسفن.

فى الجزيرة أصبح كروتزمير رجلاً ماهراً .. فقد بنى بيتاً متيناً يحميه من الأمطار الاستوائية الغزيرة .. ومن عرائش العنب صنع شباك صيد الأسماك .. فى أعماق الجزيرة وجد الوفير من الفواكه والأعشاب والخضروات .. وفى التلال استأنس الماعز البرى وقد منحته اللحم واللبن والجبن والزبد والجلد الذى صنع منه ملابسه .. بل إنه وجد طيوراً تقترب فى طبيعتها للدجاج .. وقبل مرور وقت طويل كان كروتزمير يعيش حياة بارون .. وإن كان وحيداً.

ولنقل أن روبنسون كروتزمير كان متديناً .. ومن ثم فقد بنى مكاناً للصلاة .. وعاش عدة سنوات وهو لا يعرف شيئاً عن نتائج الحرب ومصير باقى اليهود.

فى أحد الأيام .. بينما كان يلقى بشباكه فى البحر للصيد وجد سفينة تلوح فى الأفق .. ولدهشته التامة اقتربت منه ووجدها ترفع علماً يهودياً لم تخطئه عينه يرفرف على السفينة .. وبسرعة أشعل ناراً ليرشد السفينة عنه .. واقتربت السفينة .. ونزل قبطانها فى قارب صغير واقتربوا منه .. وقدم القبطان نفسه قائلاً :

– إننى كابتن السفينة "بن – هالافى" من أسطول دولة إسرائيل.

اندهش كروتزمير بشدة .. إسرائيل ؟ أسطول ؟ ضباط يهود .. فلم يكن يعلم شيئاً عن الدولة العبرية الجديدة .. ولم تكن لسعادته حدود.

ولم يستطع ربان السفينة أن يخفى فضوله .. فسأله :

– كيف تمكنت من البقاء حياً كل هذه السنين على هذه الجزيرة ؟

قال :

– عن طريق اتباع تعاليم وتقاليد شعبنا .. هذا بالإضافة إلى العمل الجاد .. دعنى أريك الجزيرة.

وأخذ القبطان ليريه المنزل وبساتين الفاكهة وحقول الخضروات وحظيرة الدواجن والماعز ومشاتل الزهور.

قال القبطان مذهولاً :

- شيء رائع.

قال كروتزمير :

- هذا ليس كل شيء .. فقط اتبعني.

وفي نهاية طريق تصطف الأشجار على جانبيه كان هناك معبدان .. واحد على جانب الطريق الأيمن .. والثاني على الجانب الأيسر .. أشار كروتزمير للمبنى الذي على اليسار وقال :

- هذا هو المكان الذي أحضر فيه صلوات يوم السبت وكل الأعياد اليهودية .. إنه ملاذي وملجئي ومصدر إلهامي.

قال القبطان :

- وهذا المعبد الآخر كم مرة تذهب إليه ؟

اسود وجه كروتزمير وأشار باحتقار إليه قائلاً :

- هذا معبد لليهود الإصلاحيين .. ولن أُوجد به ولو كنت ميتاً !

****

النكتة واضحة جداً .. اليهود لا يعيشون دون جدل أو انقسام ديني .. وإذا لم يجدوه اخترعوه .. ولو كان هناك يهودي وحيد في جزيرة فإنه يبني لنفسه معبداً يصلي فيه .. ويبني لمن يختلف معهم طائفياً معبداً آخر حتى لو لم يكونوا معه .. فاليهودي لا يشعر بنفسه إلا في وجود الآخرين.

ولابد أن كروتزمير يهودي أرثوذكسي متشدد .. واليهودية الأرثوذكسية على نقيض من اليهودية الإصلاحية .. التي بنى كروتزمير معبداً لها واعتبر أنها إهانة تصل إلى حد الكفر أن يدخله .. والدين اليهودي يقوم على هذا الاختلاف واختلافات أخرى لا تنتهي .. ويقول هنري سبالدنج :

- إن الجدل الديني عند اليهود هو البهارات التي لا يستغني عنها اليهود.

وكل يهودي يعتبر نفسه على صواب .. وفي التلمود .. أن يهوديين اختلفا في مسائل الشريعة والعبادة فذهبا يحتكمان إلى الحاخام الذي قال لليهودي الأول :

- أنت على حق.

وقال لليهودي الثاني :

- وأنت على حق.

واحتجت امرأة حضرت الواقعة وقالت :

- إن ذلك لا يجوز.

فقال الحاخام :

- وأنت أيضاً على حق.

واليهودية الإصلاحية هى ثمرة مباشرة لحركة الاستنارة اليهودية التى واكبت خروج أوروبا من عصور الإقطاع إلى عصر العقل والعلم .. فى ذلك الوقت طرق البعض أبواب الجيتو ليفتح اليهود الأبواب والنوافذ .. وليهدموا أسوار الجيتو .. ليعيشوا مع الآخرين .. وقاد هذه الحركة مفكر يهودى هو موسى مندلسون .. فهاجمت التلمود .. وحذفت كلمات مثل "صهيون" و "القدس" من كتاب الصلوات .. بل وحذفت الصلوات التى تدعو إلى العودة إلى الأراضى المقدسة .. وكان منهم من رفض سيطرة الدين .. وكان منهم أيضاً من تهور أكثر وهاجم فكرة المسيح - المخلص.

وواحد من أبرز هؤلاء هو صمويل هولد هايم (١٨٠٦ - ١٨٨٠) يقول : يجب تنقية الدين اليهودى مما هو تاريخى ومرتبط بمكان معين وزمان محدد .. وهو ما جعل الإصلاحيين يعدلون فكرة الوحى والنبوة حسب تغيرات الزمن وطبيعة العصر.

وعلى هذا قرر المؤتمر الإصلاحى فى بتسبرج عام ١٨٨٥ "إن الكتاب المقدس ليس من صنع الله بل هو وثيقة من صنع الإنسان" .. أى أنه نتاج الظرف التاريخى وليس مطلقاً .. وكان هولد هايم "يعتقد أيضاً أن الدين أداة ابتدعها الإنسان من أجل تطوير المجتمع البشرى وهو كأية أداة أخرى لابد أن يواكب التطور وأن يعدل من وقت لآخر" .. ويعتقد كذلك أن بعض تقاليد اليهودية ولاهوتها كانا ملائمين للماضى ولكنهما الآن فقدا صلتهما بالواقع.

ورفض الإصلاحيون عزلة اليهود فألغوا الصلوات التى لها طابع قومى يهودى وجعلوا لغة الصلاة الألمانية لا العبرية وأدخلوا الموسيقى والأناشيد كما سمحوا باختلاط الجنسين فى الصلوات وأعادوا تفسير العهد القديم على أسس علمية وركزوا على الجوهر الأخلاقى للتلمود مهملين التحريمات المختلفة خاصة القوانين الخاصة بالطعام. (غازى السعدى، مصدر سبقت الإشارة إليه - ص ١١٤).

وبصراحة متناهية قال الإصلاحيون : "نحن لا نعتبر أنفسنا أمة بعد اليوم بل جماعة دينية ولذا نحن لا نتوقع عودة فلسطين ولا الدولة اليهودية".

وتعد اليهودية الأرثوذكسية رد فعل رجعياً للتيارات الإصلاحية وتزعم هذه الحركة الحاخام سمسون هيرش الذى انتقد اليهودية الإصلاحية لأنها تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية فى مبادىء مستعارة من غير اليهود.

وهم يعتبرون التوراة بصورتها القديمة حقيقة ثابتة لا يمكن مناقشتها .. وأنه لولا التوراة لما

تحقق وجود يسرائيل .. ولابد لليهود من الإيمان الكامل بالشريعة المكتوبة والشفوية وبكل كتب الحاخامات كالتلمود .. ولا فرق بين الشرائع والطقوس فكلها ملزمة بنفس الدرجة ... ونادوا بعدم التغيير بدعوى أن العقل الإنسانى ضعيف لأن التطور سيؤدى حتماً باليهودية إلى المسيحية.

ووصل تزمتهم إلى حد المطالبة بعدم تغيير حتى الطريقة التى يرتدى بها اليهود ملابسهم أو يقصون بها شعرهم.

ويعتقدون اعتقاداً حرفياً بصحة الأساطير اليهودية مثل الإيمان بالعودة الشخصية للمسيح وبالعودة إلى فلسطين وبأن اليهود هم شعب الله المختار الذى يجب أن يعيش منعزلاً عن الناس لتحقيق رسالته.

وهم يعتبرون الإصلاحيين كفرة وملاحدة.

****

جاء رجل ملحد إلى حاخام وقال له فى أدب شديد :

– سيدى الحاخام الموقر لقد عقدت العزم على انتهاك كافة القيم المقدسة ومخالفة كل التعاليم الإلهية الواردة فى التوراة والتلمود .. ويسعدنى كل السعادة أن أقول لكم أننى حققت ماعزمت عليه .. ووفيت بكلمتى فأمسكت بالأخلاق من قفاها وضربت بالدين عرض الحائط ولكن هناك شيئاً واحداً يقلقنى ويطير النوم من عينى.

– ما هو ؟

– أخشى أن تكون فاتتنى وصية إلهية لم أحطمها.

– وماذا تريد منى ؟

– سأقول لك قائمة بكل ما اقترفت من ذنوب وآثام فى حق الإنسانية وفى حق الرب .. وما عليك إلا آن تنبهنى إلى ما لم أرتكبه حتى الآن.

وقرأ الملحد قائمة طويلة وعريضة من الذنوب : سرقة .. ورشوة .. ونهب .. واغتصاب .. وكذب .. واحتيال .. وسخرية من الدين .. وقتل ...... وصبر عليه الحاخام حتى فرغ بعد ساعة من تعديد آثامه .. ثم ابتسم وقال :

– عظيم .. عظيم .. بقى هناك شىء واحد فقط يكمل سجلك الرائع .. خطيئة لم تنتبه إليها.

– قلها لى وثق أننى سأفعلها بدون تردد.

– آن تنتحر.

****

ملحد وحاخام يتناقشان.

قال الملحد :

- لعلمك الفيلسوف العظيم سبينوزا كتب آن الإنسان ليس أعلى مرتبة من الحيوان بأى شكل من الأشكال.

قال الحاخام :

- أتذكر أننى قرآت له ذلك ولكن قل لى .. لماذا لم تتجب الحيوانات من هو مثل سبينوزا ؟

****

يهودى مرتد عن الطريق القويم ومنغمس فى المعاصى رأى نور المعبد فاقترب من الحاخام قائلاً :

- أيها الحاخام من الآن فصاعداً سأحضر صلوات المعبد بشكل منتظم.

ابتسم الحاخام قائلاً :

- آنا سعيد آن أسمع ذلك، ولكن تذكر أن الذهاب إلى المعبد لا يجعلك يهودياً كما أن الذهاب إلى مزرعة دواجن لا يجعلك دجاجة.

****

- اعتنق يهودى المسيحية الكاثوليكية بشرط أن يطيع تعاليمها .. وحذره القس قائلاً :

- تذكر أنك ممنوع الآن من تناول اللحم فى أيام الجمعة.

- حسناً سأتذكر.

لكن القس لم يكن يثق فى معتنق الكاثوليكية الجديد لذلك فاجأه بالزيارة فى يوم الجمعة التالى فى بيته .. وكما توقع القس وجده يتناول قطعة كبيرة من اللحم .. فصاح فيه :

- هذا مشين .. ألم تعد بأن تتوقف عن اللحم فى أيام الجمعة ؟

أجابه اليهودى السابق بلطف :

- لحم ؟ من الذى يأكل اللحم ؟ هذا سمك.

- هل تظننى أحمق ؟ كيف جعلت من اللحم سمكاً ؟

أجاب بهدوء :

- بنفس الطريقة التى تريد بها أن تجعل من اليهودى مسيحياً.

****

الطعام عند اليهود مشكلة المشاكل.

لابد أن يكون حلالاً كاشير أو كوشير .. وأن لا يكون حراماً طاريف .. أو طوريف.

اللحم الذى يؤكل يجب آن يكون مصدره حيواناً له حافر مشقوق ويجتر طعامه .. ورغم أن الخنزير له أظلاف مشقوقة فهو محرم لأن له ناباً.

والذبح يجب آن يكون بسكين حادة ومرة واحدة وفى اتجاه واحد.

ولا يجيزون آكل اللحم والسمك معاً لاعتقادهم أن ذلك يسبب البرص .. ولا يقدم اللحم والجبن معاً .. ولا يخزنان فى مكان واحد .. ولا تطبخ اللحوم فى السمن أو الزبد وإنما تطبخ فى الزيوت النباتية.

ولا يعرض الطعام أو يورد إلى المطاعم والفنادق دون شهادة من الحاخامية المختصة .. ولابد من آوانى طهى وصحاف وأدوات مائدة خاصة لوجبات اللحم وأخرى خاصة بالجبن واللبن .. وثالثة للاستخدام فى عيد الفصح فقط.

والأسماك حلال .. لكن الجمبرى والحيوانات البحرية التى ليس لها قشور - مثل الأخطبوط والكابوريا والمحار - حرام.

وحرام أيضاً عروق فخذ الحيوانات .. والسبب أن يعقوب كان وحده فى البرية عندما فوجىء بمن ينقض عليه فراح يصارعه حتى طلوع الفجر .. وكان ذلك هو الرب الذى ظهر فى صورة إنسان وقد ضرب يعقوب على عضلة الفخذ فانخلعت.

قال الرب ليعقوب :

- أطلقنى لأن الفجر قد طلع.

- لا آطلقك إن لم تباركنى.

- ما اسمك ؟

- يعقوب.

- لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، فقد جاهدت مع الرب والناس وقدرت.

- آخبرنى عن اسمك.

- لماذا تسأل عن اسمى ؟

ولم يجب الرب فقد أشرقت الشمس وكان عليه أن يختفى .. وبارك الرب يعقوب الذى لاقاه وجهاً لوجه .. ثم راح يضمد فخذه .. وهو ما جعل اليهود لا يأكلون عروق فخذ الحيوانات احتراماً ليعقوب.

ولا يأكل اليهود الفاكهة مباشرة من الشجرة التى تثمر لأول مرة وحتى البذور التى وضعت فى الأرض بغير الطريقة الشرعية مع الصلوات عليها فإن فاكهتها حرام.

والدم والدهن حرام .. وأى طعام أو شراب لم يصلوا عليه .. أو باعه شخص غير يهودى .. أو وضع فى إناء استعمله شخص غير يهودى.

وفى كتابه "العقلية اليهودية" يقول جون لافين المتعاطف معهم : إن اليهود فى إسرائيل لا يراعون دائماً القيود المفروضة على ألوان الطعام كما اعتادوا فى الشتات "وأذكر أننى تناولت وجبات شهية من لحم الخنزير المملح والمقدد على موائد طعام فى كيبوتز .. ومن استمتاعهم بلحم الخنزير أدركت بوضوح أنهم لا يشعرون بأى إثم لتناوله".

إنهم يقيدون على أنفسهم ثم يهربون من القيود .. يبالغون فى تشددهم الدينى .. ثم بقدر هذه المبالغة يطلقون النكات.

****

صانع براميل يهودى لم يكن يؤمن بالاعتماد على الرب .. كان يقول فى صلواته :

- يارب .. كل ما أطلبه منك هو خبز آكله وملابس أرتديها .. ولا شىء آخر .. أما الويسكى فسأشتريه بنفسى.

****

بارنى واسرمان صاحب شركة جوتام للورق كان يسرع إلى البيت عندما بدأ المطر يهطل .. وفى دقائق أصبح طوفاناً .. فراح يبحث عن مكان يختبىء فيه .. وكان الباب الوحيد المفتوح من طراز قديم مكتوباً عليه "ادخل وستكون آمناً" .. ودخل.

فى الداخل كان رجل التبشير يدعو الجماعة لأن تأتى ليسوع .. استمع بارنى باحترام وهو معجب بحسن بيان القس وفى نهاية الموعظة قال القس :

- كل من يرغب فى الدخول إلى مملكة السماء يتفضل بالوقوف.

وقف الجميع ما عدا بارنى.

فقال القس صائحاً :

- أنت أيها الأخ فى الصف الأخير ألا تريد أن تدخل مملكة السماء ؟

- نعم .. ولكن فيم العجلة ؟

****

من بين أشهر القصص اليهودية وأكثرها شيوعاً فى إنجلترا الحوار التالى بين قس وحاخام وأقدم نسخ منشورة منها كانت فى سنة ١٨٩١ فى لندن.

حاخام وقس يتناقشان فى المزايا الجوهرية فى عملهما .. قال القس :

– المشكلة فى عملك كحاخام هو أنك منذ توليك هذا العمل حتى وفاتك تظل حاخاماً .. لا مجال ولا أمل فى ترقيتك.

– والقس ؟

– أنت تعرف أن القس يصبح أسقفاً.

– والأسقف ؟

– يصبح كاردينالاً !

– والكاردينال ؟

– يمكن أن يصبح البابا.

– والبابا ؟

– يا لسماوات .. وماذا تتوقع أن يصبح الإنسان أكثر من ذلك .. نبياً ؟ .. رسولاً ؟

– ولماذا لا ؟ لقد فعلها أحد فتياننا وأصبح نبياً عليكم.

****

طيار فى الجيش الإسرائيلى كان عائداً من غارة على دولة عربية وقد أصيبت طائرته وتهشم جناحاها وانفجر أحد المحركات واشتعلت النار فى محرك آخر .. فأمسك بجهاز اللاسلكى واتصل بقاعدته الجوية وشرح لها حالته السيئة وأنهى كلامه قائلاً :

– وأنا فى انتظار تعليمات أخرى.

وبصعوبة شديدة التقط التعليمات الجديدة من القاعدة :

– ردد ورائى .. إننى أومن إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح.

وهذه المقولة هى صلاة الموت.

****

الصلوات اليهودية واجبة لأنها بديل للقربان الذى كان يقدم للرب أيام الهيكل وعلى اليهودى أن

يصلى حتى يعاد تشييد الهيكل .. والصلوات الواجبة ثلاث يومياً .. الفجر (شحاريت) .. ونصف النهار (منحة) .. والمساء (معاريف) .. والوضوء عندهم لا يزيد على غسل اليدين .. ولابد من تغطية الرأس بغطاء الرأس اليهودى المعروف .. والصلاة إما فردية ارتجالية تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس، وإما مشتركة وهى صلوات تؤدى باشتراك عشرة أشخاص على الأقل، هى صلاة الجماعة أو المينان .. وهى صلاة لها إمام.

وتتلى فى الصلوات نفس الدعوات والبركات تقريباً ثم يعقب ذلك قراءة من أسفار موسى الخمسة.

ويتجه اليهودى فى صلاته جهة أورشليم أما إذا كان فى القدس فيتوجه إلى الهيكل .. وهناك أغان ملحقة بالصلوات (انظر غازى السعدى، مصدر سبقت الإشارة إليه، صفحة ٨٧).

****

يهودى متدين :

– هى حقيقة معروفة أنه لا يُسمح لأى يهودى بأن يسير بدون غطاء رأس ولكن رغم ذلك ليس هناك أمر صريح بذلك فى التوراة.

يهودى متشدد :

– أنت مخطىء. هناك مواضيع عديدة فى التوراة أشير فيها لخطيئة السير بدون غطاء للرأس .. على سبيل المثال .. هناك فقرة فى سفر التكوين تقول أن يعقوب ذهب من بير شيبا إلى حران .. والآن أسألك هل يمكن أن تتخيل يهودياً مثل النبى يعقوب يسير كل هذه المسافة فى الشمس الحارقة بدون غطاء للرأس !

****

ونعود إلى اليهودية الأرثوذكسية واليهودية الإصلاحية.

بينستوك وجولد يهوديان أرثوذكسيان كانا يتباحثان فى يهودية الإصلاح.

قال بينستوك :

– لم أذهب أبداً إلى معبد إصلاحى لكننى سمعت أن صلاتهم تختلف تماماً عن صلاتنا .. لقد ألغوا الصلاة نهائياً.

قال جولد :

– لا أعرف كيف يعبدون الله بدون صلاة ولكننى سمعت أنه فى عيد مثل يوم كيبور (يوم الغفران) يقضون معظم اليوم فى معبدهم فما الذى يفعلونه طوال هذا الوقت ؟

كان الأمر مثيراً حتى إن بينستوك أخذ على عاتقه أن يعرف بنفسه .. وفى عيد الغفران زار أحد معابد الإصلاح، واعتبر ذلك انتهاكاً للقيم الروحية إن لم تكن خطيئة كبرى لذلك غادر المكان بعد دقائق معدودة وهو مذهول تماماً من صلواتهم الصامتة .. سأله جولد عندما التقيا مرة أخرى :

– ماذا يفعلون هناك ؟

– هؤلاء اليهود الإصلاحيون لديهم أغرب صلاة يمكن تخيلها .. فمرتلهم لا يفتح فمه على الإطلاق والحشد يصغى باهتمام !

****

فى التلمود .. خلقت كل الأرواح فى الستة أيام الأولى للخليقة ووضعها الله فى المخزن العمومى فى السماء ليخرج منها عند اللزوم أى كلما حملت امرأة.

وخلق الله ٦٠٠ ألف يهودى ومن ثم فكل فقرة فى التوراة لها ٦٠٠ ألف تأويل .. كل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح.

وفى كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودى روح جديدة على روحه الأصلية وهى التى تعطيه الشهية للأكل والشرب.

وتتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله مثل الابن الذى هو جزء من والده.

ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات.

وفى التلمود .. إن نطفة غير اليهودى هى كنطفة باقى الحيوانات وبعد موت اليهودى تخرج روحه وتشغل جسماً آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلاً تخرج روحه وتشغل أجسام نسله حديثى الولادة.

ولا يدخل الجنة إلا اليهود .. أما الجحيم فهو مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء والظلام والعفونة والطين.

ويوجد فى الجحيم ستة آلاف صندوق فى كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملأى بالصبر .. والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن فيه المسلمين والمسيحيين.

إن ذلك كله فى التلمود والمصدر هنا الكتاب الذى ترجمه د. يوسف نصر الله الذى ينقل نصوصاً مذهلة عن هذا الكتاب اليهودى الذى يعتبرونه مقدساً.

وفى التلمود كل شىء مباح لليهود ما دام الضحايا من غير اليهود .. الكذب .. الغش .. القتل .. السرقة .. السلب .. نهب المال .. الربا .. والرجوع فى اليمين.

وتمنح التوراة اليهود وضعاً متميزاً لا يخطىء عن غيرهم .. وفى سفر التثنية أباح لبنى إسرائيل

أن يقرضوا غير اليهود بربا وحرم عليهم ذلك مع اليهود .. وحرم عليهم آكل الجثث لكنه سمح لهم أن يقدموها للغرباء ليأكلوها.

لذلك فاليهود يربون الخنازير ولا يأكلون لحمها .. ويخمرون الخمر ولا يشربونها .. ويصنعون الكابوريا و المحار ولا يتناولونها .. فالحرام عليهم لا على غيرهم .. وأكبر الكبائر ألا يكسبوا من كل ما حرمه الرب لهم وفرضه على الآخرين.

وكان من الطبيعى بعد ذلك أن تسخر النكات اليهودية من الديانات الأخرى أو من اليهود الذين يدخلون فيها !

****

كان يهوديان مسنان ينتظران فى بهو الكنيسة ليقابلا القس .. كان ذلك فى اليوم الذى سيعتنقان فيه المسيحية .. لكنهما انتظرا أكثر من ساعة وأصابهما التململ .. فعلق أحدهما :

- لقد استغرقنا وقتاً طويلاً.

ووافق الآخر :

- نعم لقد أصبحنا فى نهاية الظهيرة .. هل تعرف فيم أفكر ؟

- لا.

- أفكر فى أنه حان الآن موعد صلاة نصف النهار.

- عندك حق.

وراحا يصليان صلاة نصف النهار أثناء انتظارهما للقس.

****

قبل يومين من عيد حانوكاة كان فيلدمان يسير مكتئباً وسأل نفسه بحزن وهو يفكر فى زوجته وأولاده :

- من أين أحصل على المال لشراء هدايا العيد ؟

فى الطريق مر بكنيسة مكتوب عليها "١٠٠ دولار نقداً لأى شخص ينضم لهذه الكنيسة اليوم".

كان ذلك هو الحل الوحيد لمشكلة فيلدمان .. دخل وانضم وأخذ المائة دولار .. وفى تلك الليلة على العشاء قال لأسرته كيف حصل على المال ولوح بالمائة دولار .. قالت زوجته :

- حبيبى هل تذكر المعطف الذى وعدتنى به منذ ٣ سنوات إنه يباع فى الأوكازيون.

- كم ثمنه ؟

- ٥٠ دولاراً.

وطالب الابن بشراء دراجة وسأله عن ثمنها فقال :

- ٢٥ دولاراً.

فأعطاه المبلغ كما أعطى لزوجته ثمن المعطف، وأعطى لابنته ٢٥ دولاراً ثمن ثوبها الجديد الذى ستحضر به مسابقة الرقص .. ثم مال فيلدمان للوراء وابتسم قائلاً :

- هذه القاعدة لا تخيب أبداً .. بمجرد أن يكون لدينا نحن "غير اليهود" بعض المال .. أنتم "اليهود" تأخذونه.

****

عيد الحانوكاة يستمر ٨ أيام ابتداء من ٢٥ من شهر كسلو الذى يقابل ديسمبر .. والعيد بحكم توقيته المتزامن مع الكريسماس يمكن اليهود خصوصاً الأطفال بالاحتفال فى نفس فترة أعياد الميلاد.

ومناسبة الحانوكاة هى دخول يهودا المكابى أورشليم وإعادته الشعائر اليهودية للهيكل .. ويقال أنه عندما دخل الهيكل كان الزيت الطاهر فى الهيكل لا يكفى إلا ليوم واحد وكان من الضرورى أن تمر ٨ أيام لتجهيز زيت جديد كما تنص التوراة، فحدثت المعجزة واستمر الزيت مشتعلاً ٨ أيام .. لذلك صمم لهذا اليوم شمعدان خاص من ثمانية فروع يشعل فرع منها مساء كل يوم .. وهناك فرع تاسع يبرز فى المنتصف على حدة ويسمى الخادم أو بالعبرية شميس.

وشمعدان (مينوراه) الحانوكاة يختلف عن الشمعدان المعتاد لليهود فى الهيكل .. فهو ذو سبعة فروع .. وشكل المينوراه كزهرة شجرة اللوز إشارة إلى فكرة شجرة الحياة .. وترمز شعلاتها السبع لأيام الأسبوع وللكواكب السبعة .. وتتخذ دولة إسرائيل من المينوراه شعاراً رسمياً للحكومة .. وهو غير نجمة داود .. أو ماجن دافيد ومعناها درع داود .. ويقول غازى السعدى فى كتابه السابق الإشارة إليه (ص ١٩٠) أنه لا توجد إشارة للنجمة السداسية فى التوراة وإن وجدت مرسومة على بعض المعابد اليهودية فى القرن الثالث الميلادى .. ولم تستخدم كشعار لليهود إلا فى القرن السادس عشر .. وفى القرن التاسع عشر ظهرت على درع عائلة روتشيلد عندما رُفع إلى مرتبة النبلاء.

****

اكتشف حاخام أثناء الصلوات أنه يحتاج إلى الرجل العاشر لإتمام العدد اللازم لأداء المناسك .. فى ذلك الوقت شاهد من النافذة كلين ملحد القرية وهو سكير يرتكب المعاصى .. وطلب من مساعده أن يدعه يدخل، فاعترض مساعده لأنه ملحد ولا يفعل الخير .. فقال الحاخام بهدوء :

– دعنى أذكرك لكى تجعل الرقم واحد (١) عشرة (١٠) فإنك تحتاج صفراً !

****

عازف الكمان اليهودى الشهير جاشا هيفتيز كان على وشك الظهور على المسرح الذى يعج بالجمهور عندما قام رجل يهودى ضئيل الحجم من مقعده صائحاً :

– هل يوجد هنا عالم مسيحى ؟

استدار كل من فى المسرح لرؤيته وسرت همهمات غاضبة وصرخات تطالب بأن يلقوه خارج المسرح .. ولكن بعد دقائق اقتربت منه سيدة مسيحية وسألته :

– عفواً .. هل أنت الشخص الذى سبب كل هذه الاضطرابات ؟

– نعم يا سيدتى.

– أنا عالمة مسيحية ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟

– هل تعتقدين أنه ليس هناك سبب عضوى للمرض وأن الأمر مجرد قلق ذهنى بهذا الشأن.

– نعم بالطبع.

– إذن هل تمانعين فى تبديل مقعدك بمقعدى إننى أجلس فى مواجهة تيار هواء.

****

صاحب بيت غير يهودى سأل عن الساكن اليهودى الذى لم يدفع له الإيجار لمدة شهرين .. قيل له أنه طريح الفراش وأنه لم يعمل منذ فترة طويلة .. ذهب إليه صاحب البيت الذى كان عالماً مسيحياً ووقف إلى جانب الفراش يوبخه قائلاً :

– إنك لست مريضاً .. أنت فقط كسول .. إن المرض مجرد خطأ يرتكبه العقل ولا يوجد إلا فى الخيال .. إن المرء يستطيع أن يقنع نفسه بأى شىء.

– إذا كان الأمر كذلك .. أقنع نفسك بأنك أخذت إيجار البيت !

****

فى أى وقت كان الحاخام يأتى فيه كان العديد من الناس يزورونه لبحث مشكلات اليهود .. وفى إحدى المرات تحدث رجل بإجلال عن شوولسون اليهودى الذى اعتنق المسيحية ولكنه رغم ذلك يقوم بكثير من أعمال الخير والتضحيات من أجل اليهود.

نظر المستمعون إلى الحاخام وهم متشوقون لمعرفة رأيه .. فى النهاية قال :

– المشكلة كما أراها هى هل يمكن النظر للمرتد بنفس الاحترام الذى كان يلقاه قبل اعتناق الدين الجديد لو استمرت أعماله الخيرية لليهود ؟

– نعم .

– لدى حكاية مأثورة سأرويها لكم .. جاء يهودى كان يعيش فى المدينة إلى بلدة صغيرة نائية لم يكن يعيش فيها يهود وكان رجلاً متديناً للغاية ولم يكن هناك مكان يأكل فيه وحيث إنه كان معتاداً على الذبح حسب التعاليم اليهودية فقد قرر أن يشترى دجاجة وأن يجهز وجبة إلا أنه عندما كان يقوم بذلك أدرك أنه طهى الدجاج فى إناء ليس محللاً .. أى ليس حلالاً وفق الشريعة اليهودية.

شرد الحاخام ببصره ثم تنهد قائلاً :

– ما نتيجة كل هذا العمل إذا كان الإناء ليس حلالاً ؟

****

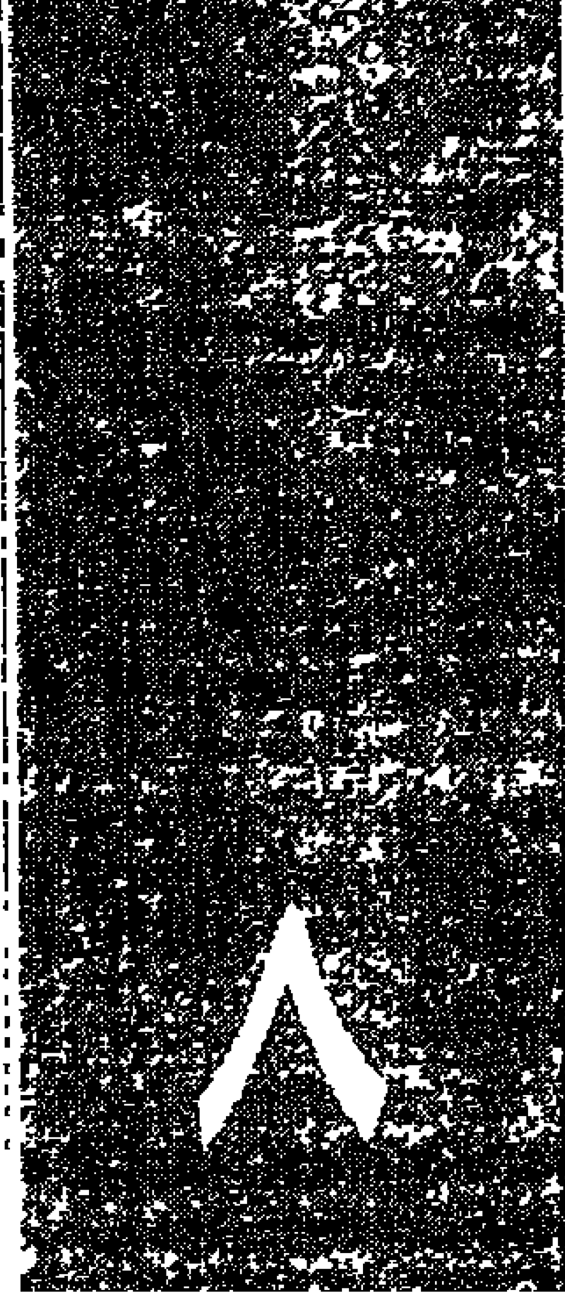
ونعود من جديد إلى البداية.

نعود للأرثوذكس ودعاة الإصلاح.

حاخام أرثوذكسى وصل حديثاً إلى الولايات المتحدة كان يسعى إلى وظيفة دون جدوى .. وفى النهاية تدهور به الحال إلى السعى إلى وظيفة بسيطة فى جماعة يهودية لكنه لم يحظ بها .. وفى نوبة يأس قدم طلباً لشغل وظيفة فى معبد إصلاح .. وقبلوه .. لكنهم وضعوه فى منطقة صغيرة فقيرة من المدينة.

فى أول مرة وقف فيها على المنبر قال لمريديه :

– أعضاء جماعة الإصلاح .. أحييكم .. ستودون معرفة القليل عنى .. حاخامكم الجديد .. لقد شاء حظى أن أعمل فى مكان فيه يهود وليس فيه مال .. ثم شاء حظى أن أعمل فى مكان فيه مال وليس فيه يهود .. والآن فى هذه الجماعة .. لا مال ولايهود.



سرقوا النكتة
قبل الدولة

يُوصف اليوم الذى أُعلنت فيه دولة إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ بيوم "الاستقلال" .. وبالعبرية .. "يوم هاعتسمأوت" .. والتسمية غريبة .. وملفتة للنظر .. وإن لم يتوقف أحد عندها من قبل .. فكلمة الاستقلال تستخدم فى القاموس السياسى بمعنى التحرر من الاستعمار .. وقد شاعت هذه الكلمة بعد الحرب العالمية الثانية عندما بدأت دول العالم الثالث تتحرر من الامبراطورية الاستعمارية.

فهل المقصود بالاستقلال فى إسرائيل هو أن اليهود استقلوا بدولة لهم ؟ .. أم أن دولتهم اليهودية استقلت عن الأجانب الذين كانوا يحتلونها .. حسب القاعدة التلمودية الشهيرة .. كل من هو غير يهودى .. أجنبى ؟

وقد رُفع العلم الإسرائيلى فى يوم إعلان الدولة .. وهو العلم الذى رُفع فى الكونجرس (أو المؤتمر) الصهيونى الأول فى بازل فى سويسرا بناء على اقتراح تقدم به يهودى – صهيونى شهير هو ديفيد ولنسون .. أى أنه العلم الذى رافق الحركة الصهيونية منذ بدايتها حتى قيام الدولة.

ويبدأ الاحتفال بعيد "الاستقلال" بالنفخ فى البوق أو "الشوفار" الذى لا يستخدم إلا فى المناسبات الدينية عميقة المغزى مثل عيد رأس السنة اليهودية .. والشوفار مصنوع من قرن حيوان .. ويقال إن أول شوفار صُنع من قرن الكبش الذى ضحى به إبراهيم افتداء لابنه .. قد نفخ فى الشوفار يوم احتلت إسرائيل سيناء فى سنة ١٩٥٦ .. ويوم أحكمت سيطرتها على القدس فى سنة ١٩٦٧.

بعد النفخ فى شوفار الاستقلال يقول قائل : "فلتكن إرادة الله الذى جعل من نصيبنا أن نرى فجر الخلاص .. أن يقدر لنا أن نسمع صوت المسيح المخلص " .. ثم يبدأ موكب حملة المشاعل من مقبرة هرتزل ويتبعه استعراض عسكرى كبير تعرض فيه أحدث الأسلحة التى حصلت عليها إسرائيل .. وتقرأ أجزاء من سفر أشعيا .. ثم .. ينطلق الإسرائيليون إلى مرح يتجاوزون فيه كل الحدود .. بما فى ذلك السخرية من أجدادهم يهود الشتات .. ومن أنبيائهم أيضاً.

****

ذهب يهودى مشهور عنه النحس الوفير إلى صهره ليقترض منه بعض المال .. ورفض قريبه الذى يعرف أنه منحوس ولا يعرف فى حياته سوى الخسارة .. وأصر المنحوس :

– ولكن يجب أن تعطينى القرض.

– يجب ؟ ولماذا يجب علىّ أن أفعل ذلك ؟

– لأنك إن لم تفعل سوف أعمل فى صناعة القبعات.

– وماذا يعنى ذلك ؟

– يعنى أنه إذا عمل منحوس مثلى فى صناعة القبعات فإن كل طفل فى هذا البلد سيولد بلا رأس !

****

على طول تاريخ اليهود فى الشتات .. هناك دائماً من يكره أن يعطى صوته لليهود فى أى انتخابات .. دزرائيلى المليونير اليهودى المعروف التقى بواحد من هؤلاء عندما رشح نفسه لأول مرة فى انتخابات الكونجرس .. فطلب منه دزرائيلى أن يعطيه صوته وأن يتخلى عن معاداة السامية .. لكن الرجل قال :

– إنى أعطى صوتى للشيطان ولا أعطيه لك.

قال دزرائيلى :

– إنى أتفهم موقفك تماماً .. لكن إذا قرر صديقك الشيطان ألا يدخل الانتخابات فهل تعطينى صوتك ؟

****

بعد تدمير الهيكل – أو المعبد الثانى مباشرة سقط اليهود عبيداً عند اليونانيين .. كان من بينهم يهودى موهوب فى شئون المال والأعمال .. اختاره عضو مجلس شيوخ ليكون عبداً له .. وبمهارته وكفاءته نجح اليهودى أن يجعل من نفسه شخصاً مهما للنبيل الرومانى .. ثم سرعان ما صار واحداً من الأسرة الملكية.

فى أحد الأيام لاحظ النبيل أن العبد يضع قائمة ببعض الأسماء فسأله النبيل :

– ما هذه القائمة ؟

– هذا ما كنت تحتاجه .. قائمة بالمغفلين الذين يعملون فى أموالك وتجارتك.

وأمسك النبيل بالقائمة وأطال النظر فيها .. فدهش حين وجد اسمه هو فى قائمة المغفلين .. السفهاء .. فصرخ فيه :

– ما معنى هذه الوقاحة ؟

رد اليهودى بهدوء :

– عفوك ياسيدى .. لقد وضعت اسمك هنا مع المغفلين منذ أيام قليلة عندما أعطيت لذلك التاجر اليونانى ألف جوال حبوب بدون أى مستند يثبت ذلك.

احتج النبيل :

– يعنى أنه إذا عمل منحوس مثلى في صناعة القبعات فإن كل طفل فى هذا البلد سيولد بلا رأس !

****

على طول تاريخ اليهود فى الشتات .. هناك دائماً من يكره أن يعطى صوته لليهود فى أى انتخابات .. دزراتيلى المليونير اليهودى المعروف التقى بواحد من هؤلاء عندما رشح نفسه لأول مرة فى انتخابات الكونجرس .. فطلب منه دزرائيلى أن يعطيه صوته وأن يتخلى عن معاداة السامية .. لكن الرجل قال :

– إنى أعطى صوتى للشيطان ولا أعطيه لك.

قال دزرائيلى :

– إنى أتفهم موقفك تماماً .. لكن إذا قرر صديقك الشيطان ألا يدخل الانتخابات فهل تعطينى صوتك ؟

****

بعد تدمير الهيكل – أو المعبد الثانى مباشرة سقط اليهود عبيداً عند اليونانيين .. كان من بينهم يهودى موهوب فى شئون المال والأعمال .. اختاره عضو مجلس شيوخ ليكون عبداً له .. وبمهارته وكفاءته نجح اليهودى أن يجعل من نفسه شخصاً مهما للنبيل الرومانى .. ثم سرعان ما صار واحداً من الأسرة الملكية.

فى أحد الأيام لاحظ النبيل أن العبد يضع قائمة ببعض الأسماء فسأله النبيل :

– ما هذه القائمة ؟

– هذا ما كنت تحتاجه .. قائمة بالمغفلين الذين يعملون فى أموالك وتجارتك.

وأمسك النبيل بالقائمة وأطال النظر فيها .. فدهش حين وجد اسمه هو فى قائمة المغفلين .. السفهاء .. فصرخ فيه :

– ما معنى هذه الوقاحة ؟

رد اليهودى بهدوء :

– عفوك ياسيدى .. لقد وضعت اسمك هنا مع المغفلين منذ أيام قليلة عندما أعطيت لذلك التاجر اليونانى ألف جوال حبوب بدون أى مستند يثبت ذلك.

احتج النبيل :

مذهب اللا آدريين أحد مذاهب الإلحاد .. وكان من آتباعه روبرت أبخرسول .. وهو مفكر آمريكى قديم وشهير .. وقد تقرر أن يلقى محاضرة عن سيدنا موسى .. فأثار الحدث المرتقب اهتماماً واسعاً، فسُئل مارك توين (الكاتب الأمريكى الساخر وهو من معتنقى مبدأ اللا أدرية أيضاً) إن كان سيحضر المحاضرة فقال :

- لن أحضر .. إنى آفهم آن أبخرسول سيتكلم عن رأيه فى موسى .. ولكننى سأكون أكثر اهتماماً بسماع رآى موسى فى أبخرسول.

****

وليس صحيحاً آن المتدينين هم الذين آقاموا دولة إسرائيل .. فقد قامت على أسس صهيونية .. خاصم فيها الدين السياسة .. وكثيراً ما اقتربت هذه الأسس من هوة الإلحاد .. ولم يكن الدين سوى الطلاء الخارجى .. قشرة آو ماكياج أو مسحوق تجميل لتزيين الفكرة للبسطاء .. مثل الذئب فى قصة ذات الرداء الأحمر الذى تنكر فى زى الجدة العجوز الطيبة .. فتحت ثياب الورع كانت آنياب ومخالب العدوان والاستيطان.

بل إن المتدينين - الذين عبر عنهم آحاد هعام فى ذلك الوقت - كانوا ضد فكرة الدولة .. وكانت فى رأيهم فكرة حراماً .. لا تقرها الشريعة .. وضد مشيئة الرب .. ولم تكن فلسطين بالنسبة لهم سوى بقعة طاهرة للالتقاء الروحى والدينى والثقافى يتجهون إليها لحماية أنفسهم من خطر الذوبان فى بحار الشعوب الأخرى.

ولم يكن هرتزل متديناً .. وعندما مات رفض الحاخام إقامة الصلاة على روحه .. ويقول مناحم بيجن فى سيرته الذاتية : إن أباه زئيف دوف، وجد آرييل شارون، واسمه تيودور شيزمان قاما بكسر باب المعبد اليهودى فى مدينة برست الروسية بالفأس، عندما رفض الحاخام حاييمك سولوفيشك السماح لهما بإقامة الصلاة على روح هرتزل بدعوى أنه غير متدين وبالرغم من ذلك لم يحضر الصلاة سوى ثلاثة أشخاص فقط.

لقد آحس هرتزل بالانكسار عندما لم يلق التأييد الكامل من المؤتمر الصهيونى الذى عُقد فى سنة ١٩٠٣ فى مدينة بال .. وفى فندق "الملوك الثلاثة" المطل على نهر الراين شعر بالفشل .. وعجل ذلك بوفاته.

كان خصمه فى المؤتمر زئيف جابوتنسكى، معلم بيجن وشامير، والداعية إلى إقامة الدولة بالعنف .. إنه الأب الروحى للتطرف المزدهر الآن فى إسرائيل .. وتقوم فلسفته على الدم والنار والحديد والتسلط واستغلال الجماهير والتمييز العنصرى بصفته جوهر الشعب اليهودى .. وقد عبرت هذه الفلسفة عن نفسها فى كتاباته التى نقتبس منها : "إن المثل الإنسانية الطفولية التى يمتلىء بها الكتاب المقدس لا محل لها فى الأخلاقيات المعاصرة" .. فالعالم لا يشفق على

المذبوحين .. ولا يحترم سوى الأقوياء .. والتاريخ تصنعه الأحذية الثقيلة لا أبيات الشعر الناعمة .. ولابد من إقامة "جدار حديدى من الحراب اليهودية" لإجبار الفلسطينيين على الاعتراف بالمحتوم .. فلا يمكن "تحقيق الصهيونية مالم يقم بيننا وبين العرب حاجز من القوة".

إن أتباع جابوتنسكى – الذين حكموا إسرائيل فيما بعد تحت اسم كتلة الليكود – يعتبرونه "النبى المسلح" الذى يمشون على تعاليمه ويحققون أحلامه ... التوسع بالقوة .. فرض الأمر الواقع .. وقد أدت هذه السياسة إلى فتح أبواب التطرف الدينى على مصاريعها .. وبدأ المتشددون والأصوليون يسعون إلى فرض إرادتهم على الجميع.

ومن ثم .. تمتلىء إسرائيل بشعارات تمزج الدين بالسياسة .. وتتحدث عن مملكة التوراة .. وحق اليهود "الكامل" فى أرض الميعاد .. والدولة العبرية الموحدة من البحر إلى النهر .. وعدم التنازل عن أى جزء من أرض الأجداد .. والتركيز على الاستيطان وتوسيعه ودعمه من الحكومة.

وليست صدفة أن تعكس انتخابات الكنيست التطرف الدينى .. فقد أسفرت نتائج انتخابات الكنيست فى أول نوفمبر ١٩٨٨ – مثلاً – عن فوز ١٢ حاخاماً ومثلهم من كبار الضباط ... ولم يكن فى انتخابات الكنيست الأولى التى أجريت فى ٢٥ يناير ١٩٤٩ حاخام واحد.

وأخطر ما فى التحالف المتطرف بين الجنرالات والحاخامات هو تدهور عملية السلام وانقسام المجتمع الإسرائيلى الذى يزداد تزمتاً وأصولية حتى أن أغرب ما حدث مؤخراً هو أن بعض الحاخامات أضافوا محرمات كثيرة .. كان من بينها النكتة .. فالسخرية من اليهود إلى اليهود حرام .. ومنهم إلى غيرهم .. حلال .. ورغم ذلك تنشر المجلات العبرية النكات .. ويتم تداولها فى الملاهى الليلية أيضاً.

****

عجوزان يهوديان كانا يجلسان على أحد الشواطىء .. ومرت أمامهما فتيات يرتدين البكينى .. فقال أحدهما للآخر :

– هل لا تزال تمارس الجنس ؟

– أحياناً.

– مرة فى الأسبوع ؟

– لا.

– مرة فى الشهر ؟

– لا.

– متى إذن ؟

– مرة فى الصيف.

– وهل مارسته هذا الصيف ؟

– وهل تسمى هذا صيفاً ؟

****

لسنوات طويلة كان الحاخام وسائقه يلفان البلاد .. وكان الناس فى كل مدينة يلتفون حول الحاخام .. بينما كان السائق يجلس وحيداً بعيداً .. ليأكل .. وفى يوم قال السائق للحاخام :

– لقد كنت سائقك الأمين طوال هذه السنوات واستمعت جيداً إلى كل إجاباتك عن أسئلة الناس المختلفة حتى حفظتها .. ولكن كان علىّ دائماً أن أجلس منبوذاً فى أحد الأركان .. وقبل أن أموت أود مرة واحدة أن نتبادل الأماكن وأشعر أننى حاخام محبوب من الناس مثلك.

ضحك الحاخام قائلاً :

– سأكون سعيداً أن أنفذ لك أمنيتك.

وبالطبع كان عليهما الذهاب إلى مجتمع جديد لا يعرفهما .. ودخلا على الناس وقد تبادلا المهام والثياب .. فأصبح السائق حاخاماً .. وأصبح الحاخام سائقاً .. والتف الناس حول السائق وجلس الحاخام بعيداً .. وراح السائق يجيب عن الأسئلة المعتادة التى سبق أن سمع الإجابة عنها من الحاخام .. ولكن فجأة برز شاب ليسأله سؤالاً لم يسمعه من قبل .. فارتبك قليلاً .. لكنه سرعان ما استرد ثقته فى نفسه .. وقال للشاب :

– هذا سؤال تافه .. سأترك سائقى يجيبك عنه.

****

كان مزارع يقود سيارته فى أحد أيام الصيف الحارة عندما وجد بائعاً متجولاً مسناً ومعه حمولة ثقيلة من البضائع على ظهره .. أوقف المزارع سيارته وعرض على البائع توصيله .. ومرت دقائق بعدها لاحظ المزارع أن البائع مازال يحمل حمله الثقيل .. وإن كان قد وضعه على ركبتيه.

قال له :

– لماذا لا تضع حملك فى السيارة وتريح نفسك ؟

أجاب البائع البسيط :

– أنت رجل طيب ولا أريد أن أستغل طيبتك، يكفى أنك ستحملنى فى سيارتك ولكن ليس عليها أن تحمل حمولتى أيضاً.

****

قال آينشتاين فى حفل عشاء ذات مرة :

– إن أسوأ ما فى الجيل الجديد هو أننى لم أعد أنتمى إليه.

****

تلقى البروفيسور جوزيف برونشتاين أستاذ التاريخ اليهودى دعوة من تلاميذه للرقص فى حفلة أقاموها له .. والغريب أن الرجل قبل الدعوة .. وفى قمة الابتهاج اقتربت ملكة جمال الطالبات – وكانت إحدى طالباته – منه تحادثه .. ففوجئت وفوجىء كل الحاضرين بقبلته على خدها ثم فوق شفتيها .. فشهقت الفتاة :

– أوه .. يا إلهى فى السماء.

– دعينا الآن من الألقاب العلمية .. الليلة أنا جو .. وأنت روحى.

****

أصغى جورج جيسيل باهتمام كبير إلى رئيس الجمعية الزراعية وهو يصف على مائدة الطعام الإنجازات التى تحققت فى الأراضى المقدسة بعد زراعة المناطق المجدبة .. قال رئيس الجمعية ليغرى الناس بمزيد من التبرعات :

– إنها المرة الأولى منذ بدء الخليقة التى تنجح فيها زراعة التفاح فى أماكن كثيرة من البلاد.

احتج جيسيل على الفور :

– إن ذلك غير صحيح .. فقد عرفت هذه البلاد التفاح منذ قديم الأزل .. وإلا ما الذى أكله آدم .. خيار ؟

****

لو كان جولد شتاين منتبهاً حقاً للاحظ أن شرطياً كان يتوارى فى الظل عندما تسلل إلى المخبز الكبير وسرق صندوق فطائر عيد الفصح .. بعد دقائق كان فى قبضة القانون .. وفى المحكمة وقف الشرطى وجولد شتاين أمام القاضى الذى سأله بحدة :

– هل أنت جولد شتاين المدعى عليه ؟

ولأن جولد شتاين لم يسمع بتعبير "المدعى عليه" القانونى من قبل ولم يفهمه، فإنه تردد لحظة قبل أن يجيب:

– لا يا سيدى .. أنا جولد شتاين الذى سرق فطائر عيد الفصح !

****

– هالو آبى .. ما آخبار المحاماة ؟

– لا تسألنى بربك .. لم آستقبل زبوناً منذ شهور حتى أننى اضطررت إلى آن آطلق زوجتى الشهر الماضى لأحصل على قضية.

****

كان متهماً بالزواج من امرآتين .. ولكن الادعاء نجح فى إثبات آنه متزوج من أربع فى وقت واحد .. ومع ذلك وقف كبير المحلفين يتلو قرارهم :

– نحن المحلفين وجدنا المدعى عليه بريئاً.

فنظر القاضى إلى المتهم البرىء قائلاً :

– آنت الآن رجل حر فاذهب إلى بيتك وزوجتك.

أجاب الرجل فى دهشة وفرحة :

– آشكرك .. ولكن قل لى أى واحدة منهن ؟

****

– ما الفرق بين الموت والضرائب ؟

– الموت لا يزداد سوءاً كلما اجتمع الكنيست.

****

بانت الدهشة على قاضى الطلاق .. فأمامه وقف عجوزان لا يقويان على الكلام .. وسألهما القاضى وهو لا يصدق :

– هل تريدان الطلاق حقاً ؟

آجاب الزوج :

– نعم .. فلا مفر منه.

– كم عمرك ؟

– ٩٦ سنة.

– والمدام ؟

– ٩٢ سنة !

- هذا كلام فارغ .. المفروض أن تحترما العشرة الطويلة .. منذ متى تزوجتما ؟

- منذ ٧٠ سنة.

- ٧٠ سنة وتريد الطلاق .. لماذا بحق السماء ؟

- لأنها يا سعادة القاضى عيشة تقصر العمر !

****

كان اليهودى ماكس لا يجيد الإنجليزية تماماً .. وقد ذهب للحصول على الجنسية الأمريكية من القاضى المختص .. وقد فهم ماكس كلمة غصضغشث بارتيز على أنها حفلات لا أحزاب فقال للقاضى :

- حفلات ؟ وهل رجل مثلى له علاقة بالحفلات ؟

- لا تجيب عن السؤال بسؤال !

- ولم لا ؟

- سأسألك سؤالاً آخر وعليك أن تحسن الرد عليه إن كنت تريد الجنسية الأمريكية.

- وهل قلت لك لا تسأل ؟

تنهد القاضى غيظاً :

- وهو كذلك .. هل تقسم على تعزيز دستور الولايات المتحدة ؟

فهم ماكس كلمة تعزيز غعظعغج على أنها إعالة .. فقال للقاضى شاكياً .. باكياً :

- ماذا جرى ؟ ألا يكفى أن أعول زوجتى وأولادى الأربعة حتى تطلب منى أن أعول دستور الولايات المتحدة ؟

****

مل اليهودى الشرقى من تفاخر زوجته الذى لا ينقطع بأن عائلتها من اليهود الغربيين، فقال لها فى إحدى الليالى :

- أريد أن أقول لك شيئاً .. لقد توصلت إلى استنتاج بأن جميع اليهود الغربيين لديهم اتجاهات دينية عميقة حقاً ؟

- كيف فهمت ذلك ؟

- لأنك أقنعتنى أن كل واحد منهم يعبد الآخر.

****

اليهود الغربيون هم الأشكنازيم .. من أشكيناز .. ومعناها فى العبرية ألمانيا .. أى اليهود الذين جاءوا من ألمانيا وبولندا وروسيا .. أما اليهود الشرقيون .. أو السفارديم فاسمهم من سفاردا ومعناها أسبانيا .. وبلغة المجتمع الإسرائيلى فإن الإشكنازيين هم البيض .. والسفارديين هم الزنوج .. وإن كانت هذه التفرقة تغيرت كثيراً بعد أن أعطى السفارديون أصواتهم لليكود .. والمؤسف أن قادة الليكود ليسوا سفارديين .. ففى كل الأحوال يحكم اليهود الأشكنازيون .. وهم يشعرون أن اليهود الشرقيين أغبياء وجهلة وكسالى .. وفقراء ومرضى ولا يملكون سوى التعصب الدينى .. ويرون أنهم يميلون إلى الكذب والخداع .. ويؤمنون بالخرافات.

فى كتابها "رحلة إلى القدس" تقول جريس هالسيل :

ذات مرة اقترب منى رجل طويل، أسمر، فى حوالى الخامسة والثلاثين قدم لى نفسه قائلاً :

- جوزيف.

- مرحباً.

- من أصل روسى.

- لكنك تبدو من العراق.

- فعلاً.

إننى أخبر الأغراب أننى من روسيا حتى يحبونى ويحترمونى أكثر ولا يسخرون منى .. إن معظم النكات فى إسرائيل عن اليهود الأغبياء والبخلاء والمغفلين والمنحوسين يقصدون بها اليهود الشرقيين.

****

يهوديان شرقيان أحدهما أعمى ، اشتريا سلة كريز واتفقا على أن يأكل كل منهما واحدة فقط بالدور .. بعد دقائق انفجر الأعمى غاضبا وسدد لكمة إلى أنف زميله الذى صرخ مستفسراً :

- ما الذى جرى ؟ ماذا فعلت لك ؟

- أنت غشاش وسافل.

- لماذا ؟

- لأننى كنت أتناول حبتين من الكريز فى كل مرة على خلاف ما اتفقنا عليه لكنك لم تحتج .. وهذا معناه أنك كنت تسرق ثلاث أو أربع حبات فى كل مرة.

****

ذهب شحاذ إلى منزل آشكنارى بخيل وطلب منه إحساناً .. وكان معروفاً أن الرجل لا يستثنى أحداً من سياسته الرافضة لأى معونة فقال للشحاذ :

- لن أعطيك شيئاً حتى لو انطبقت السماء على الأرض.

فقال الشحاذ :

- رغم أنك لم تعطنى حسنة فإننى أدعو الله أن يعاملك مثلما عامل أنبياء اليهود إبراهيم وإسحق ويعقوب.

دهُش البخيل من كرم الشحاذ الذى دعا له مجاناً، فمد يده فى جيبه و أعطاه مبلغاً كبيراً من المال ثم قال له :

- أخبرنى بربك لماذا دعوت لى فى الوقت الذى رفضت فيه مساعدتك ؟

- أنا دعوت لك ؟ .. أنا ؟ .. لقد دعوت عليك .. دعوت الله أن يجعلك مثل إبراهيم متجولاً أبدياً فى الدنيا .. ومثل إسحق أعمى .. وتتكسر رجلك مثل يعقوب.

****

كان اليهودى الغنى البخيل جداً فى آخر أنفاسه .. وجاء طبيب يحاول إنقاذه من الموت .. وبعد أن كشف عليه قال :

- لابد أن يتفصد العرق من جسده حتى يعيش.

وبذل الطبيب كل جهده لكن الجسد المريض لم يخرج حبة عرق واحدة ولم تجد أسرته مفراً من استدعاء الحاخام للصلاة عليه .. لكن قبل الصلاة قال له الحاخام :

- يا سيدى .. أنت الآن تلفظ أنفاسك الأخيرة وقطرات العرق استعصت عليك فإننى أنصحك أن تتنازل عن كافة ممتلكاتك للجمعيات الخيرية لعل الرب يغفر لك بعض ذنوبك.

هز المريض رأسه بصعوبة وهمس :

- إننى أعطى صندوق الذهب إلى البيت اليهودى لرعاية المسنين !

- والعقارات ؟

- أمنحها لمعاهد التلمود.

- والمزارع ؟

- المزارع .. أهبها لـ ....

وفجأة انتفض الرجل من فراش الموت واقفاً وقد اتسعت عيناه وومضتا ببريق غريب .. ثم قال :

- لقد رجعت فى كلامى .. إنى أعرق .. أعرق .. أعرق.

****

جلس طالب العلوم أمام التليفزيون فى إحدى الليالى مع جده العجوز .. وفجأة انقطع الإرسال وظهرت مركبة فضاء فى وضع الاستعداد للانطلاق فى رحلة إلى القمر .. وقال الطالب وهو سعيد بانتهاز الفرصة لاستعراض معلوماته :

- هل تعرف يا جدى آن هذه الرحلة إلى القمر تكلفت ثلاثة ملايين دولار.

لم يتأثر الجد وقال مستفسراً :

- بالوجبات ؟

****

حاخام وقس فى القدس كانا يتجادلان حول منجزات اليهودية والمسيحية.

القس :

- مع كل احترامنا لرجالكم فى العلم فإن المسيحيين أول من ابتكروا العلوم الحديثة.

الحاخام :

- كيف ؟

- منذ بضع سنوات عثر علماء الآثار على سلك طويل فى بعض المناطق الجبلية التى كان يختبىء فيها المسيحيون الأوائل من اضطهاد الرومان.

- وماذا يعنى ذلك ؟

- يعنى آننا ابتكرنا التلغراف منذ ألفى عام.

- هذا لا يعنى شيئاً.

- كيف ؟

- إن علماءنا الذين ينقبون عن الآثار كشفوا عن مخطوطات فى البحر الميت .. قاموا بحفر بئر عميقة .. لكنهم لم يجدوا فى قاعها أى سلك على الإطلاق.

- ولماذا هذا الفخر ؟

- الفخر سببه أننا قبل أن يتوصل المسيحيون إلى التلغراف توصلنا نحن إلى اللاسلكى.

****

موسيقى : أهلاً بصديقى الشاعر .. كيف حال الشعر معك ؟

الشاعر : عال .. عال .. لقد تضاعف عدد قرائى عما بدأت.

الموسيقى : آوه .. لم أكن أعرف أنك تزوجت.

****

يهودى شرقى ساذج هاجر مؤخراً إلى إسرائيل .. اقتحم بيته فرحاً واتجه رأساً إلى الحمام .. ثم نادى زوجته :

- أبشرى سنصبح أثرياء.

فأسرعت إليه فى الحمام متسائلة :

- كيف ؟

أشار إلى التواليت وقال :

- كم يكلفنا هذا الشىء ؟

- لا شىء.

- لكن فى وسط المدينة رأيت إعلاناً بعينى على واجهة محل .. إنهم يبيعون ماء التواليت .. الزجاجة الصغيرة بعشرة دولارات.

****

مات الرجل فجأة وهو فى عمله .. فأرسل الحاخام خادم المعبد إلى زوجته .. وقال له :

- تلطف معها وأنت تبلغها النبأ.

طرق الخادم الباب ففتحت الزوجة وسألها :

- هل تسكن هنا الأرملة راشيل ؟

- أنا راشيل ولكنى لست أرملة.

- هل تراهنيننى ؟

****

يهوديان مهاجران إلى أمريكا فى كابينة واحدة .. ما أن ابتعدت السفينة عن الشاطىء قليلاً حتى اكتشف أحدهما أن نقوده ضاعت .. فتش فى جيوبه وفى كل مكان حوله .. وكان طوال الوقت عيناه على زميله .. تمتلئان بالشك .. ولكن لحسن الحظ وجد النقود فى حقيبة صغيرة كان قد نسيها فالتفت إلى الرجل الآخر :

- أعتذر إليك لقد أخطأت حين شككت فى أنك سرقت نقودى.

- أنا بدورى أعتذر لك فقد أخطأت حين شككت فى أنك رجل محترم.

****

مدرس يهودى زار أحد أصدقائه من غير اليهود وقت تناول العشاء .. قال الصديق الكريم :

- لابد أن تجلس وتشاركنى طعامى.

- يؤسفنى أن أقول لك أننا نحن اليهود غير مسموح لنا بتناول أى طعام غير كوشير .. وعلى أى حال أشكرك من قلبى واعتبرنى شاركتك المائدة.

بعد قليل وضع الخادم قطعة كبيرة من اللحم المشوى فتفتحت حواس الضيف وجرى ريقه .. وسمع صديقه يقول :

- كُلْ شيئاً من هذا اللحم الشهى.

مرة أخرى اعتذر :

- هذا أيضاً حرام علينا.

قالها وهو يقهر لعابه تحت أضراسه فاغتاظ صديقه منه :

- لماذا كل هذا التشدد .. ماذا تفعل لو وجدت نفسك فى الصحراء بدون طعام الكوشير ؟ .. هل تموت من الجوع ؟

- لا .. فى هذه الحالة يمكن أن آكل الموجود.

- سأتأكد بنفسى.

ووثب من مقعده .. والتقط مسدساً من الدرج .. وصوبه نحو الضيف .. وقال فى لهجة حازمة:

- كُلْ من اللحم وإلا فجرت رأسك !

شحب وجه الضيف اليهودى وارتعشت يداه وزاغت عيناه فى شريحة اللحم .. فوضعها فى طبقه .. وبدأ يأكل .. بنهم وشراهة.

ابتسم صديقه :

- إنما أنا كنت أمزح معك .. طبعاً أنت لست غاضباً منى .. أليس كذلك ؟

زمجر اليهودى :

- فى المرة القادمة افعلها واللحم ساخن.

****

هناك فرق بين الرغبة والقدرة .. هذا ما تقوله هذه الفكاهة اليهودية التى لايزال اليهود الشرقيون يروونها فى إسرائيل.

أرسلت ريبا زوجها يانكل وهو شاعر للسوق لشراء بقرة .. عاد يانكل ومعه البقرة ووضعها فى الحظيرة .. شدت ريبا وعاءً وأسرعت للحظيرة تحلب البقرة .. ولكن بعد دقائق اندفعت إلى المنزل غاضبة وصاحت :

- أيها المنحوس .. كيف تدفع مالاً فى هذا الحيوان الذى لا فائدة منه ؟

- ماذا بها البقرة ؟

- إن بقرتك السمينة لا تريد أن تعطى قطرة واحدة من اللبن.

- ربما لا تعرفين كيف تحلبينها .. دعينى أجرب !

أخذ الوعاء وذهب إلى الحظيرة وبعد دقائق عاد بالوعاء فارغاً .. ولكنه قال لزوجته بجدية :

- ريبا .. يجب أن تختارى لغتك بعناية.

- ايه ؟

- لقد ارتكبت خطأً لغوياً فادحاً .. كيف تقولين أن البقرة لا تريد أن تعطى لبناً .. بينما الحقيقة الواضحة أنها تريد أن تعطى ولكن المسكينة لا تستطيع.

****

الرياضات الذهنية التى يمارسها المتطرفون فى إسرائيل لكى يبرروا تحاملهم وأحكامهم المسبقة تتجلى فى هذه النكتة اليهودية الثقيلة العيار.

كان رئيس إحدى الجماعات الاستيطانية المسلحة يبنى مستعمرة جديدة فى الضفة الغربية عندما مر به عربى فلسطينى قائلاً :

- شالوم.

فأمسك به المستوطن قائلاً :

– من أنت أيها العربى الحقير حتى تحيى يهودياً من شعب الله المختار ؟

و استدار لرجاله وقال لهم :

– اقتلوه.

فأطلقوا عليه النار.

كان فلسطينى آخر قد شاهد ما حدث فمر من أمام المستوطن دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة .. فناداه المستوطن :

– من أنت ؟

– فلسطينى عربى .

– كيف تمر من جانبنا دون أن تلقى السلام ؟

و استدار لرجاله قائلاً :

– اقتلوه.

فأطلقوا عليه النار.

اقترب من المستوطن أحد رجاله قائلاً :

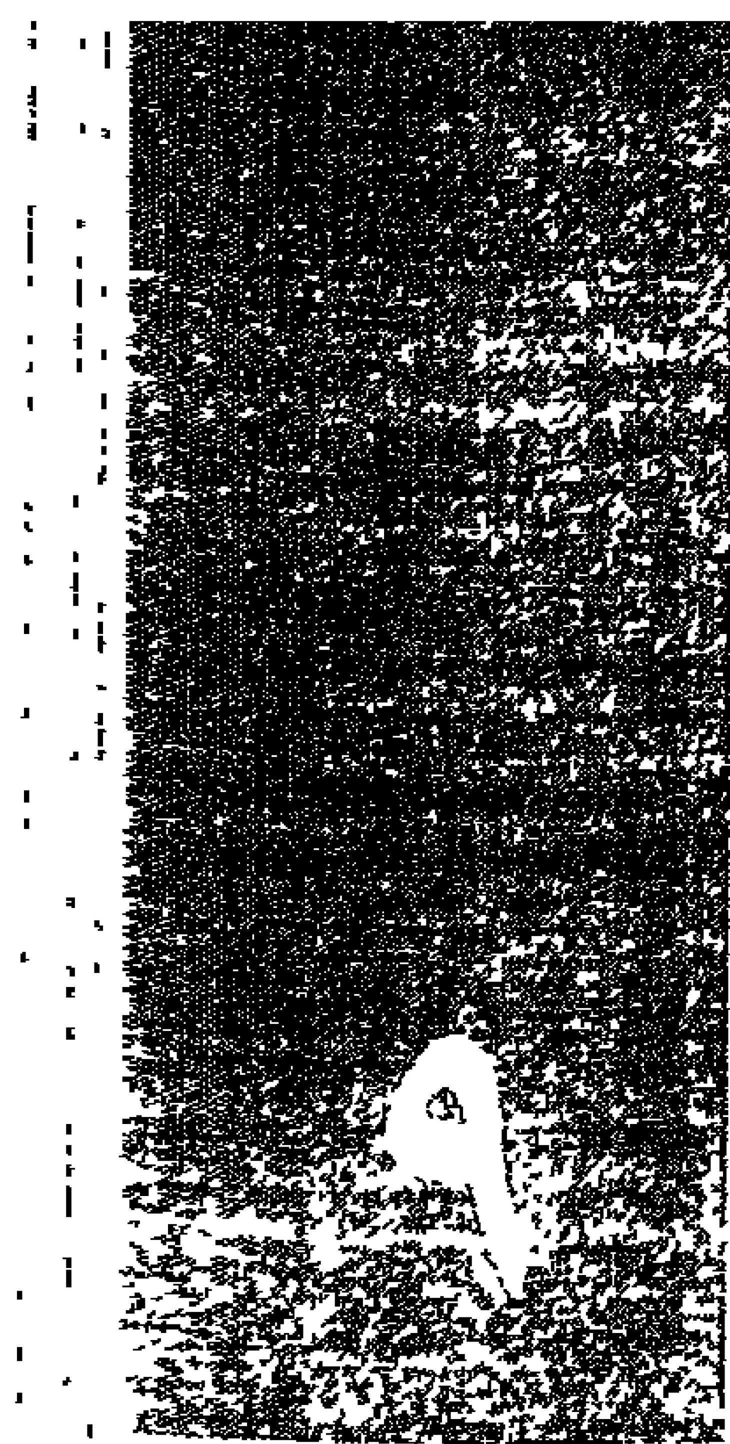
– إننى أفهم سبب قتل الفلسطينى الأول لأنه حياك دون أن تخاطبه، ولكن لماذا أمرت بقتل الفلسطينى الآخر ؟

حدق المستوطن فى مساعده وقال مزمجراً :

– هل تلمح إلى أنى لا أعرف كيف أحفظ السلام مع الفلسطينيين ؟

****

و المؤكد .. أن هذه النكتة ... حقيقية.



لا الدين لله ..
ولا الوطن للجميع

فى العالم أربعة اتجاهات واضحة تحدد العلاقة بين الدين والدولة ... أن تعارض الدولة الدين.. أو تتعامل معه بحياد .. أو تشجعه .. أو تفرضه.

وفى إسرائيل .. كانت الدولة فى البداية تتعامل معه بحياد .. ثم وجدت نفسها تشجعه .. ثم .. أخيراً .. راحت تفرضه .. وفى كل هذه الأحوال كان الدين يستخدم دائماً كقرص "منشط" فى حالات الإغماء السياسى.

وقد زادت هذه الحالات كثيراً منذ هزيمة "يوم كيبور" .. تماماً كما حدث فى مصر بعد هزيمة يونيو "حزيران" .. فكان من الطبيعى أن تتضاعف جرعات "العلاج الدينى" .. إنها جرعات زائدة أدت إلى الإدمان .. وتجاوزت مراحل تسكين الآلام والضمير والانهيار العصبى والسياسى والاجتماعى.

لقد طلب الزعماء الدينيون أن تتضمن وثيقة إعلان الدولة، المعروفة بوثيقة الاستقلال، نوعاً من الشرعية الدينية للدولة .. مثل القول بأن الرب هو الذى سمح بقيام إسرائيل .. أو أنها أقيمت تنفيذاً لمشيئته .. وطالبوا بأن تكون كلمة "يهوا" شعار الدولة.

ولكن .. الذين وقعوا الوثيقة (عددهم ٣٧شخصاً على رأسهم دافيد بن جوريون) كانوا من أنصار الصهيونية السياسية لا الدينية .. فرفضوا .. بل أكثر من ذلك فرضوا "علمانيتهم" بصراحة على الوثيقة (بالرغم من وجود ٣ حاخامات بين الموقعين عليها) وقالوا فيها : إن "إسرائيل تقيم المساواة التامة فى الحقوق اجتماعياً وسياسياً بين جميع رعاياها دون تمييز فى الدين والعنصر والجنس وتؤمن حرية الأديان والضمير والكلام والتعليم والثقافة وتحافظ على الأماكن المقدسة لدى كل الديانات وتكون أمينة لمبادىء وميثاق الأمم المتحدة" وغيرها من المنظمات الدولية.

على أنهم من ناحية أخرى سعوا إلى مجاملة التيار الدينى ووضعوا نجمة داود على العلم وحفروا الشمعدان المقدس على المبانى وأطلقوا الأسماء اليهودية على البرلمان والكيبوتز والشوارع والمدارس.

كان ذلك نوعاً من الحل الوسط .. والحل الوسط هو الحل الوحيد المناسب فى مجتمع شديد التناقض ولا يكف عن إفرازه مثل المجتمع الإسرائيلى .. فلو تشبث كل طرف برأيه لكانت الحرب الأهلية هى الحل .. وكثيراً ما وصل المجتمع هناك إلى حافة الحرب الأهلية .. وكان الإنقاذ أن تستدير جميع الأطراف لتحارب عدواً خارجياً .. لذلك فالحرب مهدىء داخلى .. تفريغ لطاقة العدوان الذاتية .. فالخطر لا يفرق بين يهودى شرقى ويهودى غربى .. بين يهودى متدين ويهودى ملحد .. الكل لابد أن يتحد .. ولو لم يوجد خطر فى إسرائيل فإنها تخترعه .. المتاعب والانقسامات والخلافات والتناقضات الداخلية تفرض ذلك .. وبدون الحرب لا تكفى مليون نكتة لأن تكون بديلاً .. مهما كانت حادة وقاسية وثقيلة .. إن النكتة ضرورة فى مصر .. لكن القنبلة هى البديل فى إسرائيل.

****

كان الخياط اليهودى الفقير من أصل شرقى .. ورغم أنه بارع فى عمله إلا أنه كان دائماً مهلهل الثياب .. "باب النجار مخلع" .. وفى مرة علق أحد زبائنه الأثرياء :

– موتيل .. إنه لأمر مشين أن تسير فى هذه الأسمال وأنت خياط .. لماذا لا تصلح ملابسك ؟

وكانت إجابة الخياط :

– وماذا أستطيع آن أفعل .. إننى رجل فقير ولا أجد سوى الوقت الذى أخيط فيه ملابس زبائنى للحصول على المال ؟!

قال الثرى :

– أريدك أن تعتبرنى زبوناً جديداً.

ثم أعطى الخياط ١٠ دولارات ثم أضاف :

– إننى أدفع لك هذه الدولارات لكى تصلح ثوبك البالى .. وتذكر أنك تفعل ذلك لزبون يدفع لك نقوداً.

فى الأسبوع التالى عاد الرجل ليجد الخياط بنفس الثوب البالى الممزق .. فصاح فيه وهو نافد الصبر :

– لقد دفعت لك ثمن إصلاح ثوبك .. فلا عذر لك حتى تبدو مثل الشحاتين.

قال موتيل فى حزن :

– سيدى أخشى أن أقول لك أنه يجب أن أعيد لك أموالك.

– لماذا ؟

– يا سيدى بعد أن أعطيتنى العشرة دولارات فحصت الثوب بعناية فأدركت أنه لا يمكن إصلاحه بعشرة دولارات .. ستكون عملية خاسرة.

****

استدعى صاحب مزرعة فى إسرائيل وكيل أعماله اليهودى مولبيم وقال له :

– هذه ١٠٠ دولار .. أريدك أن تشترى لى "داشاند".

أجاب مولبيم :

– كما تشاء ولكن لا تستطيع أن تحصل على "داشاند" من الطراز الأول بهذا المبلغ البسيط .. يجب أن تدفع ضعف هذا المبلغ على الأقل .. اسمع نصيحتى وأعطنى ٢٠٠ دولار وسأشترى لك

"داشاند" تستطيع أن تفخر به.

قال الرجل :

- حسناً .. خذ هذه ١٠٠ دولار أخرى .. ولكن تذكر .. يجب أن يكون أفضل "داشاند" فى إسرائيل .. بما يلائم مكانتى.

أكد موليبم :

- لا تقلق .. اترك لى كل شىء.

واستدار موليبم ليغادر المكان .. وفى هذه اللحظة خطر بباله شىء مفاجىء .. وتردد .. ثم سأل معتذراً :

- عفواً يا سيدى .. ما هو الداشاند ؟

****

كان الفيلسوف اليهودى الألمانى موسى مندلسون رائد الإصلاح صديقاً حميماً لفريدريك العظيم وذات مرة بينما كان يتجول على غير هدى فى برلين التقى الملك بصديقه الفيلسوف .. وبعد تبادل التحية سأله الملك :

- إلى أين أنت ذاهب ؟

أجاب مندلسون بصدق :

- لا أعرف.

ولمعت عينا الحاكم الجبار بغضب سريع .. سواء كان صديقاً أم غير صديق لا يجب أن يراوغ جلالة الملك .. الذى زمجر مهدداً :

- سأسألك مرة أخرى فقط .. إلى أين أنت ذاهب ؟

- عفواً يا صاحب السمو ولكنى لا أعلم.

وأمر الملك حراسه بالقبض على هذا الرجل "الوقح"، ولكن قبل أن ينتهى اليوم لان قلب الملك وزار الفيلسوف فى زنزانته.

وقال :

- اسمع يا مندلسون .. ما الفكرة من وراء مراوغة مليكك بهذه الطريقة الوقحة ؟

أوضح الفيلسوف :

- لم أقصد أن أراوغك يا صاحب الجلالة .. إننى حقاً لم أكن أعرف إلى أين كنت ذاهباً .. الآن فقط أستطيع أن أجيب عن سؤالك .. كنت ذاهباً إلى السجن.

****

أغلب الظن أن الملك كان يعرف الكثير عن مراوغة اليهود الشهيرة .. وهو ما دفع مندلسون ثمنه من حريته .. وهو ما جعل بن جوريون يراوغ المتدينين ويرفض وضع دستور لإسرائيل - فى موعد أقصاه أكتوبر ١٩٤٨ كما كان مقرراً - لأنه يعرف أنهم لو وضعوا الدستور سيكبلونه بنصوص أبدية من التوراة والتلمود.

ولو كان العلمانيون كسبوا معركة الدستور فإن المتدينين كسبوا معركة الحدود .. فليس لإسرائيل حدود معلنة أو محددة .. وهم هناك يقولون .. إنها من النيل إلى الفرات .. وهذا معروف .. ولكن غير المعروف أن المتدينين يصرون على ذلك .. وهم يرفعون التوراة والتلمود كلما فُتح موضوع الحدود .. كذلك فإنهم يرسمون الحدود بعبارات أدبية ودينية غامضة مثل : أرض الأجداد .. الأرض الموعودة .. أرض إسرائيل .. الأرض المقدسة .. مملكة التوراة .. وكلها عبارات تشير إلى معنى واحد، هو أن هذه الأرض منحها الله لليهود .. ولكن ما حدودها بالضبط .. لا أحد يعرف !

ففى كتابه "حدود دولة إسرائيل" يقول الباحث الإسرائيلى "موشيه برامز" بجامعة تل أبيب :إن التفسيرات والتوضيحات والتغييرات الواردة فى الكتب الدينية الإسرائيلية (التوراة والتلمود وكتب الحاخامات) أسفرت عن تعقيد عملية البحث والمتابعة لحدود "أرض إسرائيل" [(١)] .. وأشار إلى هذه الحقيقة الباحث نفتالى هيلد هيمر قبل حوالى ١٠٠ سنة حينما قال "وكما هو معروف لا توجد سوى معلومات غثة عن حدود "أرض إسرائيل" الدقيقة .. وما يوجد بحوزتنا لا يكاد يصمد أمام معطيات الواقع". [(٢)]

والمقصود .. أنه حتى التيار الدينى المتشدد الذى يطالب بكل أرض إسرائيل لا يستطيع أن يحددها أويعرفها .. الباحثون اليهود هم الذين يقولون ذلك.

لكن .. ذلك لا يعنى أن المتشددين دينياً فى إسرائيل لم يكسبوا معركة كبرى فى صراعهم مع العلمانيين الذين قادوا الدولة فى بدايتها .. فيكفى أن المتدينين منعوا رسم الحدود السياسية .. ويكفى أنهم تركوا الباب مفتوحاً .. وإزاء ذلك لم يجد خصومهم ما يفعلونه أحياناً أكثر من السخرية.

****

الكاتب الصحفى ديفيد شوارتز وهو دارس مجتهد للطبيعة البشرية، رصد الملاحظات التالية

---

(١) و(٢) موشيه برامز: حدود أرض إسرائيل .. ترجمة بدر عقيلى .. الناشر دار الجليل عمان - ١٩٩٠.

في صحيفة "صوت اليهود" فى كاليفورنيا .. وقال : إن أكثر الكلمات شيوعاً بين اليهود شالوم أو السلام .. وتنبأ بزمن يتحول فيه السيف إلى سن محراث، ويجلس فيه الأسد مع الحمل .. ويبدو أن أحد اليهود المتدينين تذكر ذلك خلال زيارته لحديقة الحيوان عندما رأى أسداً وحملاً فى نفس القفص.

فكر اليهودى الساذج فى نفسه :

- رائع .. لقد تحققت المعجزة.

واقترب من الحارس وقال له :

- هذه حقاً شهادة للدين .. قل لى يا صديقى كيف تغلبت على طبيعة الغابة بجعل الأسد يجلس مع الحمل ؟

- لا شيء فى ذلك .. كل صباح نضع حملاً آخر فى قفص الأسد.

****

استكمل عالم شاب متقد الذهن، لم يبلغ العشرين من عمره، كتاباً رائعاً، اكتشف فيه القوانين الغريبة فى الفلكلور اليهودى .. ولكى يجعل الكتاب رائجاً ذهب إلى حاخام وطلب منه أن يكتب مقدمة للكتاب.

قال الحاخام وهو يصب الشاى له وللفتى :

- يا بنى إن زمن الشباب هو زمن المثاليات والعواطف والأحلام والآمال ولكن الحياة لها أيضاً حقائقها المجردة .. إذا كنت قد قررت أن تكرس حياتك للكتابة فيجب أن تتوقع المعاناة من الحرمان والجوع والوحدة .. يجب عليك أن تحتمل الفقر على الأقل حتى تبلغ الخمسين من عمرك.

فسأله الكاتب الشاب :

- وعندما أصل إلى الخمسين ماذا سيحدث ؟

- حينئذ ستكون قد اعتدت على الفقر.

****

لا تقوم المعابد بجمع المال .. بتمرير الطبق كما فى الكنائس .. ولكنها تجمعه بوسائل أخرى من بينها بيع المقاعد فى الأيام المقدسة الكبرى .. الأعياد. فى أحد هذه الأعياد اندفع كابلين بائع القبعات إلى المعبد .. ولكنهم رفضوا أن يسمحوا له بالدخول لأنه لم يشتر تذكرة .. وقال كابلين للحارس :

- إن شريكى بالداخل ويجب أن أراه على الفور .. الأمر عاجل جداً .

- لا تذكرة .. لا دخول.

- يبدو أنك لا تفهم .. الأمر يتعلق بالعمل .. سنفقد المتجر إذا لم أره فوراً .. أرجوك .. أتوسل إليك .. سأدخل دقيقتين فقط.

قال الحارس محذراً :

- إذا كان الأمر مجرد عمل ادخل . ولكن إياك أن أضبطك وأنت تصلى.

****

يهودى محافظ وآخر متشدد كانا يناقشان الكتاب المقدس.

سأل اليهودى المحافظ :

- هل توقفت ذات مرة لتفكر فى تناقض وعدم اتساق قصة الخلق ؟

أجاب المتشدد :

- ليس هناك أى تناقض .. اعطنى مثالاً على كلامك.

- إذا كان الله قادرا على كل شىء، فلماذا خلق حواء من ضلع آدم ولم يخلقها بمفردها بحركة واحدة منه ؟ .. لماذا تكبد مشقة تجريد آدم من أحد أضلاعه ؟

- هذا ليس عدم اتساق .. لقد كان الله يعرض ببساطة درساً هاماً وهو أن لا شىء طيب يمكن أن يأتى من شىء مسروق.

****

كانت السيدة بومجارتين تتناول الشاى مع زوجة الحاخام.

سألتها :

- هل لاحظت شعر السيدة فوجيل فى صلوات مساء يوم الجمعة ؟ أقسم أنها صبغته.

- إننى حقاً لم ألاحظ.

- والسيدة سيلفرز التى أتت للمعبد مع رجل غريب رغم أن زوجها المسكين لم يمر عام على وفاته.

- لم آلاحظ ذلك أيضاً.

– ولكن هل لاحظت سارة بندر ؟ يا إلهى هل لأنها فتاة جامعية تأتى المعبد بفستان فوق الركبة .. ما رأيك فى هذه الميوعة ؟

– أخشى أن أقول أننى لم أر ذلك أيضاً.

ردت السيدة بومجارتين غاضبة :

– ما الفائدة إذن أن تكونى زوجة حاخام ؟

****

ولا يتوقف العلمانيون عن السخرية من ضيق أفق الحاخامات .. وقالوا لجون لافين فى كتابه "العقلية الإسرائيلية" : إن الحاخامات لا يستطيعون الإجابة على أسئلة فى غاية البساطة عن اللغة العبرية والتاريخ اليهودى .. كما أنهم غير قادرين على تقديم التفسيرات الدينية المتطورة لمشاكل الحياة المعاصرة وهى كثيرة .. "إن عدداً قليلاً من الحاخامات هم الذين يعدون قدوة بزيارتهم لمريض أو بمحاولتهم إقرار سلام بين جيران متنازعين فيما بينهم" ... إنهم يريدون السلطة دون أن يفهموا معناها.

ويتضامن مع العلمانيين بعض رجال الدين اليهودى الذين يمكن وصفهم بالاستنارة .. وهؤلاء أيضاً يرفضون السلطات الضخمة التى يتمتع بها الحاخامات .. ومن بينهم حاخام مستنير هو ريوفين هامر، الذى يرى أن التدين فى إسرائيل مثل "الثوب المطاط يصلح لجميع المقاسات" أو أنه مثل "السوستة" يمكن التحكم فى فتحها أو سدها حسب الحاجة .. وريوفين هامر هو أستاذ الفلسفة اليهودية بالمعهد اللاهوتى فى القدس وهو يمثل تياراً من المفكرين والفلاسفة يرى "أن نار التدين التى تُدفىء يمكن أن تحرق أيضاً".

ويقول : إنه ما لم تعد الحكومة (يقصد حكومة الليكود) إلى أسلوب الحكومات الإسرائيلية الأولى فى التعامل مع الدين فإن إسرائيل ستتحول إلى دولة فاشية .. "واستمرار الوضع الحالى سيعنى إبعاد غالبية اليهود الذين قبلوا إسرائيل على أنها دولة علمانية لا دولة دينية".

وعلى صفحات كتاب "التمزق" – الذى ألفه الكاتب الفرنسى المعاصر جان فرنسيس هيلد عن إسرائيل – نسمع صوت معارض آخر .. صوت الحاخام هيلفى أستاذ القانون السفردى الذى يقول : "إن الشعب اليوم منقسم على نفسه – فالتفسيرات الدينية متنوعة مع أن الكتاب المقدس واحد .. ليس فى التوراة نص صريح بحيث يجوز أن نعلق عليه مصير شعب .. لذلك لا يمكن أن تتدخل التوراة مباشرة فى حياة الدولة السياسية والاقتصادية .. إن الشعب حر فى البحث عن طريقه وإيجاده سواء اختار الرأسمالية أو الاشتراكية، فليس هناك من نص يقيد ذلك".

ويضيف الحاخام هيلفى :

"إن الحكمة تعلمنا أن أية سياسة لابد أن تستهدف ضمان أمن دولة .. كيف يكون ذلك؟ .. هل

يكون بالموافقة أو بعدم الموافقة على إعادة هذا الجزء أو ذاك من الأرض التى تم غزوها ؟ .. لا ينص أى كتاب مقدس على ذلك .. إنها مسألة فطنة وليست مسألة دين .. ثم .. ماذا عن الأرض الموعودة ؟ .. إنها أيضاً خاضعة للتفسير واستنباط الأحكام ... نعم ... حتى الأرض الموعودة".

وفى الكتاب نفسه نسمع صوتاً ثالثاً فى هذا الاتجاه .. صوت البروفيسور أوريل سيمون الذى رأس قسم دراسات التوراة فى جامعة "جينات رام" بالقدس وهو يقول :

- لقد اضطر أكثر الإسرائيليين تبصراً (وهم ليسوا قلة) إلى الاعتراف عنوة بحقيقتين .. أولاهما : تتمثل فى أن أسلحتنا كانت أقوى بكثير مما كنا نريد أن نعترف .. وثانيتهما : إن نضجنا السياسى كان أضعف بكثير مما كنا نتظاهر بتصديقه .. "إن أعضاء حزب العمل الآن غاية فى البلبلة وليس بينهم أى زعيم على المستوى القومى .. أما كتلة الليكود فقد طُبعت بطابع بيجن .. وبيجن بذل المستحيل حتى يظل الإسرائيليون بسطاء، أقوياء، وسذجاً .. إنه الأساس لأية سياسة غوغائية، ديماجوجية".

ثم يستطرد :

- إن النعرة القومية تهددنا .. وهى ليست مرضاً مفاجئاً .. وإنما هى مرض قديم مزمن عانى منه اليهود وأدى بنا إلى حالة من التشويش والماسوشية .. أى لذة الاستمتاع بالقسوة والاضطهاد .. لقد فعلنا فى غيرنا ما عانينا منه آلاف السنين .. وهذا يعنى أن إعلان الدولة لم يكن العلاج الشافى لكل متاعبنا .. إن المتاعب الحقيقية بدأت بعدها.

أما بلغة النكتة .. فتبدو السخرية من المتدينين والعلمانيين واسعة الانتشار بين اليهود فى إسرائيل .. وبعيداً عنها.

****

كان اليهودى المخلص يدافع عن حاخامه أمام لتيناك المتشكك دائماً.

"ألا تدرك كم هو عظيم الحاخام ساديجورا ؟ كيف ؟ كل يوم سبت بعد الظهر ينزل الرب من عليائه ويدخل إليه ويظل بصحبته".

- كيف تعرف أن ذلك يحدث بالفعل ؟

- لا شك فى ذلك .. لقد أخبرنا به الحاخام شخصياً.

- نعم .. ولكن كيف تعرف أنه يقول الحقيقة ؟

- أيها الأحمق .. هل تظن للحظة واحدة أن الرب يتعامل مع كاذب ؟

****

كيرشمبير من أكثر اليهود ثراءً وبخلاً .. ولم يكن الفقراء يطلبون منه مالاً لأنهم يعرفون أن ذلك مضيعة للوقت .. ولكن .. حدث أن جاء موسم حصاد ضعيف وأصبح احتياج الناس فى البلدة أشد من أى وقت مضى .. فقرر الحاخام أن يطلب تبرعاً من البخيل العجوز ...

– ياكيرشمبير .. نادراً ما يُطلب منك أن تعطى حسنة بسبب إحجامك المعروف عن مفارقة أموالك .. ولكن هذه المرة أهلنا يعيشون ظروفاً قاسية وعيد الفصح على الأبواب والأسر الفقيرة ليس لديها شىء وأنا أرجوك أن تقدم المساعدة.

حملق البخيل فى الحاخام دون أن يهتز قلبه وقال :

– أيها الحاخام لا أستطيع أن أعطيك بنساً واحداً لسبب بسيط هو أن لى أخاً وأختاً فقيرين جداً.

ورحل الحاخام دون أن يحصل على مساعدة وهو يدرك تماماً أن حاجة الأخ والأخت لها الأولوية عن حاجة الآخرين .. ولكن فى ليلة عيد الفصح ظهر فى المعبد أخو وأخت الثرى البخيل وهما يطلبان صدقة.

سألهما الحاخام بفظاظة :

– ماذا تفعلان هنا .. إن أخاكما الثرى يتولى أمركما ؟

– لكنه لم يعطنا بنساً واحداً .. إننا معدمان.

واسود وجه الحاخام من الغضب وانطلق إلى منزل كيرشمبير وواجهه بالحقيقة وسأله :

– هل هذا صحيح ؟

– نعم صحيح .. إننى لا أعطى لهما شيئاً.

– إذن كيف تجرؤ وتحدثنى عنهما ؟

– كل ما عنيته هو أن تفهم أنه إذا كنت لا أعطى لأخى وأختى شيئاً فكيف تتوقع أن أفعل ذلك مع الغرباء ؟

****

كان معروفاً عن هذا اليهودى البخيل متحجر القلب أنه يستمتع بشكل سادى بإثارة شهوة ضيوفه على العشاء للطعام ليخرجوا من عنده جائعين .. كان يضع وليمة فاخرة على المائدة ثم وعينه تلمع بالمكر يبتلى ضيفه بسيل لا نهاية له من الأسئلة حتى أن الزائر المسكين يجد نفسه منهمكاً فى الرد عليها ولا يتذوق لقمة من الطعام .. فى نفس الوقت يقوم المضيف المتآمر بالتهام الطعام حتى تفرغ الأطباق .. وكل الناس تعرف ذلك عنه .. لذلك لم يكن البخيل يستطيع أن يتصيد إلا

مسافراً عابر سبيل يكون ماراً بالصدفة ولا يعرف مكره.

وحدث أن وصل الحاخام هيرشيل، وهو من أكثر اليهود ذكاءً وسخرية، إلى البلدة وعندما سمع عن معاملة البخيل الشريرة للغرباء الأبرياء قرر أن يلقن الرجل درساً .. ونجح عن طريق أعوان حاخام البلدة فى الحصول على دعوة لمنزل الثرى .. وجلس الاثنان على مائدة يوم السبت معاً .. وطلب المضيف من خادمه أن يحضر الطعام .. سمك .. وبطاطس .. ودجاج ولحم ونبيذ وفطائر بالعسل .. وسال لعاب الحاخام .. ولكن كما هو متوقع أخذ البخيل طبق الدجاج ووضع قطعة كبيرة فى طبقه وبدلاً من أن يمرر الطبق إلى ضيفه .. بدأ يسأله :

– قل لى: هل سافرت لمسافة طويلة ؟

رد الحاخام وهو يستعد كذئب للانقضاض على فريسته :

– طول المسافة من بئر سبع.

– إذن لابد أنك تعرف ابن عمى آرون جوديسون ؟

– جوديسون من ؟

– آرون صانع النبيذ.

– آه تعنى آرون جوديسون صانع النبيذ .. لقد مات.

و انتفخت عينا البخيل عندما سمع الأخبار غير المتوقعة وتوقف عن الكلام وخلال فترة الصمت مد الحاخام يده و أخذ أفضل قطعة فى طبق الدجاج وصب لنفسه كوباً من النبيذ.

استفاق المضيف من ذهوله وقال :

– لقد استثمرت كثيراً من أموالى فى صناعة النبيذ .. هل تولى أخوه الشركة ؟

– أى أخ ؟

– ماذا تعنى بأى آخ ؟ ميندل بالطبع.

– بالطبع .. ميندل أخو آرون.

– إنه رجل آمين وسيرد لى نقودى.

– عفواً ولكنه مات.

وضع البخيل يديه على جبهته :

– ميندل مات ؟ ولكن كيف حال ابنه أفروم ؟ لابد أنه يتولى الأمر الآن ؟

- لقد مات أيضاً.

وبمجرد آن وضع المضيف المأخوذ تماماً شوكته، أخذ الحاخام قطعة كبيرة من السمك وقطعة أكبر من اللحم وكوباً آخر من النبيذ وأخذ يأكل ويستمتع .. وعندما استطاع المضيف فى النهاية التحدث سأله :

- هل تعرف ليبل محامى بيرديتشيف ؟

- نعم .. المسكين ؟

- ماذا تعنى بالمسكين ؟

- مات أيضاً.

انفجر الرجل بالنواح :

- الآن من سيتولى أمر استثماراتى ؟ .. سأرسل زوجتى إلى بيرديتشيف لتسترد أموالى .

قدم الحاخام لنفسه بعض الفطائر ثم قال :

- عفواً ولكنها ماتت أيضاً.

احمر وجه المضيف ثم اخضر ثم اصفر وأخيراً أصبح شاحباً كالأشباح .. وصاح :

- هل أنت مجنون ؟ لقد انتهت لتوها من تحضير هذه الوجبة .. كيف تكون قد ماتت ؟

أجاب الحاخام الذى كان قد أكل كل شىء :

- الأمر بسيط .. إننى عندما أتناول طعامى يكون كل الناس موتى.

****

حاخام فى أحد معابد اليهود الشرقيين له شهرة واسعة بأنه يفعل المعجزات .. كان فى غرفته عندما انفتح الباب بقوة فجأة واندفع سادن المعبد وعيناه مضيئتان بحماس إلهى .. وصاح قائلاً :

- أيها الحاخام .. أتى رجل مشلول .. عاجز إلى المعبد لتوه .. وفى اللحظة التى اقترب فيها من المذبح ووضع يده على التوراة ألقى بعكازيه بعيداً .. لقد رأيت الأمر كله بنفسى.

قفز الحاخام من مقعده ورفع يديه إلى السماء وصاح وقد احمر وجهه من السعادة الروحية الغامرة :

- إنها حقاً معجزة من السماء قل لى بسرعة أين الرجل الآن ؟

أجابه السادن :

- إنه فى ممشى المعبد .. لقد سقط المسكين هناك.

****

فى قمة موسم جفاف غير عادى خصص الحاخام يوماً للصلاة والصيام، وأمر جميع اليهود فى البلدة بالحضور إلى المعبد .. لكن قبل أن يبدأ الموسم فوجىء الحاضرون بوجود هيرشيل شوستر المشهور بالحاده بينهم .. لا أحد يتذكر أنه رآه فى المعبدمن قبل .. ولكنه هذه المرة طلب من السادن إذناً بأن يقود هو هذه المراسم .. وأوضح أنه فى هذا اليوم يحيى الذكرى السنوية لوفاة والده .. رفض السادن بفتور طلب هيرشيل إلا أن الحاخام وافق وسمح لهيرشيل سيىء السمعة بأن يكون واعظاً فى هذا اليوم.

وعندما انتهت الصلوات والموعظة طلب السادن من الحاخام أن يوضح له سبب تصرفه الغريب فقال الحاخام :

- تقول لنا التوراة : إن العصاة جلبوا الطوفان العظيم .. فإذا كان حشد من العصاة يستطيع جلب الطوفان أفلا يمكن لعاص واحد أن يجلب لنا أمطاراً قليلة ؟

****

فى أيام الشتات القديمة فى روسيا وبولندا والمجر كان الوعاظ المتجولون يسافرون بين التجمعات اليهودية بحثاً عن رزقهم الذى يعتمد على هبات الأتباع والمريدين .. وفى بعض الأحيان كان الواعظ يصل إلى درجة اليأس فى بحثه عن الطعام.

واعظ ألقى موعظة طويلة وحكيمة وجد نفسه بعدها يواجه احتمال الذهاب إلى فراشه جائعاً .. فالحشد الذى استمع للموعظة يبدو أنه تأثر ببلاغته لدرجة أن احتياجاته المادية لم تخطر ببالهم.

وبعد دقائق من التفكير العميق قرر الواعظ أن يزور الحاخام فى بيته .. حيث سيجد بالقطع شيئاً يأكله.

وعندما دخل منزل الحاخام وجد طبقاً كبيراً من اللحم الرومى على المائدة .. إلا أن الحاخام لم ينطق كلمة واحدة يمكن أن تحمل شبهة دعوة للضيف الذى لم يدعه أحد ... وفى النهاية أدرك الزائر أن عليه أن يتدبر أمره بنفسه.

بدأ الواعظ الذى يتضور جوعاً حديثه قائلاً :

- أريد أن أقص عليك فزورة .. ذات مرة كان واعظ وحاخام يسيران معاً .. وفى الطريق التقيا بديك رومى .. فسار الثلاثة معاً .. وبعد قليل التقى الثلاثة بالشيطان .. فأصبحوا أربعة .. وبعد

وقت قصير وصلوا إلى النهر العريض .. الشيطان والواعظ فقط هما اللذان يعرفان السباحة .. بينما لا يستطيع الحاخام والديك الرومى .. والسؤال هو : من يأخذ من ليعبروا جميعاً النهر ؟

توقف الواعظ عن الحديث وتفحص وجه الحاخام .. الذى حك رأسه بيده فى حيرة وقال :

– لا أعرف من يأخذ من فى عبور النهر ؟

قال الواعظ الجائع :

– فى البداية عقدوا اجتماعاً ...

وجلس الواعظ إلى المائدة وسحب قطعة من الديك وجرى إلى الباب بغنيمته وصاح مستطرداً :

– وكان القرار أن يأخذ الواعظ الديك .. ويأخذ الشيطان الحاخام.

****

كان يوم صيفى دافىء .. وكان الحاخام داخل المعبد يكرر كلامه بلا نهاية .. وشعر المستمعون بالملل فى مقاعدهم .. ثم راحوا يتسللون واحداً وراء الآخر حتى انفضوا جميعاً .. لكن الحاخام لم يكن يسمع إلا صوته واستمر فى الوعظ برتابة طنين سرب من النحل.

وسار سادن المعبد فى القاعة الخالية حتى وصل إلى الحاخام .. وتمكن أخيراً من أن يشد انتباهه ..

وقال :

– أيها الحاخام .. ها هو مفتاح المعبد .. هل تتكرم بإغلاق الباب عندما تنتهى من موعظتك ؟

****

كان الحاخام الأكبر عائداً لتوه من المعبد عندما استقبله سادن المعبد .. وهو من أسوأ مروجى الشائعات فى المدينة .. وقال :

– أيها الحاخام لقد سمعت شائعات مزعجة تقول أنك تتحدث مع النساء فى الشارع .. فى وضح النهار .. ولم أشأ أن أردد هذه النميمة .. ولكن اليوم رأيتك بنفسى تتحدث لامرأة.

– وفيها إيه ؟

– إنك رجل من رجال الله وليس من اللائق أن تتحدث للنساء أمام الناس.

– أيها السادن .. أيهما أفضل أن تتحدث لامرأة وأنت تفكر فى الرب أم تتحدث للرب وأنت تفكر فى امرأة ؟

****

الحاخام وسادن المعبد عادة لا تكون بينهما مشاعر ودودة .. إلا أنهما يعملان معاً من أجل المعبد .. أو فى انتظار وظيفة أفضل.

فى ذات مساء بينما الحاخام يلقى إحدى مواعظه الطويلة غطى شخير عالٍ على كلماته فأمر الحاخام السادن قائلاً :

- أيقظ هذا الرجل فوراً.

اعترض السادن :

- أيقظه أنت .. إنك أنت الذى جعلته ينام.

****

مدرس فقير ذهب إلى من يفوقه علماً فى التوراة والتلمود وقال :

- أريد أن أسألك سؤالاً واحداً.

- سؤال واحد فقط ؟

- نعم.

- ما هو ؟

- عيد الفصح على الأبواب وليس لدى مال لشراء طعام ونبيذ العيد .. ماذا أفعل ؟

- هذا أمر بسيط .. كل ما عليك أن تفعله هو أن ترهن شمعدانك الفضى وتشترى ما تريد.

- ولكن من الذى يملك شمعدان فضة ؟

- أنت غير معقول .. لقد جئت تسأل سؤالاً واحداً فقط وقد أجبتك عليه .. لكنك تسألنى الآن سؤالاً آخر .. اذهب واسأله لشخص آخر !

****

قضى الحاخام معظم نهاره فى صلاة خاشعة .. وعندما انتهى اقترب منه أحد أفراد جماعته .. وقال بنبرة لا تخلو من السخرية :

- أرجو أن تكون صليت من أجل شىء محدد ؟

- نعم .. تضرعت إلى الله أن يعطى الأغنياء المزيد مما لديهم للفقراء.

- فلنأمل أن يكون الله قد سمع صلاتك.

– أنا واثق أنه سمعها .. على الأقل نصفها .. فالفقراء وافقوا على قبول الزيادة.

****

طلبة المعاهد الدينية مثل كل الشباب يرتكبون المخالفات الصغيرة .. لذلك لم تكن مفاجأة سارة عندما ضبطت مجموعة منهم وأيديهم حمراء من لعب الورق يوم السبت.

سألهم الحاخام متجهماً :

– ماذا يمكنكم أن تقولوا عن أنفسكم ؟

أظهر الطالب الأول الندم قائلاً :

– عفواً أيها الحاخام ولكنى ببساطة نسيت أنه يوم السبت.

وكان الثانى بليغاً :

– إننى أشعر بالخزى والعار وأنا أقر بذلك .. ولكننى نسيت أن المقامرة يوم السبت حرام.

واقترب الحاخام من الثالث وكان صاحب الشقة وسأله :

– وأنت ما حجتك ؟ لاشك أنك نسيت شيئاً أيضاً ؟

– نعم أيها الحاخام .. لقد نسيت أن أرخى الستائر.

****

ولكن .. المتدينين والعلمانيين قد يكفوا عن السخرية المتبادلة بينهما .. ليستديروا معاً ليسخروا من إسرائيل نفسها .. وهذه النكات يعتبرونها "كوشير".

****

يهودى اضطر للهجرة من موطنه الأصلى إلى فلسطين .. وعندما وصل المطار تنهد قائلاً :

منذ ألفى سنة ونحن نصلى عبثاً من أجل العودة .. كان لازم ربنا يستجيب للدعوة لى أنا بالذات ؟

****

يهودى ليهودى فى إسرائيل :

– ماذا عندك ضد الصهيونية ؟

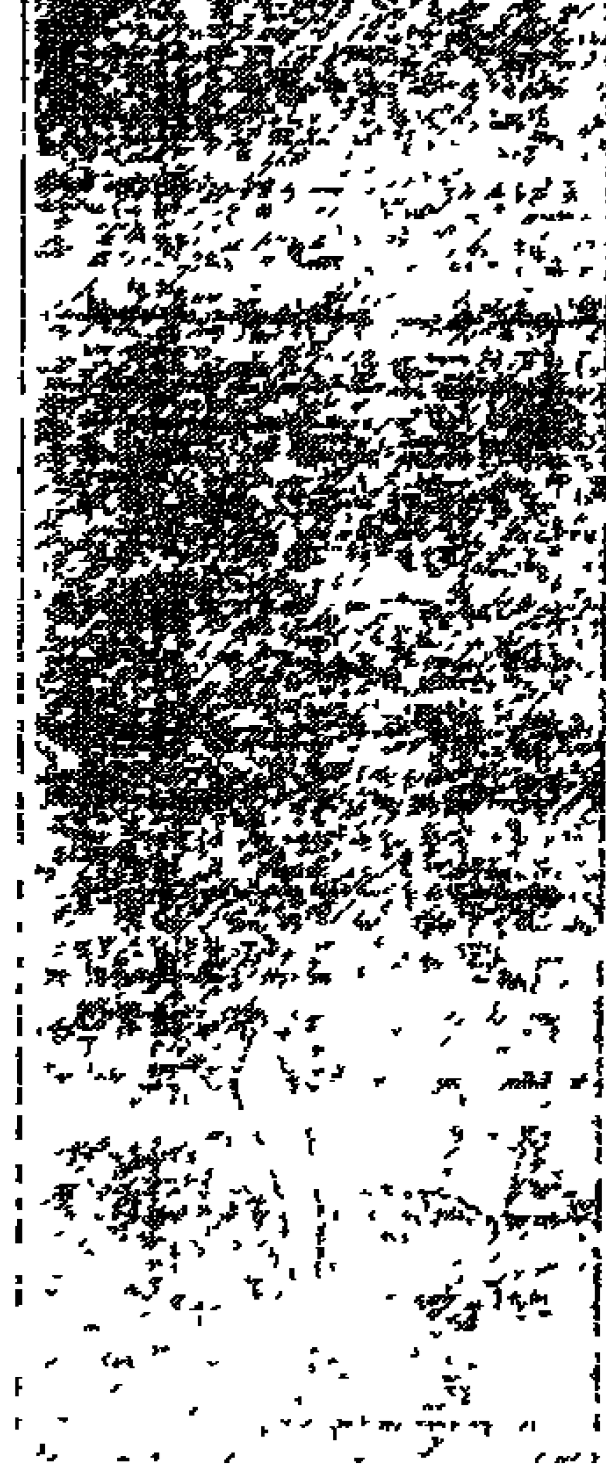
– من حيث المبدأ لا شىء .. فقط بعض المآخذ.

- ما هى ؟

- أولاً: لماذا اختارت الصهيونية فلسطين دون سواها ؟ فى الشمال مستنقعات وفى الجنوب صحراء .. ألم يتمكنوا من إيجاد بلد أفضل ؟ .. ثانياً: لماذا الإصرار على التكلم هنا بلغة ميتة كالعبرية ؟ .. ثالثاً: لا أفهم لماذا اختاروا اليهود بالذات دون سواهم .. إن هناك شعوباً أكثر جاذبية.

****

فعلاً.



هل هذا وقت معجزات ؟

وُلد فى القدس .. وحارب فى القدس .. وحكم إسرائيل من القدس .. ودُفن فى القدس.

إنه إسحق روبتسوف .. وشهرته إسحق رابين.

وهو يقول فى مذكراته المنشورة بعنوان "سجل خدمة" .. إنه لم يحلم قط بأن يكون شريكاً فى قيام دولة إسرائيل .. وإنما فى إعادة حائط المبكى .. أهم وأقدس أثر دينى لليهود .. وقد حقق حلمه وحلم اليهود.

فى يوم الأربعاء ٧ يونيو ١٩٦٧ نجح لواء المظليين فى السيطرة على القدس .. ودخلها عصراً من بوابة "الأسباط" .. فى ذلك اليوم كان رابين رئيس الأركان .. وكان يتابع سير القتال من غرفة العمليات .. وطلب منه وزير الدفاع موشى ديان أن ينضم إليه ليسافرا معاً جواً إلى القدس.

يقول رابين : "دخلنا المدينة العتيقة من بوابة مدمرة واخترقنا الشوارع الضيقة .. بدت القدس الشرقية وكأنها ميتة .. النوافذ محطمة .. الأبواب مغلقة .. والسكون يقتل كل شىء حى .. وسرنا فى الأزقة التى كنت أعرفها منذ طفولتى .. إن أيام الصبا تثير الانفعال دوماً .. وقد كان الانفعال يزداد فى صدرى كلما اقتربنا من حائط المبكى .. وهو أبرز أثر يميز إسرائيل".

****

"لقد تحقق الحلم وعاد حائط المبكى للسيطرة اليهودية .. ولم أصدق نفسى .. وشعرت بأننى لن أصل إلى المشاعر السامية التى وصلت إليها فى ذلك الوقت مرة أخرى فى حياتى".

عند الحائط .. انهمرت الدموع .. وراح اليهود يضربون رؤوسهم فى الحجارة ويدسون بينها التعاويذ والأمنيات .. وقد دس ديان إحدى هذه الأوراق .. ولكن رابين لم يفعل .. فقد شعر – على حد قوله – أن استرداد الحائط أمنية ما بعدها أمنية .. وقد عاد رابين بعد ساعات إلى مقر قيادته .. لكنه ترك رجاله يصلون هناك.

كان رابين يعتبر هذا المشهد – الذى ساهم فى إعداده وتداخلت فيه خيوط الدين والقتال والسياسة – يكفى وحده ليدخل تاريخ اليهود .. والحقيقة أنه دخل التاريخ ولكن لسبب آخر أهم هو أنه أول مسئول يهودى فى إسرائيل يُقتل بيد يهودى.

إن أكبر الكبائر فى التلمود أن يقتل يهودى يهودياً .. إنها من علامات الساعة فى شريعتهم .. فالذى يفعل ذلك يرتد عن دينه .. وتحشر روحه بعد موته مع الحيوانات .. ثم يذهب إلى الجحيم ويتعذب عذاباً أليماً مدة ١٢ شهراً .. ثم تعود روحه ثانية وتحشر مع الجماد .. ثم مع الوثنيين .. ثم ترجع إلى جسد اليهودى بعد تطهيرها.

لكن قاتل رابين كان متديناً متشدداً .. وتصور وهو يُطلق النار عليه أنه يطهر اليهود من كافر يحكم إسرائيل .. وأن الذى يطهر اليهود من كافر تُفتح له أبواب الجنة .. وقد فوجىء يهود إسرائيل بأن الحاخامات – أعلى سلطة حسب التلمود – يباركون القاتل .. والمقصود .. أن رابين

كان مرتداً .. ومن ثم فلا خسارة فى قتله.

****

وقد استيقظت من جديد فى هذه الظروف نكتة إسرائيلية تقول : إن قنبلة سقطت فوق مبنى الحكومة وقتلت جميع الوزراء والمسئولين .. والخسائر : لاشىء.

****

وفى الوقت نفسه راجت النكات الدينية فى مجتمعات اليهود العلمانيين .. منها .. أن حاخاماً دُعى للتحدث فى مستشفى للأمراض العقلية .. وجاء وهو مستعد لأى رد فعل قد يصدر عن أى شخص .. ولم يندهش عندما حذره كبير الأطباء من ردود فعل المرضى .. وطلب منه أن يتجاهل أى تعليقات خلال موعظته.

وخلال حديثه وقف أحد المرضى وقال بصوت عالٍ :

- يا إلهى هذا شىء بشع .. لم أسمع حديثاً أحقر من هذا فى حياتى.

وتجاهل الحاخام المقاطعة والإساءة .. وجرى الطبيب وصافحه بحرارة وقال :

- أيها الحاخام لا تعرف إلى أى مدى ساعدت هذا الرجل المسكين .. فهذه هى العبارة العاقلة الوحيدة التى نطق بها منذ ثلاث سنوات.

****

كانت موعظة الحاخام تمتلىء بالتحريض على التخلص من الكفرة والمرتدين .. وبعد أن انتهى اقترب منه غريب .. وقال له :

- إنها حقاً مهنة شاقة .. مهنتنا.

- هل أنت مرتل أيضاً ؟

- يا إلهى .. لا .. إننى جزار.

****

فى ليلة السبت ٤ نوفمبر ١٩٩٥ قُتل رابين وهو يغنى لأول مرة فى حياته أمام ١٠٠ ألف إسرائيلى اجتمعوا للاحتفال بالسلام .. إن طبيعة رابين الخشنة مثل التماسيح .. وصوته الأجش الذى يشبه صرير الأبواب الصدئة وجنازير المدرعات .. وتركيبته النفسية الصارمة، لا تغرى بالمرح وإنما بالقسوة .. وهو يفسر ذلك فى مذكراته بأنه من أسرة لم تكن الحياة بالنسبة لها سهلة .. وجذور الشقاء فيها ضاربة فى الأعماق.

لم يكن من السهل على رابين أن يغنى أو يبتسم أو يمرح فهو جنرال "فظ القلب بكل المقاييس" .. والعبارة لأنتونى لويس كاتب العمود الشهير فى صحيفة "نيويورك تايمز" .. وفى كتابه "رابين إسرائيل" يقول روبرت سلاتر : إن رابين لاعب معقد، صارم، مقاتل غير شريف فى قتاله .. وهو صاحب نظرية ضرب العمق المصرى بكثافة أثناء حرب الاستنزاف .. وعندما أصبح وزيراً للدفاع أصدر أوامره بسحق عظام أطفال الانتفاضة والحجارة وكان يصيدهم بشباك تتدلى من طائرات الهيلكوبتر.

وقد قيلت فى ذلك الوقت رواية ساخرة بين النكتة والحقيقة .. إن رابين عندما كان يستجوب رجلاً فى الأربعين من عمره بتهمة إلقاء الحجارة على الجنود الإسرائيليين .. وسأله :

- من حرضك على ذلك ؟ .. لابد أن تعترف من الذى يُصدر الأوامر بتنفيذ هذه العمليات !

وبعد أن عانى الرجل من التعذيب اعترف :

- إنه آخى محمد !

وراح رابين يدبر خطة القبض على محمد وطلب معونة من المدرعات والهيلكوبتر .. وعندما ذهبوا لتنفيذ الخطة والقبض على محمد وجدوه طفلاً لا يتجاوز السابعة من عمره .. وفى التحقيق اعترف محمد :

- أنا يا مستل لابين المحلض.

****

كان من المقرر أن يبدأ احتفال السلام فى تلك الليلة فى ميدان "ملوك إسرائيل" فى الساعة السابعة والنصف .. لكن رابين اتصل تليفونياً وقال إنه لن يصل قبل الساعة الثامنة .. كان المكان مكتظاً بمائة ألف إسرائيلى ومع الذين تجمعوا فى الشوارع الأخرى يصبح العدد ٢٦٠ ألفاً .. ووصل رابين وزوجته "ليئا" فى الموعد الذى حدده .. وصحبه إلى مكان فوق النافورة جون فريدمان وهو فرنسى يعيش فى إسرائيل من أصدقاء رابين .. وكان أحد المطربين قد سبقه إلى المسرح ليغنى أغنية للمطرب والممثل الفرنسى إيف مونتان تتحدث عن شجاعة جندى فى الحرب.

قال فريدمان لرابين : أنت أيضاً ستصعد للمسرح وتغنى.

- أنا لم أغن فى حياتى من قبل.

- هذه فرصة ممتازة للبداية.

وأعطاه فريدمان كلمات أغنية "السلام" التى كتبها جاكوب روثيلين عام ١٩٦٩ وكانت ممنوعة لسنوات طوال فى إسرائيل .. وبدا على رابين شىء من السعادة وهو يردد كلمات الأغنية ..

واحتضن فريدمان الذى سأله وهما ينزلان السلم :

- هل أنت سعيد ؟

- لن أنسى أبداً أنك أعطيتنى أجمل ساعتين فى حياتى.

واستكمل رابين نزول السلم ليلحق بزوجته .. وفى هذه اللحظة بدت حركة سريعة جداً من شاب رقيق الملامح كان من الصعب أن يلحظها أحد .. فقد تقدم وأطلق الرصاص على رابين .. ولم يكتشف أقرب الناس إليه أنه المقصود بالرصاصات الثلاث التى أطلقت إلا بعد أن وجدوا حارسه يرتمى على الشاب ويقبض عليه .. ولأن ملامح القاتل شرقية فقد تصوروا أن المؤامرة عربية .. لكن بعد دقائق جاء رئيس البوليس بهوية الشاب الذى ثبت أنه يهودى من هرزليا .. عمره ٢٧ سنة .. واسمه إيجال عامير .. وهو من المتطرفين دينياً.

كان مقتل رابين مصدراً لمشاعر متضاربة .. فقد تجمع مليون إسرائيلى حول قبره حزناً عليه وهم يغنون ترانيم دينية هادئة .. لكن فى المقابل تجمع ٣٠ ألفاً من الشباب المتطرف فى المكان نفسه الذى قُتل فيه وغنوا فى سعادة ونشوة وكتبوا على الحوائط بألوان الرش : يا رابين لو رأيتنا مرة أخرى فلتشعر بالخوف مما سنفعله بك من جديد.

****

كانت صدمة الإسرائيليين حادة .. وأحسوا بالخطر المتفجر فى داخلهم لأول مرة .. وراحوا يناقشون أبعاده .. ويكشفون أسراره .. ثم .. لم يمر سوى بعض الوقت حتى قرر المجتمع هناك أن ينفس عن نفسه الضغوط والقلق .. وحسب ما نشرته صحيفة "معاريف" .. انطلقت موجة جديدة من النكات التى تسخر من المتدينين والحاخامات.

****

لمدة قرون طويلة تبع الحاخامات المتشددون خطوات آبائهم وأجدادهم بالتفاخر بأنهم ينتمون إلى عائلات توارثت هذه المهنة .. وقد انتقلت هذه العادة من الشتات إلى إسرائيل .. وجلست مجموعة من الحاخامات يتفاخر كل منهم بسلالته العريقة من رجال الدين .. كلهم ما عدا واحداً فقط .. قال وسط دهشة الآخرين :

- إننى أول حاخام فى عائلتى.

ورغم هذا الاعتراف كان الآخرون مهذبين فلم يعلقوا .. وراح كل منهم تباعاً يتلو التوراة كما علمه أسلافه .. وفى النهاية جاء دور الحاخام الغريب عن المهنة ليعرض خطبته حسب ما تعلم من أجداده .. كان هناك صمت وترقب .. لكنه قال بثقة :

- زملائى الحاخامات .. كان والدى خبازاً بسيطاً ولكنه علمنى شيئاً لن أنساه أبداً .. وهو أن الخبز الطازج فقط هو الذى يثير الشهية وإننى يجب دائماً أن أتجنب الخبز البائت .. وهذا أيضاً

ينطبق على تلاوة التوراة وتفسيرها.

****

تفرس الحاخام طلبة فصل دراسة التوراة الجديد بعين فاحصة وبدأ على الفور قائلاً :

- فى أول محاضرة سأتحدث عن الكذابين .. والآن أود أن أطلب من الذين قرأوا الفصل الخامس والعشرين من كتابى أن يرفعوا أيديهم.

رفع كل الطلبة أيديهم ما عدا ثلاثة فقط.

- حسناً .. لقد تأكدت الآن أنكم تعرفون الموضوع جيداً .. فليس فى كتابى ٢٥ فصلاً.

****

وحدث أن يهودياً تقياً كان يرى أن حاخامه من أصحاب الكرامات والمعجزات، وقد روى .. أن حاخامه كان يسير هو وأتباعه فى يوم الصيام عندما رأوا يهودياً يستند على حائط ويلتهم قطعة من الخبز عليها شريحة من الرنجة .. وصاح واحد من الأتباع :

- الخائن .. فليسقط الحائط عليك أيها المرتد.

لكن الحاخام تدخل بنبرة لطيفة قائلاً :

- لقد تجاهل هذا الرجل يوم الصيام المقدس ولكن ربما لديه سبب وجيه لارتكاب هذه الخطيئة .. فلنتذكر أنه حتى الخاطىء هو ابن من أبناء الله .. وبدلاً من أن ألعنه سأباركه وأصلى ألا يسقط الحائط عليه ويحطمه، بل أن يظل الحائط قائماً.

أنهى اليهودى المؤمن بكرامات حاخامه كلامه وهو يشعر بالزهو قائلاً :

- وقد استجاب الله لدعاء الحاخام وحدثت المعجزة وبقى الحائط قائماً ونجا المرتد من الموت !

****

قال رئيس الجماعة الدينية :

- أيها الحاخام من المؤسف أنك تخطط للاستقالة من هنا لتذهب إلى مكان آخر.

- لا تقلق .. سأوصى لكم ببديل لى سيكون أفضل منى.

- هذا بالضبط ما يقلقنى .. لقد قال الحاخام الذى قبلك نفس الكلام.

****

حاخام متوسط العمر .. يعيش فى فقر .. أغضبته دعوته إلى العمل فى معبد أكبر .. كان المرتب المعروض عليه مغرياً .. وكانت زوجته بالطبع شغوفة بأن يقبل الوظيفة الجديدة على الفور .. لكنه لم يستطع آن يقرر ما إذا كان من الحكمة أن يترك عمله الحالى أم لا ؟ فهو يعمل مع جماعته منذ سنوات ولا يحب أن يترك أصدقاءه القدامى ومكانه المعتاد رغم إلحاح زوجته .. كان يناقش المزايا والعيوب عندما ذهب لزيارته فى بيته أحد الثقات من الجماعة الجديدة ليعرف قراره .. وقابل على الباب ابن الحاخام .. وسأله :

– هل قرر الحاخام ما سيفعل ؟

– لا آعرف فى الحقيقة .. فأبى فى الطابق العلوى يصلى .. ولكن أمى فى الطابق الأسفل تحزم الأمتعة.

****

لكن .. هذه النكات – سواء كانت خفيفة الظل آم ثقيلة الظل – كانت أقل من حادث اغتيال إسحق رابين على يد يهودى شاب متطرف .. إن ما جرى آشد من أن تخفف من صدمته السخرية .. وقد فتح العيون على أن الدين فى إسرائيل آصبح النظارة التى يرى المجتمع من خلالها كل شىء.

ويقول الكاتب الإسرائيلى المعروف ليفى إسحق هايروشملى فى كتابه "القبعة الحاكمة" : إن مقتل رابين قد مزق ألف قناع من الوهم، حاول المجتمع خلفها تجاوز مشكلة أصبحت مصيرية وهى أن التطرف الدينى أصبح يحكم إسرائيل.

ويضيف فى الكتاب الذى صدر فى أبريل ١٩٩٧ عن دار "الكيبوتس الموحدة" للنشر : إن انتخابات الكنيست الرابع عشر فى ٢٩ مايو ١٩٩٦ – والتى جاءت بنتانياهو للسلطة – أدت إلى اعتلاء المعسكر الدينى الحكم .. وفى هذا المعسكر كانت الأحزاب الدينية المتزمتة طرفاً رئيسياً من الدرجة الأولى وليس مجرد "لسان ميزان فقط كما كانت من قبل" .. وهكذا تجسد أمام الجميع تغير جوهرى فى مكانة الدين فى الدولة وفى المواقع التى يحتلها المتدينون .. ومن بينهم أصحاب مواقف متطرفة ويستندون فى رؤيتهم لقضايا المجتمع الداخلية والخارجية على الشريعة.

وأكثر من ذلك وُصف قاتل رابين بأنه بطل وأعربت عشرات الفتيات المتدينات عن استعدادهن للزواج من القاتل .. وفى البداية لم يعلن عن أسمائهن ولكن بعد فترة وجيزة كان الإعلان.

ويقول الكاتب أن اليهود قبضوا بشدة على الدين بعدما جرى فى يوم كيبور فى أكتوبر ١٩٧٣ .. وهو نفس ما جرى للعرب بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. لقد هزمنا فى أكتوبر ١٩٧٣ رغم الادعاء بأننا انتصرنا .. وهو ما يذكر بالنكتة التى روجها الإسرائيليون فى ذلك الوقت والتى تقول أن العرب تعلموا منا القتال .. وتعلمنا منهم الكذب.

وقد أعيدت صياغة النكتة بعد أن أعادت إسرائيل بعض الأراضى للعرب نتيجة لمعاهدات السلام فقال المتدينون :

- لقد آخذ منا العرب الأراضى - ولكننا أخذنا منهم الله !

ويقول الكاتب آن اليهود المتطرفين يشنون الآن "حملات مقدسة" للقضاء على كافة مظاهر الحياة العلمانية مثل أكشاك بيع الصحف وآشرطة التسجيل وصالات البلياردو ودور السينما .. وغيرها .

ويختم الكاتب فصول كتابه بقصة يقول آنها من الواقع عن آسرة قديمة كانت تعيش فى القدس فى بداية الأربعينيات - كانت تتكون من عشرة آفراد .. الجد والوالدين وسبعة أبناء .. وكانت الأسرة متدينة ومتزمتة وصهيونية ولكنها كانت متسامحة أيضاً. فقد كان الجد والوالدان آعضاء نشطين فى حركة هامزراحى المتشددة .. وانضم أحد الأبناء إلى حزب العمل العلمانى واتجهت إحدى البنات إلى الشيوعية .. ورغم ذلك حافظوا جميعاً على الترابط الأسرى .. ولكن هذه القصة - التى كانت حقيقية فى الأربعينيات - آصبحت الآن غريبة وخيالية ووهمية .. فقد انعدمت روح التسامح .. وسادت مشاعر التعصب .. إلى حد القتل بالنار أو بالسخرية .. آو بهما معاً.

****

وصل بنيامين نتانياهو إلى واشنطن طالباً المزيد من المعونات والقروض والأموال .. وعندما أنهى مفاوضاته بنجاح وخرج من البيت الأبيض منتشياً وجد متسولاً فقذف له بربع دولار .. لكن المتسول آعاده إليه قائلاً :

- إننى لا آخذ حسنة من رفاق المهنة.

****

كان يهودى يجلس فى مقصورة بقطار آمريكى عندما دخل عليه زنجى وتناول الزنجى جريدة عبرية وبدآ يقرآ فيها .. فمال اليهودى نحوه قائلاً :

- آلا يكفيك آنك زنجى ؟

****

ذهب أمريكى إلى إسرائيل وآراد آن يقطع بحيرة طبرية فقال له اليهودى :

- ١٠٠ دولار.

- آنت مجنون هذا ثمن مرتفع جداً.

- أعرف ذلك ولكن لا تنس أن المسيح مشى على سطح هذه البحيرة.

- لا عجب فى ذلك .. فإذا كان هذا هو سعركم، فلابد أنه كان عليه أن يدبر نفسه بهذه المعجزة.

****

قال طالب يدرس التلمود لزميله :

– لقد ارتكبت معصية فظيعة.

– ماذا فعلت ؟

– سرقت صندوقاً من الشموع.

– إنها معصية فعلاً ولا بد أن تتوب.

– نعم ولكن كيف ؟

– يمكنك أن تظهر الندم بإحضار خمس زجاجات من النبيذ المقدس إلى المعبد.

– خمس زجاجات من النبيذ ؟ هل جننت ؟ تعرف أننى لا أملك بنساً واحداً .. كيف أستطيع أن أحصل على هذا النبيذ ؟

– بنفس الطريقة التى حصلت بها على الشموع !

****

فى أوائل حكم ألكسندر الثالث فى روسيا هددت المذابح العنصرية اليهود فاعتنق عدد منهم المسيحية كوسيلة للدفاع عن النفس .. وفى أحد الأيام التقى يهودى يدعى يانكل بصديقه حاييم فى الطريق الرئيسى فى موسكو وأخبره أنه أصبح مسيحياً.

صاح حاييم :

– كيف ؟ لا أستطيع أن أصدقك .. لقد كنت دائماً رجلاً متديناً تقياً.

أجاب يانكل فى خشوع :

– حاييم صدقنى .. أقسم لك بالتوراة والتلمود وبموسى وإسحق أننى الآن مسيحى.

****

صعد هارى سبيرلنج أشد اليهود بخلاً فى إسرائيل إلى السماء وعلى الفور استدعاه ملاكا الحساب .. وسأله أحدهما :

– لقد مت منذ ساعة، قل لى أى نوع من الأعمال كنت تعمل ؟

– كنت أكبر صانع ملابس ويعمل عندى ٣ آلاف عامل.

– أنا أسألك عن أعمالك الخيرية التى قمت بها لتستحق مكاناً فى السماء.

- دعنى أفكر.

- لا تكذب فكل شىء مسجل عندنا.

- ذات مرة أعطيت ٥٠ سنتاً لأرملة هى وأولادها يتضورون جوعاً .. كنت سأدفع أكثر ولكن ليس من المجدى أن تدلل هؤلاء الناس.

وراجع الملاك ما قاله البخيل وتحقق من وجوده فى السجلات.

وسأله الملاك الأول :

- هل هناك أعمال خيرية أخرى ؟

- أنا لا أريد أن أتباهى ولكنى ذات مرة وجدت كلباً يرقد فى الشارع وكان نحيلاً ويقترب من الموت .. فاشتريت له طعاماً بخمسين سنتاً.

وتأكد الملاك الآخر من الواقعة.

وعاد الملاك الأول ليسأل :

- هل لديك أعمال خيرية أخرى ؟

فرد الملاك الآخر :

- لا .. هذا كل ما فعل.

- وماذا سنفعل نحن معه ؟

- أقترح أن ندفع له نحن الدولار .. ونقذف به إلى الجحيم.

****

أخذ حاخام - مازال يملك أول بنس كسبه فى حياته - صديقه الوحيد وذهبا إلى بنك فى تل أبيب وطلب الحاخام قرضاً قيمته دولار واحد لمدة عام.

سأله موظف البنك :

- هل لديك أى ضمانات ؟

- نعم أسهم وسندات بنصف مليون دولار.

- حسناً يا سيدى .. ستدفع فى نهاية العام القرض مع فائدة ٦ ٪ على الدولار الذى ستقترضه .. ولكننا سنحتفظ بالأسهم والسندات ضماناً لدينا حتى تسدد القرض.

وافق الحاخام وهو يبتسم .. بينما أبدى صديقه دهشته :

– تمتلك أسهماً وسندات بنصف مليون دولار وتقترض دولاراً واحداً .. هل أنت مجنون ؟ .. ثم .. كيف تقترض بالربا وأنت رجل دين ؟

قال الحاخام :

– إنها أرخص طريقة للحصول على خزينة أحتفظ فيها بأوراقى المالية فى البنك مقابل ستة سنتات فى العام .. فقط !

****

احتاج الحاخام إلى أموال ليشترى بها أشياء يحتاجها المعبد، لذلك دعا إلى اجتماع لكنه تجنب برزانة أى إشارة إلى أنه ينوى طلب المال .. من بين من حضروا كان مويش وميندل وهما من أكثر رجال المدينة بخلاً .. وكان الحاخام شغوفاً لمعرفة كيف سيردان على طلبه.

تحدث الحاخام طويلاً فى أمور متنوعة .. ثم أوضح الهدف من الاجتماع .. وأخيراً أعلن أنه يمكن تلقى التبرعات.

عند سماع هذه الأخبار غير السارة أغمى على مويش فوراً .. وسارع ميندل بحمله إلى الخارج.

****

ذات صباح ربيعى دافىء قرر الحاخام أن يستمتع بالتنزه .. واستأجر سيارة مكشوفة وأمر السائق أن يلف به البلدة .. وفجأة قفز مجنون الحى إلى السيارة وجلس بجوار الحاخام ورفض أن ينزل من السيارة تحت أى ضغوط.

وتساءل الحاخام :

– لماذا أنت مصمم هكذا على التنزه معى ؟

– لأن المجانين يتبعون دائماً الحاخامات .. والعقلاء يتبعون المجانين دائماً .. فكر فى الأمر أيها الحاخام .. إن العالم كله يتبعنا الآن !

****

وليس أدل من هذه النكتة على ما يجرى الآن فى إسرائيل .. فالعقلاء يمشون وراء التطرف .. والمتطرفون والمجانين بالهوس الدينى يمشون وراء الحاخامات .. والعالم كله يتابعهم .. ويتفرج عليهم.

****

والسخرية من الحاخامات عادة يهودية قديمة .. وهذه النكتة من كتاب سيجموند فرويد عن النكتة وعلاقتها باللاشعور.

كان الحاخام الشهير ناثان فى معبد كراكوو عندما صرخ فجأة :

- يا إلهى.

فسأله تلاميذه :

- لماذا تصرخ هكذا ؟

- لم أستطع آن أتمالك نفسى، فمنذ لحظات قليلة تُوفى الحاخام الأعظم سلومون فى ليمسبرج.

وتعجب الجميع من قدرات الحاخام الخارقة وبدأوا على الفور الحداد .. لكن بعد أيام وصلت مجموعة من اليهود من ليمسبرج وكذبوا كلام ناثان وأصروا على أنهم تركوا الحاخام سلومون تواً فى صحة ممتازة.

وأخيراً أصبح هذا الاتصال الروحى خطأ وأمسك يهود ليمسبرج هذا الخطأ ليسخروا من حاخام كراكوو وقالوا :

- لقد جعل حاخامكم من نفسه أضحوكة عندما قال أنه رأى الحاخام سلومون يموت .. إن حاخامنا مازال على قيد الحياة.

أجاب آحد تلاميذ الحاخام ناثان :

- وما آهمية ذلك ؟ أليس مدهشاً فى حد ذاته آنه استطاع بقدرة اتصاله الخارقة قطع المسافة من كراكوو إلى ليمسبرج ؟

****

كان يهودى يعبر الشارع بينما الإشارة خضراء عندما صدمته سيارة .. تظاهر بأن إصابته خطيرة وعلى الفور رفع قضية ضد شركة التأمين التى يتعامل معها السائق وزعم أنه مشلول بالكامل من العنق إلى القدمين .. وقد حكمت له المحكمة بتعويض ٥٠ ألف دولار.

وصاح الرجل عندما آعيد إلى منزله فى سيارة إسعاف :

- لقد كسبنا .. إننا أغنياء.

قالت الزوجة :

- وما الخير فى ذلك .. لقد شهد طبيب الشركة فى المحكمة بأنه لا يصدق أنك مشلول وقال إنه سيراقب .. أما القاضى فقال إنك لو سرت خطوة واحدة سيسجنك بتهمة التزوير.

- لا تقلقى إننى أعرف ما سأفعله .. سنقوم بتأجير سيارة إسعاف إلى المطار .. وهناك سنستأجر هيلكوبتر إسعاف إلى القدس .. ثم .. سنستأجر سيارة إلى حائط المبكى !

- وماذا ستفعل عند حائط المبكى ؟

- سأصلى و أنوح .. وحينئذ ستشهدين معجزة.

****

كان اليوم مليئاً بالضيق بالنسبة لـ بن ألبرت .. أعلنت ابنته خطبتها لشخص غير يهودى .. ونتيجة ذلك أصيبت زوجته بانهيار عصبى .. ثم أخبره دائنوه أنهم لن يستطيعوا الانتظار عليه أكثر من ذلك لسداد ديونه ..

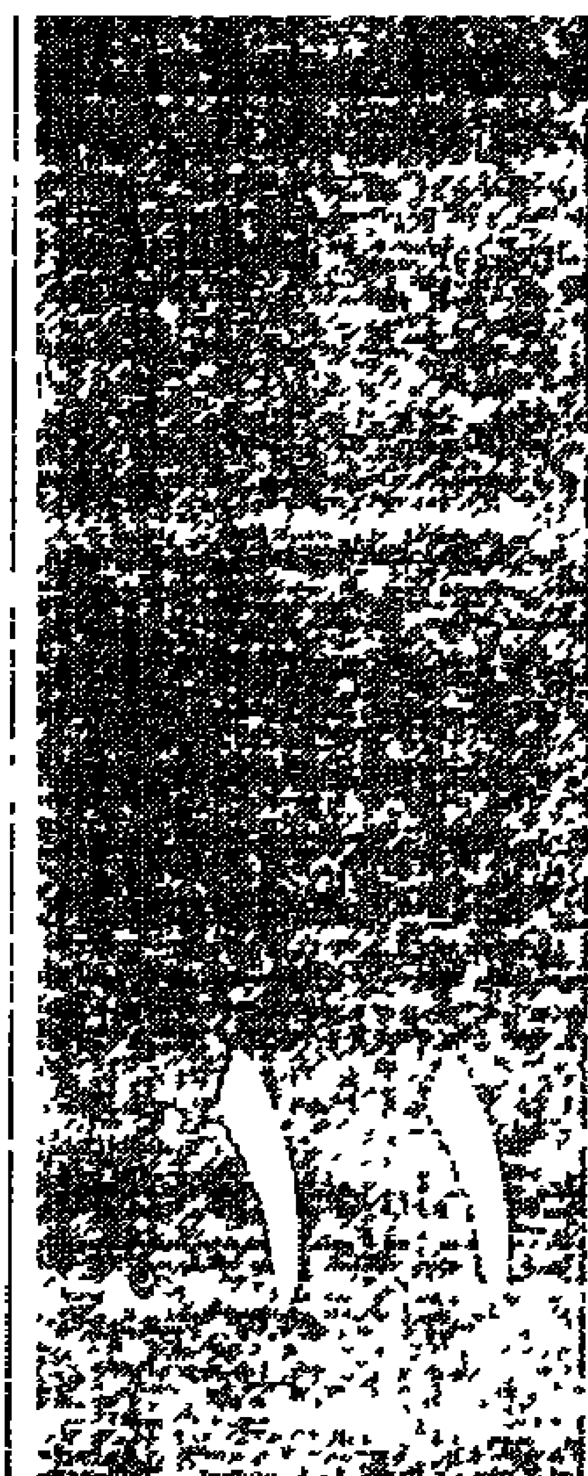
وكأن ذلك لم يكن كافياً .. ففى تلك الليلة احترق متجره وخرج إلى الشارع ليجد النار ترتفع فيه ثلاثين قدماً .. وناح بن ألبرت قائلاً :

- يارب .. اصرعنى ميتاً حتى تنتهى متاعبى .

فى تلك اللحظة اندفع قالب طوب مشتعل من المبنى المحترق وسقط بجوار قدمه بعد أن أفلت بالكاد بعيداً عن رأسه ببوصة واحدة.

تمتم بغضب وهو ينظر إلى السماء :

- هل هذا وقت معجزات ؟



وأصبحت أفران الغاز إسرائيلية !

حدث ذلك أيام هتلر.

اعترض جندى نازى يهودياً يحمل تحت إبطه دجاجة.

سأله :

- إلى آين آيها اليهودى ؟

- إلى دكان البقال أشترى للدجاجة بعض الطعام.

- طعام ؟

- قمح.

- قمح ؟ .. الألمان يموتون من الجوع وأنتم أيها اليهود الملاعين تغذون دجاجكم بالقمح الذى يحتاج إليه كل طفل ألمانى.

وتقدم النازى إلى اليهودى ولكمه فى وجهه حتى وقع على الرصيف .. وبعدها بدقائق جاء ألمانى آخر، مدنى هذه المرة .. وسأل اليهودى :

- إلى أين آنت ذاهب آيها الكلب ؟

ولأن "الكلب" يعلم جيداً ما سوف يحدث إذا ذكر القمح ثانيةً فإنه أجاب :

- سأشترى لدجاجتى بعض "الغلة".

- إيه ؟ .. غلة ؟ .. الألمان يعيشون بدون خبز لأنهم لا يملكون من القمح ما يكفى وأنت تعطى الغلة لدجاجتك.

وصفع الألمانى اليهودى على وجهه بشدة فسقط مغشياً عليه .. إلى أن جاء ألمانى ثالث يسأله :

- إلى آى داهية آنت ذاهب أيها اليهودى ؟

- إلى دكان البقال القريب أشترى للدجاجة "شيئا" تأكله.

- شىء ؟ إيه ؟

فقال اليهودى وقد آخذته الحيرة، وأنفه يدمى ورأسه يترنح :

- إننى لا أعرف ما الذى سأشتريه لها .. ولكننى سأعطيها النقود لتشترى هى ما تريد !

****

كان هتلر مولعاً بقراءة الكف واستقراء الغيب .. وعندما اقتربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها

وظهر أن هزيمته وشيكة أرسل إلى منجمه الخاص يسأله :

- بنك لويدز فى لندن رفض أن يؤمن على حياتى .. قل لى :

- هل سأموت ؟

وحدق المنجم فى الكف وأغمض عينيه ثم فتحهما فى خوف وقلق وقال :

- سيدى .. رجل واحد فقط فى أوروبا يمكنه أن يقول لك كلمة القدر النهائية.

- من هو ؟

- زيلج آلتمان.

- يهودى ؟ .. وهو كذلك .. هاتوه.

- ولكنه يا سيدى معتقل فى معسكر أشفيتز.

ثار الفوهرر وطرد المنجم وأصدر أوامره بإحضار آلتمان .. وسأله :

- متى سأموت أيها اليهودى ؟

فحص آلتمان كف هتلر ثم نظر عبر النافذة إلى النجوم نظرة سريعة شاملة وقال :

- خطوط كفك غير واضحة والنجوم غائمة قليلاً، ومع ذلك فهناك حقيقة واحدة واضحة جداً.

- ما هى ؟

- إن هذا اليوم سيكون يوم عيد لليهود.

- ما هو ؟

- موتك !

****

سأل قاض فى ألمانيا النازية زميله وهما فى نادى القضاة :

- ماذا فعلت اليوم فى المحكمة ؟

- شغلتنى قضية صعبة .. عضو فى الحزب النازى سرق ألف مارك من يهودى.

- وكيف كان حكمك ؟

- أمرت بحبس الألمانى يوماً واليهودى خمس سنوات.

- كيف ؟ .. أفهم أن تحبس الألمانى ولو ليوم لأنه سرق .. فلماذا حبست اليهودى كل هذه المدة؟

- لأنه وضع إغراء المال أمام الألمانى.

****

تحظى النكات اليهودية بكثير من السخرية من النازيين .. وترد لهم ما فعلوه بهم .. اضطهاد .. وتعذيب .. وأفران غاز .. ومعسكرات اعتقال .. وهى ما تعرف بالهلوكوست أو الإبادة الجماعية .. وهناك أسماء عبرية أخرى لها يتداولها الإسرائيليون .. مثل الشوآه أو الهوربان .. بمعنى الكارثة .. أو الإزالة.

ولا يوجد يهود لا يلطمون الخدود على الضحايا .. فالبكاء هواية يهودية .. وصفة من صفاتهم القومية والتاريخية .. أما النكد والحزن وتعذيب الذات فهى صفات أبدية .. وهم يفضلون البكاء الجماعى .. لذلك يقدسون حائط المبكى .. كما أنهم أقاموا النصب التذكارى لضحايا النازية .. وهم يعتبرونه مكاناً مقدساً .. لذلك يضعون الطاقية الدينية على رؤوسهم قبل دخوله .. ويفرضون ذلك على كبار زوار إسرائيل .. ورؤساء الدول .. ويسمون هذا النصب "يادفاشيم" والاسم مأخوذ من التوراة.

وهناك صور فوتوغرافية وكتب وأكثر من مليونى صفحة من الوثائق ونموذج كامل لمعسكر اعتقال نازى فى تربيلنيكا ومعبد وكتلة ذهبية ضخمة، غير منتظمة الشكل، تزن ٤ أرطال، عبارة عن الأسنان الذهبية التى جمعت من اليهود .. ولا أحد يعرف كيف حصلوا عليها .. واحتمال كبير أن تكون اختراعاً نفذوه بعد الحرب - راجع كتابنا "تحت جلد إسرائيل" بداية من صفحة ١١١.

ورغم أن اليهود انشغلوا بجلد أنفسهم بسياط المحرقة .. ورغم أن هذا أسعدهم كثيراً .. فإن الضحايا كان لهم ثمن .. التعويضات الألمانية .. والمعونات الأمريكية .. وأخيراً الضغط على سويسرا لدفع الأموال التى وضعها اليهود فى بنوكها خلال الحرب وماتوا أو اختفوا دون أن يستردوها.

وفى كتاب "العقلية الإسرائيلية" يقول جون لافين :

- إن الكارثة كان لها أعمق الأثر فى تشكيل العقلية الإسرائيلية .. "ذلك أن عذاب تلك الفترة ورد الفعل والمحاولة المؤلمة لفهمها قد أثرت على الإسرائيليين .. أفراداً .. وأمة".

والسؤال الذى يحير الأجيال الجديدة فى إسرائيل :

-كيف سار ملايين اليهود فى أوروبا إلى حتفهم دون مقاومة ؟

والسؤال الذى يكاد يفجر عقولهم :

– لماذا لم يتدخل اليهود فى باقى أنحاء العالم لإنقاذهم ؟

لماذا كانت الدموع والسخرية بأثر رجعى ؟

****

فى محكمة ألمانية وقف يهودى يرتعد من الخوف أمام القاضى الذى قال :

– إن التهمة الموجهة إليك خطيرة جداً .. أنت متهم بالسب فى الحزب النازى الحاكم.

– ولـ .. لـ .. كـ .. ن ... يا سيدى الـ ..قا .. ضى .. لقد كنت أقصد الشيوعيين .. لا النازيين.

صرخ القاضى فيه :

– لا تكذب .. الأوراق تقول أنك استخدمت كلمات مثل القتلة .. السفاحين .. قطاع الطرق .. اللصوص .. وهذه الصفات لا تنطبق على الشيوعيين.

****

ذهب أدولف كوهين إلى محكمة برلين ليغير اسمه بطريقة شرعية .. وأثناء نظر الدعوى .. نظر القاضى إلى طلبه ثم إليه .. ثم انفجر صارخاً :

– ما هذا ؟ حيلة أخرى من حيل اليهود ؟ .. هل تظن أن الرايخ الثالث سوف يسمح لك بأن تخفى دمك اليهودى وراء اسم ألمانى ؟ .. اخرج من المحكمة .. اسمك كوهين وسيظل إلى الأبد كوهين دون تغيير.

احتج اليهودى :

– ولكننى يا سيدى القاضى لا أريد تغيير "كوهين" وإنما أريد تغيير "أدولف".

****

جلس يهوديان مهمومين فى واحد من المطاعم القليلة التى كانت تفتح أبوابها فى ألمانيا لليهود ...

– إننى أكاد أنفجر غيظاً من زعيمنا.

– اسكت .. اسكت يا غبى .. هل تريد أن يلقوا بنا فى معسكر اعتقال بتهمة نقد هتلر.

– أنا أقصد موسى وليس هتلر !

– موسى ؟

– نعم .. ألم يكن من الأفضل أن يتمسك موسى بالبقاء فى مصر .. إن بريطانيا تحتلها الآن – ولو بقينا فيها لكنا قد حصلنا على جوازات سفر بريطانية.

****

إن هتلر كان يكره اليهود .. ولم يكن يثق فيهم .. وحرم على الألمان الاختلاط بهم .. والتزاوج معهم .. "فهم لا يمكن أن يكونوا ألماناً أبداً".

وفى كتابه الشهير "كفاحى" لم يكن يصدق أن اليهود يريدون بناء دولة فى فلسطين نتيجة إيمانهم بالوعى القومى .. وقال إنهم يخدعون الأمم غير اليهودية بخبث .. لأنه "لم يحدث أبداً أن سكن فى رؤوسهم أنهم سيبنون دولة يهودية بهدف الحياة هناك .. فكل ما يريدونه هو تنظيم مركزى لاحتيالهم الدولى العالمى" .. أى "مجرد مأوى للسفلة، المجرمين، المدانين وجامعة للمحتالين الناشئين".

فى تلك الفترة كانت السياسة الألمانية الرسمية تتمثل فى إخراج اليهود دون شروط .. لكن .. اليهود لم يخرجوا .. فلم تكن هناك أى بلد أخرى تريدهم.

وفى سخرية قال النازيون :

إن اليهودى يذهب إلى مكتب السفريات .. فهو يريد القيام برحلة .. ويضع وكيل السفريات كرة العالم أمامه .. قائلاً :

– هذا هو العالم .. اختر المكان الذى تريد الذهاب إليه !

ويدير اليهودى الكرة الأرضية ببطء ويدرسها بعناية ثم يرفع بصره وهو يقول :

– أليس لديكم شىء آخر ؟

والمعنى أنهم يريدون مكاناً آخر غير الكرة الأرضية لأن لا أحد يريدهم .. ففى عام ١٩٣٨ التقى فى مدينة "إيفيان" الفرنسية مندوبون عن ٣٢ دولة فى مؤتمر نظمه الرئيس الأمريكى روزفلت لتحديد كيفية إنقاذ اليهود من ألمانيا النازية .. وحضر المؤتمر أيضاً ٢٠ منظمة يهودية .. ولم يكن من الصعب التنبؤ بالخطر لأن الخطر أصبح ملموساً .. وعلى طرف الأنف.

وأوصى المؤتمر بتوزيع اليهود على الدول المشتركة فى المؤتمر .. كل دولة تستقبل ٢٥٠ ألف يهودى .. ولكن لا أحد استجاب .. إلا بريطانيا التى اكتفت بأخذ ٩ آلاف طفل يهودى ... فقط.

وأغلب الظن أن فشل هذا المؤتمر، شجع هتلر على التنكيل باليهود .. فقد شعر أن أقرب الناس لليهود لا يريدونهم.

فإذا كان لا أحد يريدهم .. فليذهبوا إلى الجحيم .. وهكذا اشتعلت أفران الغاز .. وارتفع الصراخ.

****

جلس يهودى ألمانى فى حديقة عامة على مقعد مطلى باللون الأصفر علامة على أنه مخصص للجنس غير الألمانى .. أو مخصص لليهود .. كان مستغرقاً تماماً فى قراءة جريدته الصهيونية الأسبوعية .. ومرت دقائق قبل أن يدرك أن يهودياً آخر كان يجلس إلى جواره يقرأ صحيفة مشهورة بمعاداة السامية وكراهية اليهود .. نظر إليه فى سخط :

– إنى مندهش يا أخى .. كيف تقرأ هذه "الزبالة" المعادية لليهود ؟

– تريد الحقيقة ؟ .. إنها تعطينى بعض الراحة والعزاء .

– كيف ؟ إنها تشتمنا ليل نهار .

– دعنى أفسر لك الأمر .. عندما أقرأ الجريدة التى فى يدك تطالعنى أخبار المصائب التى نلاقيها فى بولندا .. والاضطهاد فى ألمانيا .. والخوف فى فلسطين .. وغيرها وغيرها مما يحزننى ويضايقنى .. ولكنى عندما أقرأ هذه الجريدة المعادية لنا فلا تطالعنى سوى الأخبار التى تقول أن اليهود يسيطرون على البنوك العالمية، ويتحكمون فى الصحافة الدولية، ويوجهون المشاريع الصناعية الكبرى لمصالحهم .. وهذا يرفع من روحى المعنوية.

****

يهوديان يتسامران ويتبادلان الأمنيات :

– كل أمنيتى أن أنام وأصحو فأجد هتلر وقد تحول إلى مصباح.

– مصباح ؟

– نعم لكى أراه معلقاً فى النهار ومشتعلاً فى الليل ومنطفئاً فى الصباح.

****

ما أن وصل هتلر إلى الحكم حتى غرقت ألمانيا فى بحر هائل من النكتة المعادية للنازية .. وعلم الفوهرر بما يتناقله الناس فهاج وثار وطلب البحث عن الملعون المسئول عن روح السخرية التى شاعت ضده .. وما هى إلا أيام حتى قبض الجستابو على كاتب يهودى بارز معروف بسخريته اللاذعة.

و أمام الفوهرر الغاضب وقف الكاتب مبتسماً يرد على أسئلته :

– ما اسمك ؟

– كارل ميتلمان.

و أسمعه هتلر نكتة قيلت عنه ثم سأله :

– هل آنت الذى قلتها ؟

– نعم أنا مؤلفها.

ثم روى له هتلر نكاتاً غيرها .. وفى كل مرة كان كارل يؤكد آنها من تأليفه .. وإزاء هذا التحدى الصريح غضب هتلر غضباً شديداً ومضى يهدر فى الحجرة :

– كيف تجرؤ ؟ .. كيف يجرؤ يهودى على هذه الوقاحة ؟ .. ألا تعرف أننى زعيم الملايين المخلصين من الألمان الأنقياء الدم والعرق ؟ ألا تعرف أننى على رأس الرايخ الثالث الذى ستقدر له الحياة مئات السنين المقبلة ؟

هنا ضحك كارل ميتلمان وقال :

– آما هذه النكتة فإننى وبشرفى لست أنا مؤلفها.

****

فى سنة ١٩٨٣، وبعد نصف قرن من بداية اضطهاد النازية لليهود، صدر كتاب هام، يتناول الموضوع بجرآة تحسب لمؤلفه اليهودى المتحمس ليهوديته لين بريز وعنوانه "الصهيونية فى زمن الديكتاتورية – التاريخ الموثق لعلاقات الصهيونية بالفاشية والنازية" .. وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور محجوب عمر.

والكتاب يثبت آن اليهود سعوا إلى تقوية علاقاتهم بالفاشية والنازية .. وإن كثيراً من الصفقات السياسية والتجارية جرت بين الطرفين.

وكان على رآس هؤلاء اليهود إسحق شامير الذى سيصبح رئيساً للحكومة الإسرائيلية فيما بعد..

ففى عام ١٩٤١ كان شامير من بين اليهود الذين تبنوا الدعوة إلى التحالف مع هتلر ومع ألمانيا النازية فى مواجهة بريطانيا العظمى.

ومن جانبها ظلت السلطات النازية – حتى فى أشد لحظات اضطهاد اليهود – تحافظ على صلاتها بقادة الصهيونية الألمان، فكانت تتعامل معهم معاملة خاصة تختلف تماماً عن تعاملها مع اليهود "المتشددين" الذين لم تتوان عن ملاحقتهم.

ولم يكن الهدف الأساسى للصهاينة إنقاذ أرواح اليهود بل إنشاء دولة يهودية فى فلسطين .. ففى ٧ ديسمبر ١٩٣٨ صرح بن جوريون أمام جمع من الصهاينة قائلاً :

– لو عرفت آن بالإمكان الاختيار بين إنقاذ جميع آطفال اليهود فى ألمانيا بتوطينهم فى إنجلترا ونقل نصف هؤلاء الأطفال فقط إلى أرتس يسرائيل (أو أرض إسرائيل ويقصد فلسطين) لفضلت الخيار الثانى دون شك .. إذ يجب أن نأخذ فى الاعتبار تاريخ شعب إسرائيل بأسره

وليس مصير هؤلاء الأطفال فحسب".

وفى وقت آخر كرر بن جوريون نفس المعنى :

"ليست مهمة الصهيونى هى إنقاذ "بقية" شعب إسرائيل الموجودين فى أوروبا، بل إنقاذ أرض إسرائيل من أجل الشعب اليهودى".

وهذا ما جعل لين بريز يؤكد وجود مؤامرة صمت من ناحية المنظمات الصهيونية على ضحايا هتلر من اليهود .. من أجل دفع بقية اليهود بالنار إلى فلسطين.

إنها نفس نظرية إشعال النار فى الحقول حتى تخرج منها الفئران المذعورة .. أو ترك بعض اليهود للحرق لإقناع البعض الآخر بأنه لا مفر من الهجرة إلى فلسطين .. أو التضحية ببعض اليهود لإقناع العالم بأن من تبقى من اليهود يستحقون الاعتراف بوطن قومى لهم فى الأرض المقدسة.

وحسب تلك الوقائع فإن الصهيونية كانت مستعدة للتغافل عن حرق ما يزيد على خمسة يهود مقابل يهودى واحد يصل فلسطين.

إن ذلك يعنى أن ما جرى كان صفقة مع الشيطان .. وأنه رغم المبالغات اليهودية فى المعاناة من ألمانيا النازية .. فإن دماء اليهود ليست مقدسة كما تروج إسرائيل !

****

ركب الألمانى الأتوبيس .. وبسبب الزحام اضطر إلى الجلوس بجوار يهودى.

قال الألمانى :

- من آنفك أستطيع أن أحكم بأنك يهودى وزير نساء .. لا تفكر إلا فى الاعتداء على شرف فتاة ألمانية طاهرة.

تجاهله اليهودى ونظر فى الاتجاه الآخر .. ولكن الألمانى أصر على استفزازه .. فسأله :

- كم الساعة الآن أيها اليهودى.

لكن اليهودى لم يرد .. فأعاد الألمانى السؤال أكثر من مرة واستطرد :

- هل أنت أيها اليهودى أصم.

- لا .. ولكن إذا كنت بمهارتك عرفت قدراتى الجنسية من مجرد النظر إلى أنفى، أفلا يمكنك معرفة الساعة حتى ولو كانت فى جيبى ؟

****

ألمانيان استقلا القطار من محطة درسدن لا لشىء إلا مضايقة لشاب يهودى .. جلسا فى نفس المقصورة .. أحدهما على يمينه .. والآخر على يساره .. وقال الأول :

- قل لنا .. هل أنت لص ماهر أم حمار غبى ؟

فكر اليهودى الشاب للحظة ثم رد بهدوء :

- الحقيقة إننى أجد نفسى فى مكان ما بين الاثنين.

****

بائع متجول يهودى، يبيع بضاعته فى البيوت .. دخل بيت نازى شديد الكراهية لليهود .. فتش فى بضاعة اليهودى والتقط منها نظارة شمسية، جربها فأعجبته .. فقال :

- هذه النظارة مدهشة .. فعندما نظرت إليها لم أر سوى خنزير نجس يقف أمامى.

فرد اليهودى :

- حقاً .. دعنى أجربها بنفسى.

ووضع النظارة فوق عينيه ونظر إلى الألمانى وقال :

- عندك حق .. إننى أرى نفس الشىء.

****

وفى كتاب لين بريز أيضاً :

إن تحطيم يهود المجر يعد واحداً من أكثر الفصول مأساوية فى الهولوكست.

كان فى المجر عندما احتلها الألمان ٧٠٠ ألف يهودى .. وفى هذا الوقت بدأت وقائع القضية الشهيرة التى عُرفت فيما بعد فى إسرائيل بقضية الدكتور كاستبر.

والدكتور رتزو إسرائيل كاستبر كان قائداً صهيونياً لليهود المجريين خلال الحرب وقد أجرى باسم لجنة الإنقاذ اليهودية فى بودابست، فى سنة ١٩٤٤ مفاوضات مع بعض النازيين وعلى رأسهم أودولف إيخمان.

وقد وافق إيخمان على السماح لليهود بالرحيل إلى أسبانيا مقابل ١٠ آلاف شاحنة صابون وقهوة وإمدادات أخرى .. وكدليل على حسن النية كان إيخمان سيسمح للصهاينة بإطلاق سراح مجموعة أولى مكونة من ٦٠٠ يهودى، تذهب إلى فلسطين.

ولكن الاتفاق لم يتم على هذا النحو .. وعقد د. كاستبر صفقة خاصة أنقذ بمقتضاها أسرته

وأسر أعضاء لجنته وكان العدد لا يزيد على ٥٠ يهودياً .. وفى المقابل لم يهمه حرق مئات الألوف من يهود المجر.

وفى سنة ١٩٥٣ كشف صحفى إسرائيلى هو مالشيل جرونفالد القضية ووقف د. كاستبر أمام المحكمة الابتدائية التى آدانته، وهو ما جعل الحكومة تشعر بالفزع من إدانة أحد رجالها البارزين .. وفى ٣ مارس ١٩٥٥ اغتيل د. كاستبر بإطلاق الرصاص عليه بواسطة أحد عملاء الموساد لأن التخلص منه كان هو الحل الوحيد .. وعند استئناف الحكم برأت المحكمة العليا ساحته ولكن بأغلبية صوت واحد .. وكان ذلك فى ١٧ يناير ١٩٥٨ .. وهو ما جعل إسرائيل تسترد سيطرتها على الدعاية اليهودية المكثفة ضد ألمانيا وهتلر والنازية.

****

الفقرة الوحيدة التى يقدمها السيرك الشهير فى برلين والتى كان الجميع ينتظرونها هى فقرة الصراع بين نمر حقيقى ورجل فى ثياب آسد.

لكن الرجل الأسد أصابه المرض .. وبحث أصحاب السيرك عن بديل بالإعلان عن حاجتهم فى الصحف .. ومرت ثلاثة أيام ولم يتقدم آحد للوظيفة الخطيرة.. ولكن جاء اليوم الرابع ومعه الفرج .. رجل حزين محبط يضع على ذراعه وشماً فيه نجمة داود .. قال له مدير السيرك :

- الحق إننا لم نفكر فى إسناد هذا العمل إلى يهودى.

- وهل هناك وظيفة آفضل من هذه تناسب اليهودى ؟

- تعلم أنك قد تقتل ؟

- ولكن أطفالى وزوجتى لم يأكلوا شيئاً منذ ثلاثة آيام .. ولاحيلة لى.

ووافق المدير .. وفى يوم الافتتاح وكان الجمهور غفيراً، ارتدى اليهودى جلد أسد وأسنانه تصطك من الرعب والخوف .. ودخل إلى قفص النمر ومن اليأس ركع وزحف على أربع وراح يزأر .. بينما استعد النمر للوثوب وعيناه القاسيتان تومضان .. فارتعد الأسد وقال :

- سأموت .. حتماً سأموت.

وما آن اقترب منه النمر حتى راح يتلو صلوات الموت .. ولكن ولدهشته البالغة سمع من يقول :

"الرب إلهنا .. وإلهنا واحد".

سمعها تخرج من فم النمر فى ورع وخوف.

- إنك نمر من ورق .. نمر من ورق .. لست حقيقياً .. لقد آخفتنى حتى الموت.

فرد النمر فى غيظ :

– آيها الغبى .. لماذا تظن أنك اليهودى الوحيد فى ألمانيا الذى يحصل على رزقه بالعمل؟

****

لم يكن هتلر راضياً عن تقارير الرأى العام التى كان جوزيف جوبلز وزير دعايته يقدمها إليه يومياً عن أحوال واتجاهات الناس .. لذلك قرر أن يتعرف بنفسه على ما يقوله الناس فى الشوارع والأماكن العامة .. فحلق شاربه وثبت عوينات سوداء ومشى فى شوارع برلين يتسمع ويسجل فى ذهنه تعليقات الناس .. وانتهى به المطاف إلى دار سينما فدخل وشاهد الجريدة السينمائية وظهر فيها وهو يلقى خطبة نارية .. وفى هذه اللحظة وقف جمهور السينما وأدى تحية النازية:

– هاى هتلر.

وقف كل المشاهدين إلا هو .. هتلر نفسه .. وكان يقف بجواره يهودى، فجذب كم الفوهرر وهمس له فى قلق :

– قف يا آخى بحق السماء .. إننا نشعر بما تشعر به وأكثر .. لكن لماذا تبحث عن المتاعب مع هذا المجنون ؟

****

ويصر اليهود على أن اضطهادهم وعذابهم كان فى كل زمان .. وفى كل مكان .. ولم يقتصر فقط على هتلر والألمان والنازية .. فما الذى فعلوه لتلعنهم كل الشعوب ؟ .. ما الذى فعلوه ليغروا كل الأمم بذلك ؟ .. ثم .. ما هذه السعادة بالشكوى والبكاء والنكات بأنهم مضطهدون؟

****

فى كتابه عن النكتة اليهودية يروى سبالدنج الكثير من النكات عن اضطهاد اليهود فى روسيا القيصرية .. يقول :

إن الذبح والاضطهاد جعلا اليهود حذرين للغاية فيما يتعلق بنشاطاتهم الشخصية والجماعية .. فعندما تظهر مشكلة فى الجماعة تبقى سراً لا يعرفه مسئولو الحكومة الذين "يستغلون أى حدث برىء للقيام بمزيد من البطش".

وحدث آن كان بين اليهود واحد يعمل مرشداً أو مخبراً للروس .. وحفاظاً على أمنهم وجدوا أن من الضرورى أن يرشوه قبل أى اجتماعات حتى لا يبلغ أمرهم للسلطات .. وفى أحد الأيام طلب المرشد ٣٠٠ روبل ثمناً لسكوته .. واستدعى مجلس الكبراء أو الحكماء الحاخام وطلبوا منه أن يفعل شيئاً بشأن هذا المخبر .. واستدعى الحاخام الجاسوس إلى منزله .. وسمع منه :

– إننى أصر على ٣٠٠ روبل .. وإلا سأقول للسلطات.

وصاح الحاخام غاضباً :

- إنك خنزير لا تساوى شيئاً .. إننى أعرض عليك ٥٠ روبلاً وأؤكد لك أنك إذا لم تقبل فإننا نستطيع آن نحصل على مخبر آخر يتجسس علينا بسعر أرخص، ٢٥ روبلاً لا آكثر.

****

هؤلاء الجواسيس كانوا يكرهون يهوديتهم آكثر مما يكرهون اليهود .. وقد حدث أن قبضت الشرطة القيصرية على واحد منهم اسمه موردخاى لأن معلوماته الأخيرة لم تكن وفيرة .. وتم جلده ليتذكر أنه يجب أن يصبح أكثر نشاطاً فى جمع المعلومات.

وبعد الجلد الدامى لاحظ الحاخام أنه كان يضحك بينه وبين نفسه فسأله :

- لماذا كنت تضحك وأنت تُجلد ؟

- لأننى أشعر بالسعادة عندما أعرف أن يهودياً تم جلده.

- وإذا كنت تشعر بهذه السعادة من ذلك الأمر، فلماذا كنت تصرخ من الجلد ؟

- لأننى أكره أن أرى يهودياً يشعر بهذه السعادة.

****

ولكن .. تظل السخرية من الألمان فى الصدارة.

فوق المحيط الأطلنطى أصاب العطل الطائرة المسافرة من إسرائيل إلى أمريكا .. وفى الحال أصدر قائد الطائرة تحذيراً بأنه إذا لم تخفف حمولة الطائرة فوراً - بإلقاء بعض الأفراد منها - فإن الطائرة ستسقط ويموت الجميع.

وقف فرنسى فى شهامة وصاح وهو يلقى بنفسه من باب الطائرة :

- تحيا فرنسا.

وبعده قفز إنجليزى وهو يقول :

- تحيا الملكة.

ثم وقف يهودى وصاح :

- ألمانيا فوق الجميع.

ودفع بعجوز ألمانى من باب الطائرة.

****

ويصف اليهود كل من يعاديهم بمعاداة السامية .. وهم يشهرون هذا السلاح فى إسرائيل فى وجه كل من يقف ضدهم أو ضد سياساتهم.

وكلمة "سامية" كلمة ابتُدعت حديثاً نسبياً – فقد صاغها عالم ألمانى فى عام ١٧٨١، ليدلل على مجموعة من اللغات المتقاربة مثل العربية والعبرية .. وقد ادعى اليهود أن الكلمة أقدم من ذلك التاريخ بسنوات طويلة تصل إلى قرون.

والسامية من سام .. أحد أبناء نوح.

وفى التوراة أن العبرية كانت اللغة السائدة فى فلسطين (أرض كنعان) قبل أن يغزوها بنو إسرائيل .. وكنعان من نسل حام لا من نسل سام .. وحام ابن آخر لنوح .. أى أن العبرية لغة حامية وليست لغة سامية.

ومع أن البروفيسور جوتيان منحاز فى تفسيره للعهد القديم إلى اليهود فإنه يقول : إن السامية كانت مجرد اصطلاح مصطنع لتقسيم اللغات إلى مجموعات بدون أية إشارة إلى الصلة التاريخية بين الشعوب التى تتكلمها.

ويضيف :

"ولسوء الحظ أصبح الاصطلاح اللغوى البحت "سامية" فى القرن التاسع عشر وتحت تأثير الاتجاه العاطفى لأفكار اللغة والأمة، يعنى شيئاً مختلفاً تماماً .. يعنى جنساً ذا خواص طبيعية ونفسية واجتماعية .. يعنى ظاهرة متميزة".

" إن افتراض أن جميع الشعوب التى تكلمت لغات سامية كان لها أصل عنصرى مشترك ذو خصائص مادية واجتماعية متميزة ليس له أساس علمى على الإطلاق .. إننا نعرف المظهر الخارجى للشعوب القديمة التى استخدمت لهجات سامية من صورهم ومن أجسادهم التى عُثر عليها فى الحفريات .. وكانت تختلف فيما بينها من الناحية الأنثروبولجية كما يمكن أن تختلف أى شعوب أخرى .. وحتى ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية كان التباين بينها واضحاً .. وإن ما كان مشتركاً بينها فى الأدب والأفكار الدينية يمكن إثبات أنه نتيجة عملية طويلة من الاندماج الثقافى .. إن ذيوع لغة ما هو أمر معقد للغاية يجب دراسته فى كل حالة على حدة – فالقول بأن الناس فى الولايات المتحدة يتكلمون ويفكرون بطريقة متجانسة لا يثبت أن آباءهم كانوا يوماً جنساً واحداً".

وقد حاولت الصهيونية السياسية أن تستخدم السامية للتدليل على نقاء اليهود وتجانس أصولهم .. ومن ثم .. يصبح من السهل الاقتناع بأنهم شعب الله المختار .. وحسب الواقع السكانى فى إسرائيل فالأدق أن نقول أنهم شعوب الله "المختارة" .. فهم ليسوا جنساً وإنما أجناس .. من القوقاز .. والصين .. والأندلس .. واليمن .. والعراق .. وأثيوبيا .. وهذا يعنى اختلافات لا حد لها فى ملامح الوجه .. ومواصفات الجسم .. وشكل الجمجمة .. ولون

الجلد ... وغيرها .. إلى آخره.

ولو صدقنا أن اليهود ساميون .. فلابد أن يكون العرب كذلك.

فطبقاً للتوراة فإن اليهود والعرب من صلب "إبراهيم" .. وهما من سلالة الأخوين إسحق وإسماعيل .. الأول من سارة والثانى من هاجر.

وتصل بعض الأبحاث الغربية إلى حد اعتبار أن الإسرائيليين القدامى لم يكونوا سوى قبيلة من القبائل العربية.

وهذا ما أثبته البروفيسور جيمس أ. مونتجمرى فى كتابه "الجزيرة العربية والتوراة" الذى نشر فى فيلادلفيا سنة ١٩٣٤.

ويذكر هنا أيضاً كتاب البروفيسور دنكان بلاك ماكدونالد "العبقرية الأدبية العربية" الذى نشرته جامعة برنستون سنة ١٩٣٣.

ولا نريد التورط فى هذا الموضوع الأكاديمى الشائك، لكن يكفى أن نذكر أن إسرائيل بعد قيامها دفعت الكثير من المال لعدد كبير من الباحثين لإثبات غير ذلك .. فهى تصر على أن اليهود جنس سامى .. لأنها تصر على أنهم الشعب الذى اختاره الله .. ولأنها تصر على استخدام تهمة "معاداة السامية" .. بلا حدود - انظر تحت جلد إسرائيل ص ١٠٤.

والمثير للدهشة أن الألمان الذين نشروا الكلمة هم أول من دفعوا الثمن بعد اندحار النازية .. إنها سخرية القدر التى لا مفر منها .. وسخرية اليهود منهم أيضاً.

****

قام جوزيف جوبلز وزير الدعاية الألمانية النازية بجولة يتفقد فيها المدارس ليساعد على ترسيخ مبادىء النازية فى عقول الصغار .. وفى إحدى المدارس طلب من التلاميذ أن يكرروا أمامه بضعة شعارات.

صاح تلميذ :

- يعيش هتلر.

- برافو.

وصاح ثان :

- ألمانيا فوق الجميع.

- ممتاز .. ولكننى أريد شعاراً أقوى..

وارتفعت يد متحمسة تطلب الكلمة .. لمحها جوبلز فسمح للتلميذ الذى قال :

- سيعيش شعبنا إلى الأبد.

ابتسم الوزير النازى معجباً :

- هذا أروع شعار سمعته .. ما اسمك يا بنى ؟

بتواضع شديد قال :

- اسمى إسرائيل كوهين جولدبرج.

****

إسرائيل زانجفيل ركب الأتوبيس فى طريق عودته إلى منزله .. ولأنه كان متعباً فقد نام .. وعندما استيقظ تثاءب بصوت عال مزعج .. بجواره كانت امرأة سمينة، صاحت فيه :

- ماذا تحاول أن تفعل .. أن تبتلعنى.

رد زانجفيل :

- لا يا سيدتى .. فديانتى تحرم علىّ أكل كل اللحوم.

****

غادر إسرائيل مردخاى لندن إلى برلين فى مهمة تتعلق بمشروع صهيونى .. وهناك ذهب إلى مطعم كان مزدحماً فاضطر إلى الجلوس إلى مائدة تشغلها سيدتان شديدتا المقت والكراهية لليهود .. وما أن فتح مردخاى جريدته حتى قالت الأولى للثانية :

- ألا يوجد مكان يذهب إليه الإنسان فلا يرى اليهود أبداً.

أجاب مردخاى :

- سيدتى يمكنك الذهاب إلى جهنم.

****

ويواجه اليهود بشراسة كل من يشكك فى المحرقة وأفران الغاز ومعسكرات الاعتقال النازية .. ولعل أشهر ضحاياهم وآخرهم المفكر الفرنسى روجيه (أو رجا) جارودى الذى حُوكم بتهمة معاداة السامية فى فرنسا فى نهاية عام ١٩٩٧ وبداية عام ١٩٩٨.

إن الحرية أصبحت بعد هذه المحاكمة شعوذة أو خرافة أو جريمة، يعاقب من يرتكبها بالسجن والتشهير والعزل وكأنه مصاب بالإيدز أو مريض بالجذام .. لقد علمت فرنسا الدنيا : "أن من

يقطع جسوره مع الحرية يقطع جسوره مع الله" .. لكنها لم تتردد فى التضحية بشرفها وسمعتها وقدمت جارودى للمحاكمة بتهمة التفكير واعتبرته مشاغباً ومخرباً وخطراً على النظام العام.

وتهمة جارودى الحقيقية أنه وعمره ٨٤ سنة لا يزال يصر على أن مهمة المفكر هى تحطيم الأصنام والأساطير وقمصان الجبس المحبوس فيها العالم ومنها الخرافات والأساطير التى صاغت الدولة اليهودية فى إسرائيل .. من خرافة شعب الله المختار إلى خرافة أرض الميعاد .. ومن خرافة نقاء العرق إلى خرافة الإبادة الجماعية فى المحرقة النازية ... وهى خرافات يرى جارودى أن من يقبلها لا يمكن أن يكون مفكراً أو كاتباً أو عاقلاً أو "خادمة سيرلانكية".

وقد صاغ جارودى أقواله وأفكاره فى كتابه - الرصاصة "الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل" فوجد نفسه فى أفران الغاز اليهودية .. ولم يعرف هل سيخرج من دائرة النار حياً ؟ .. أم سيتحول إلى رماد ؟

فى القاهرة طرحت السؤال على زوجته سلمى الفاروقى أو سلمى جارودى .. فقالت : "لا أتصور أن المعركة سهلة فعمرها أكثر من ١٥ سنة ويبدو أنها لن تتوقف إلا إذا أجهزوا على زوجى".

جرى الحوار ليلة محاكمة جارودى فى فندق يطل على نيل القاهرة الساحر وقد بدت مصابيح الإضاءة صفراء شاحبة أو هكذا بدت فى عيوننا .. فعندما يختنق القلب حزناً على العدل والحرية يبدو العالم فى حاجة إلى أكثر من قطعة غيار.

سألتها عن تفاصيل المعركة الشرسة التى خاضها ويخوضها جارودى مع اللوبى اليهودى واعتذرت عن إصابتنا بالغيبوبة.

قالت :

- الطلقة الأولى خرجت من حنجرة جارودى فى صيف ١٩٨٢ بعد الاجتياح الإسرائيلى للبنان .. رفض جارودى أن يختموا على عقله وفمه بالشمع الأحمر .. ورفض أن يتصالح مع الواقع فاشترى صفحة فى جريدة "الموند" الفرنسية أدان فيها الغزو الإسرائيلى للبنان .. فكان أن رفعوا ثلاث قضايا ضده وضد مدير "الموند" جاكو فوافير واتهمونا بمعاداة اليهودية والسامية.

• من الذى فعل ذلك ؟!

- منظمة يهودية صهيونية تسمى "ليكرا" اجابيت وهى الحروف الفرنسية الأولى للجنة الدولية ضد العنصرية، وهى منظمة قوية فى فرنسا خسرت قضاياها الثلاث التى كسبها جارودى بعد عامين من القتال فى المحاكم .. وقال القاضى فى حيثيات الحكم أن نقد الايديولوجية الصهيونية ليست له علاقة بالعنصرية أو مناهضة السامية.

• لقد وجد جارودى نفسه فى المحرقة اليهودية !

- لكنه لم يتراجع وأصدر كتابه "فلسطين أرض الرسالات السماوية" الذى كان مثل العدسة

المكبرة لحقائق حاولت إسرائيل دفنها وطمسها، فوجد صعوبة فى نشر الكتاب فنشره على حسابه .. وقد سألوه: لماذا ترفض ؟ .. فقال : السؤال ليس لماذا أرفض بل لماذا أقبل ؟ .. وكانت إجابته بداية لحرب ليس لها سوى هدف واحد هو القضاء عليه .. لقد طبق اليهود عليه مبدأ الحرب الشاملة .. والقاعدة فى هذه الحرب هى : على اليهودى ألا يشعر بالرأفة تجاه عدوه وإلا دفع بقية اليهود الثمن.

وسخن جارودى أكثر .. إن المعارك والمحاكم تجعله أكثر حيوية .. تمنحه قوة الوجود .. تحقنه بأكسير الكبرياء .. وهو ما دفعه إلى مواصلة الكتابة فى الموضوع .. فنشر كتابه "ملف دولة إسرائيل" .. ثم سخن أكثر وأكثر ونشر كتابه "الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل" فقامت قيامة اليهود .. منعوا عرض كتبه فى المكتبات وحاكموا صاحب مكتبة فى مونترو فى سويسرا وسجنوه لأنه عرض الكتب وقدموا صاحب مكتبة فى جنيف بنفس التهمة للمحاكمة .. وكسروا أنف ناشر فرنسى من أصل يونانى لأنه وضع الكتاب الأخير على شبكة الإنترنت، وحطموا مكتبه وغطوا كل شىء فيه بالبوية الحمراء .. وهاجمت "الموند" جارودى بشراسة بعد أن تدخل اليهود لشراء أسهمها التى انهارت، ورفضت الصحيفة العريقة نشر رد جارودى عليها إلا بعد ٣ شهور، وخوفاً من الملاحقة القانونية .. أما أخطر ما جرى فهو وقوف جارودى أمام المحكمة العليا لمحاكمته بتهمة معاداة السامية حسب قانون فابيوس - جيسو.

وفابيوس هو رئيس وزراء فرنسا الأسبق لوران فابيوس .. أما جيسو فهو نائب شيوعى فى البرلمان الفرنسى، قدم القانون باسمه، وقبض الثمن فيما بعد بتعيينه وزيراً .. ويعاقب القانون بالحبس لمدة سنة وغرامة تصل لـ ٥٠ ألف دولار من ينكر أو يشكك فى الهولوكوست أو أفران الغاز التى حُرق فيها اليهود فى معسكرات النازية.

إنه أول قانون يحمى الخرافات اليهودية ويمنحها حصانة لا تحظى بها الأديان السماوية .. فهناك حرية فى أن يعلن أى شخص أنه ملحد .. وأن الأنبياء لا معنى لوجودهم .. لكن .. لا حرية هناك فى إنكار أفران الغاز .. وقد طارد اليهود كل من حاول تحطيم هذه الأسطورة التى يعتبرونها مقدسة .. فقد فصل البروفيسور روبير فوريسون من جامعة ليدن وأُغتيل معنوياً لأنه قدم بحثاً عن خرافة حرق اليهود فى الأفران النازية ووصفها بأنها أكذوبة صهيونية .. وسحبت الدكتوراه لأول مرة فى فرنسا من الباحث الجرىء هنرى روكيه لأنه مشى فى نفس الطريق وفصل البروفيسور الذى أشرف على رسالته.

• وجاء الدور على جارودى لاغتياله بعد أن حطم نفس الخرافة فى كتابه الأخير .. لقد وضع أصبعه فى عين الغول الحمراء .. ثم وضع رأسه فى فمه .. وبين أنيابه.

- حققت معه النيابة العامة فى ٢٥ أبريل ١٩٩٧، وقررت محاكمته فى الصيف الماضى ثم أجلت المحاكمة إلى يناير ١٩٩٨ فى جلسات مطولة لا يقل زمن الواحدة منها عن ٨ ساعات وهو ما جعل القاضى يسمح لجارودى بالجلوس على مقعد، وإن منع الجمهور من التصفيق له.

• التصفيق له ؟

– نعم التصفيق له !

• كيف ؟ وليس هناك من يسانده سوى نفر قليل من أصدقائه ؟

– أبداً .. هناك كثيرون يؤيدونه ولكن صوتهم لا يصل لأحد بسبب سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام والرأى العام .. إنهم لا يستطيعون النفاذ من هذا الحصار.

• لكن منظمات حقوق الإنسان لم تسانده أيضاً ولا المنظمات غير الحكومية .. والنكتة أنهم يطالبوننا بما لا يفعلون .. لقد قال لى إبراهيم المعلم رئيس اتحاد الناشرين العرب : إن الاتحاد الدولى للناشرين يرفض عضويتنا إلا بإعلان لجنة لحريات النشر كما هو الحال عندهم .. أين هذه اللجنة وماذا فعلت بعد منع نشر وتداول وعرض كتب جارودى ؟ .. وماذا فعلت لأصحاب المكتبات التى حطموها وكادوا أن يقتلوهم ؟

– الحرية ليست مواثيق أو أوراقاً أو لجاناً، وإنما هى فتح واختراق ومغامرة .. والكاتب أو المفكر الذى يطالب بوثيقة تأمين على أصابعه قبل أن يكتب، يشبه راقصة الباليه التى تطالب ببوليصة تأمين على ساقيها قبل أن ترقص "بحيرة البجع".

• الإيمان أقوى من التأمين .. والأمن ؟

– هذا صحيح .. وهذا أيضاً سر قوة جارودى .. الإيمان بما يفعل .. وبما يعتقد .. لا أحد ضربه على يده أو على رأسه ليعتنق الإسلام .. لقد نشأ فى أسرة ملحدة دينياً .. محافظة سياسياً .. وفى مواجهة الفاشية اعتنق الماركسية .. والبروتستانتية .. وعندما كان معتقلاً فى أحد سجون الجزائر نظم هو ورفاقه إضراباً عنيفاً، فطلب الكولونيل الفرنسى من الجنود الجزائريين إطلاق النار عليهم .. لكنهم رفضوا، لأن الإسلام يمنع المسلم من إطلاق النار على شخص أعزل .. وفى هذه اللحظة – التى أنقذ فيها الإسلام حياته – بدأ فى دراسته والتفكير فيه .. وإن لم يتصور أنه سيعتنقه فيما بعد.

• وإيمانه المبنى عن اقتناع بالإسلام جعله أفضل من مسلمين ورثوا الإسلام ولم يروا فيه سوى مظاهر خارجية وتطرف وذبح ؟

– حدث مرة أن ظهر شيخ الأزهر السابق الدكتور جاد الحق فى التليفزيون الفرنسى ولم يجد ما يقدمه عن الإسلام سوى الحديث عن قطع يد السارق .. وانزعج الناس هناك من الصورة التى قدمها عن دين يؤمن بحرية العقل .. وانزعج جارودى أيضاً .. وفى إحدى زياراته للقاهرة سألوه .. كيف يمكن مساندته فى دعوته للإسلام، فقال : لا ترسلوا مثل هؤلاء المشايخ ليتكلموا عن الإسلام.

إن أعداء الإسلام يفرحون بمثل هؤلاء المشايخ ويخشون من المسلمين الذين يتكلمون لغة

العصر.. إن واحداً من هؤلاء هو حفيد حسن البنا .. وابن سعيد رمضان من زوجته وفاء حسن البنا .. لقد استقر سعيد رمضان فى سويسرا بعد هروبه من مصر فى أعقاب حادث المنشية، وخرج ابنه طارق رمضان ليدرس الفلسفة حتى أصبح أستاذاً فى الجامعة وتزوج من سويسرية ومزج بين أصول الإسلام واجتهادات العصر .. ودعوه لمحاضرة عن الإسلام فى فرنسا ونجح فى شد انتباه الفرنسيين .. لكن بعد المحاضرة قبض عليه البوليس الفرنسى وطردوه من فرنسا بتهمة إثارة المتاعب ولم يتردد جارودى فى تشكيل لجنة للدفاع عنه نجحت فى رفع قرار منعه من دخول فرنسا.

• بهذه العقلية المتطورة قدم جارودى للإسلام بمفرده ربما ما لم يقدمه كثير من المراكز الثقافية الإسلامية فى الغرب .. إننى أعرف أنه يركز أكثر على أسبانيا .. أو الأندلس .. جسر الحضارة بين الإسلام و أوروبا .. وزهو أجداد المسلمين الذى لم يبق منه سوى دموع مساجد قديمة تحولت الآن إلى كنائس .. وأشهرها المسجد الكبير فى قرطبة والذى يجمع بين الزخارف والقباب الإسلامية وتمثال لصلب المسيح.

– بعلاقة جارودى القوية برئيس بلدية قرطبة الأسبق أنجتيا – الذى سموه الخليفة الأحمر لانحيازه للعرب – أخذنا قلعة قديمة تُسمى "قورا كالا حرا" أمام مسجد قرطبة الذى أصبح الآن كاتدرائية، لتحويلها إلى متحف يجسد الحضارة الإسلامية فى الأندلس .. وأصبحت القلعة – المؤجرة بإيجار رمزى لمدة ٤٩ سنة – مزاراً سياحياً يسبق مسجد قرطبة القديم.

وحتى نقدم للعالم دليلاً على تسامح الإسلام وتشجيعه للفنون دعونا فى قرطبة عازف الكمان المعروف يهودى منونين ليقدم ألحانه فى هذا الجو الإسلامى الناعم .. وهى دعاية لا تقدر قيمتها بالملايين.

• سئل جارودى عن أفضل كتبه إلى نفسه فقال : كتاب "كيف تراقص نفسك ؟" فهل غير رأيه بعد اعتناقه الإسلام ؟

– أبداً .. ورغم أن جارودى لا يجيد الرقص فإنه يعتقد أن الإسلام يحرم الرقص .. ويرى فى حركات الذكر الصوفية حركات فنية إبداعية.

• أليس يهودى منونين يهودياً ؟

– نعم .. وهو من أقرب الأصدقاء والمساندين لجارودى فى محاكمته .. وأبوه كان حاخاماً معادياً لقيام دولة إسرائيل، وهاجم الصهيونية السياسية التى نشطت على يد هرتزيل، وألف كتاباً بعنوان "انحطاط اليهودية" كان مرجعاً من المراجع التى استند إليها جارودى فى مؤلفاته المعادية لإسرائيل .. وقد حاول منونين أن يزور فلسطين بعد إعلان الدولة العبرية لكن إسحق رابين نصحه بعدم الزيارة وقال له أنه لا يضمن سلامته ولا سلامة أسرته.

• ويساند جارودى أيضاً الأب بيير الراهب الفرنسى العجوز الذى يحظى بإعجاب الفرنسيين

طوال الخمسين سنة الماضية لانحيازه للفقراء والتدخل لحمايتهم رغم أن عمره تجاوز التسعين.

- لقد رفض الأب بيير أن يترك جارودى وحيداً فكان أن اتجهت سهام الحملة اليهودية إليه هو أيضاً .. لكنه علق على هذه الحملة قائلاً : "إنهم سيتهموننا بالعداء للسامية وكراهية اليهود حتى لو قلنا أن مغنياً يهودياً يغنى بشكل سيىء" !!

وانتهت محاكمة جارودى بالحكم عليه بالغرامة .. وهو فى النهاية حكم يهدد بما هو أكثر من الغرامة فكل من يحاول أن يواجه اليهود بأكاذيبهم .. التى روجوها أحياناً بالأرقام والمستندات المزورة .. وأحياناً بالسخرية والنكات.

****

كان يوم عيد ميلاد هتلر .. وألمانيا كلها تحتفل به .. وفى الفصل كانت المدرسة تخطب فى تلاميذها :

- إن زعيمنا المحبوب ليس مجرد قائد ملهم فحسب، بل إنه أيضاً أبوكم وإنكم لتستطيعون أن تحصلوا منه على ما تريدون إذا طلبتم .. فماذا تطلبون من "أبيكم" هتلر المفدى ؟

قال تلميذ :

- أطلب من أبى هتلر أن أصبح جنرالاً.

وقال آخر :

- أطلب من أبى هتلر أن أصبح بحاراً.

وقال ثالث :

- أنا أطلب من أبى هتلر أن أصبح جندياً فى العمليات الانتحارية.

ولكن موشى الصغير قال :

- سأطلب من هذا الأب أن أصبح يتيماً.

****

تقدم موسى جرينزبان إلى وظيفة فى دار نشر فى برلين.

قال المسئول :

- إننا لا نوظف اليهود هنا .. لو أصبحت مسيحياً قبلناك.

- لا طبعاً .

– إذن اخرج من هنا .. فلن تعمل فى هذه الدار مادمت على قيد الحياة.

– سأنتظر.

****

بعد سقوط فرنسا زار هتلر باريس لفترة قصيرة تفقد خلالها مدرسة ابتدائية فرنسية .. ثم أخذ يوجه الأسئلة للتلاميذ عن معتقداتهم السياسية .. فأشار الفوهرر بأصبعه إلى تلميذ عمره سبع سنوات قائلاً :

– والآن وقد سقطت فرنسا وأصبحت فى حوزة الجنس الراقى ماذا تريد أن تكون عندما تكبر ؟

– ضابطاً ألمانياً.

وأشار بالسؤال إلى تلميذ آخر فقال :

– أريد أن أكون من الجنس الآرى.

تهلل وجه هتلر وكرر السؤال على تلميذ ثالث تصادف أن كان يهودياً :

– وماذا عنك أنت أيضاً ؟

– أريد أن أكون جمهورياً.

– ماذا ؟ كيف تجرؤ على التفكير فى شىء كهذا ؟

– لأن أبى وأمى وأجدادى كانوا جميعاً جمهوريين.

– وإذا كانوا من المجرمين والسفاحين والقتلة فهل كنت تفضل أن تكون مجرماً أيضاً ؟

– لا .. فى هذه الحالة أفضل أن أكون نازياً.

****

ولا شك أن هذه النكات أصبحت جزءاً من التاريخ .. ربما لم تعد تثير الضحك .. ولكن المؤكد أنها يمكن أن يستخدمها العرب والفلسطينيون ضد النازية الجديدة فى إسرائيل .. وليس من الصعب الحذف والتغيير والإضافة هنا .. وفى هذه الحالة ستصبح هذه النكات واقعية .. معاصرة .. ومناسبة جداً.

اليهودى الذى يفتش
فى دفاتره القديمة

صورة "اليهودى" الشهيرة فى عيوننا لا تختلف كثيراً عن صورته فى الواقع ... اليهود أنفسهم يعترفون بذلك.

هو أحدب . نحيف . ضعيف . متمارض . نظراته حائرة .. عصبية . لديه ضفائر سوداء وذقن . شاحب . تظهر عليه علامات الشيخوخة مبكراً مثل الرعشة والتجاعيد . يرتدى ملابس بالية .. باهتة . على رأسه قبعة أو طاقية . منغلق . خائف . شكاك . يبتعد عن الناس . ثقيل . غير يقظ . خامل . لا يثق فى نفسه . منحط . هادىء . متواضع . صامت . خجول . مرتبك . منقاد . تلميذ مجتهد . لا يستمتع بمباهج الحياة . بخيل . يتفتح ذكاؤه فى جمع المال . لا مانع عنده من تجاوز الأخلاق . محتال . طماع . يبيع كل شىء حتى الوفاء.

****

اشترى يهودى وعربى بطيختين .. أكلا واحدة .. واختلفا على الثانية .. العربى يريد اقتسامها واليهودى يريدها لنفسه .. فاتفقا على آن من يكذب أكثر من الآخر يأخذ البطيخة .. قال اليهودى :

- كان فيه مرة يهودى كريم و .....

ولم يكمل .. فقد قاطعه العربى قائلاً :

- خلاص .. خلاص .. خذ البطيخة.

****

ويقال آن يهودياً نزل دمياط التى يشتهر أبناؤها بالحرص، وكان مع اليهودى حماره، وسأل :

- كيف أشبع من طعام أتناوله ويشبع حمارى وأتسلى ولا أدفع سوى شلن.

قال الدمايطة :

- اشتر بالشلن بطيخة .. تأكل قلبها .. وتطعم حمارك قشرها .. وتتسلى باللب.

قال اليهودى وهو يرحل :

- هذه بلد ليس لى عيش فيها.

****

قال يهودى لجاره اليهودى :

- أريد آن أزوج ابنتى وليس معى سوى خمسين ألف دولار والعريس يطلب مائة ألف دولار كى يتزوجها.

فقال له جاره :

- ضع المبلغ أمام المرآة واجعل العريس ينظر إليه فيراه مائة ألف دولار .. فالمرآة ستريه بدلاً من الرزمة رزمتين.

فقال والد العروس :

- الحقيقة أننى لا أملك إلا المال الذى بداخل المرآة.

****

تقابل يهوديان بعد فراق طويل.

قال الأول :

- ما هذه الأناقة ؟ هل ورثت ثروة ؟

أجاب الآخر :

- أبداً .. أنت تعرف أن هناك نوعين من الناس .. نوع يملك الخبرة .. ونوع يملك المال .. وفى يوم تقابلت مع شخص يملك المال فشاركت بخبرتى .. والنتيجة كما تراها .. أصبح هو يملك الخبرة وأصبحت أنا أملك المال.

****

رآى يهودى ابنته تتبادل القبلات فى الطريق العام مع شاب، فاندفع إليهما غاضباً وقد فار الدم فى عروقه وقال للشاب :

- هذه قلة أدب .. سفالة .. وقاحة .. ما عندك أخلاق .. ما عندك شرف .. ما عندك بيت ؟

****

لكن اليهود فى إسرائيل يقولون أنهم غيروا الصورة التقليدية عن يهود الشتات، ويصر على ذلك اليهود الذين ولدوا فى إسرائيل ولم يهاجروا إليها، أو ما نعرفهم بيهود الصبرا أو الصبار .. ومنهم صباريم .. وهو يعنى أبناء الأشكنازيم الذين وُلدوا فى إسرائيل أما أبناء السفارديم الذين ولدوا فى إسرائيل فيسمونهم "يليدى هاآرتس" .. أى أولاد البلد.

وأحياناً يطلق على الصباريم .. جيل "التين الشوكى" .. لأن هؤلاء الصغار كانوا يتركون مباريات البنج بونج ويتبارون فى تقشير التين الشوكى بأيديهم .. بدون سكين .. وبدون قفاز.

وصورة يهودى الصبرا ... لشخص طويل . له خصلة شعر على جبينه . قوى . متين . بسيط الملبس . صندل . وبنطلون . فعال . يقظ . هائج أحياناً . عدوانى . عنيف . متمرد . يفتقد

الكياسة . متكبر . خشن الطبع . وطنى . مقبول . صاحب موقف . طيب القلب . جاد . متزن . عاقل . حر . ساخن.

وحسب ما قاله الكاتب الإسرائيلى عاموس إيلون فإن فى إسرائيل نوعين من الشخصيات اليهودية:

النوع الأول : شخصية اليهودى، العجوز، المحدودب الظهر، الذى يرمز إلى القوة والضعف فى وقت واحد، وإلى العزم والإنهاك فى إنسان العالم المعاصر، الذى رأى الكثير .. ويذكر كل شىء.

والنوع الثانى : شخصية اليهودى – الصبرا .. وهى شخصية فتى جامح، يفيض حيوية .. يرتدى بنطلوناً قصيراً من الكاكى .. ينتعل صندلاً مفتوحاً .. يجمع بين الطفولة والمكر .. والحيوية والاستعداد .. ويمتلك قوة لم تُكبح ولم تُدرّب.

ويحتقر الصبار اللاجئين والمهاجرين اليهود .. "فليست بنطلوناتهم مطوية، بل تتدلى حتى الركبة .. وسلوكهم يدل على الضعف .. ومتشبهون بالنساء".

ويسخر الصبار من يهود الجيتو .. ويصفهم بأنهم مثل المرأة .. لا تسرى الدماء فى وجوههم .. ويصفهم بأنهم مضحكون .. ومنكمشون .. ويرتعدون لدى سماعهم صوت طائرة فى السماء.

****

ويقول الصبرا آن يهود الشتات حملوا معهم تراثهم من النكات ونجحوا فى فرضها على الجميع .. فهى فى النهاية تعبر عن شخصية ذليلة لا يريد اليهود أن يتخلصوا منها .. ويروى هنرى سبالدنج بعضاً مما حمله يهود الشتات من حياتهم القديمة.

سوكولوف وهيرشكوفيتش غريبان لا يعرف أحدهما الآخر، التقيا فى عربة قطار وهما فى طريقهما لمدينة بيكاترينوسلاف، وعلى الفور بدأ الحديث بينهما..

سأل سوكولوف :

– هل تعرف رجلاً فى بيكاترينوسلاف يدعى حاييم لوبيتسكى ؟

– لوبيتسكى البقال ؟ إننى أعرفه كما أعرف نفسى .

– أى نوع من البشر هو ؟

– إنه نوع صعب من البشر فهو يغش فى الميزان، ويضرب زوجته ولا يحترم الحاخام ولا يصوم يوم كيبور.

– لكن .. كيف تعرف كل هذا عنه ؟ .. هل أنت متأكد مما تقول ؟

- لا أحد يعرف لوبيتسكى أكثر منى .. إنه أعز وأفضل وأقرب أصدقائى !

****

شعر إيزى وهو صبى فى سن المراهقة أن خمسين سنتاً فى الأسبوع لا تكفى فطلب من والده أن يزيد له مصروفه .. وسأله الأب :

- وإذا حصلت على زيادة .. ماذا سيحدث ؟

- سأدخر من مالى حتى أمتلك سيارة .

- وإذا امتلكت سيارة ماذا سيحدث ؟

- سأتعلم كل شىء عن السيارة وأصبح ميكانيكياً !

- وإذا أصبحت ميكانيكياً ماذا سيحدث ؟

- سيتحسن عملى وأمتلك جراجاً .

- وإذا امتلكت جراجاً ماذا سيحدث ؟

- سأكسب كثيراً حتى أصبح ثرياً .

- حسناً أصبحت ثرياً .. ماذا بعد ذلك ؟

- أستطيع أن أتزوج من فتاة جميلة من أسرة طيبة !

- وإذا تزوجت ماذا فى الأمر ؟

- يا أبى سأصبح سعيداً !

- أصبحت الآن سعيداً ؟

- نعم.

- ما حاجتك إذن لمزيد من النقود ؟

****

وتمتلىء نكات يهود الصبار على يهود الشتات بالسخرية من رغبتهم المزمنة فى السرقة والتسول.

تعود المتسول أن يأخذ ٥٠٠ دولار من رجل غنى كل عام، لكن فى أحد الأعوام أعطاه الرجل ٢٥٠ دولاراً فقط واعتذر له قائلاً :

- عفواً فقد خفضت نفقاتى هذا العام لأن ابنى تزوج ممثلة وأنا الذى أدفع له جميع فواتيره.

- يا للوقاحة .. إذا كان ابنك يريد أن ينفق على ممثلة فليفعل ذلك من جيبه وليس من جيبى.

****

كان الشقيقان جانسا وميشبوشا يتسولان بشكل منتظم عند منزل مليونير معروف، كان يعطى لكل منهما ١٠٠ دولار شهرياً .. وحدث أن تُوفى جانسا .. فقام شقيقه بالتسول وحده .. وقدم المليونير له المائة دولار المعتادة .. لكنه اعترض قائلاً :

- ما هذه ؟ إننى أستحق ٢٠٠ دولار !

- أنت لا تستحق شيئاً .. لقد مات أخوك جانسا وسحبت المائة دولار التى كان يحصل عليها.

- ماذا تعنى بكلمة سحبتها ؟ من هو وريث أخى، أنا أم أنت ؟

****

ظل الشحاذ يثير الصخب أمام منزل التاجر الثرى كل ليلة فى وقت العشاء .. كان التاجر رجلاً طيباً إلا أن صبره بدأ ينفد .. لكن ماذا يفعل والرب يطالب من يملك أن يعطى لمن يحتاج .. وذات ليلة والتاجر الغنى يجالس سيدة يهواها، طرق الشحات الباب، فصاح التاجر :

- إذا كنت لا تمانع أنا أجالس سيدة صديقة !

- إننى لا أمانع على الإطلاق .. سوف آكل فى المطبخ.

- هل تحب الدجاج البارد ؟

- إننى أحبه بارداً تماماً .. أنا لا أحبه بأى طريقة أخرى.

- حسناً جداً .. تعال غداً مساءً .. فالدجاج ساخن الآن.

****

منذ عدة سنوات واليهودى الثرى يستقبل على مائدته كل يوم جمعة أحد الشحاذين، حتى أصبح ذلك من التقاليد المستقرة، وفى إحدى المرات فوجىء الثرى بالشحاذ يحضر ومعه شخص آخر، وما أن جلسا حتى صاح الثرى غاضباً :

- ما هذا ؟ هل تقوم الآن بدعوة ضيوف على مائدتى ؟

أجاب الشحاذ مبتسماً :

- ليس تماماً .. إنه ليس غريباً .. إنه زوج ابنتى .. وقد وعدته بطعام مجانى خلال العام الأول لزواجهما.

****

هاجر النصاب اليهودى البارع من روسيا إلى أمريكا .. وذهب إلى محل أنتيكات روزينتال فى "بارك آفينو" وقدم قميصاً حريرياً لبيعه وزعم آن قيصر روسيا كان يرتديه فى حفل تتويجه ..

قال مستر روزينتال :

- سوف آتشاور مع الخبير .. يا مستر مونتجومرى هل يمكن أن تأتى إلى هنا وتقيم هذا القميص؟

وتقدم مونتجومرى ووضع نظارته وحملق فى القميص وقال :

- إنه قميص القيصر، ولكن لدينا تسعة من قمصان القيصر ارتداها فى أيامه الأخيرة.

ورحل النصاب دون أن يبيع، لكنه عاد فى اليوم التالى وهو يحمل صفحة من مخطوط التلمود يعود تاريخها للقرن الرابع .. وفحصها الخبير قائلاً :

- إنها آصلية، ولكن لدينا المخطوطة بكاملها .. عفواً.

انتظر النصاب عدة أيام .. ثم عاد ورأسه ملفوف بالضمادات وقال :

- يا روزينتال لدى شىء نادر من آجلك.

- ما هو ؟

- هل سمعت عن الرسام العظيم فان جوخ ؟ حسناً .. إن لدى إحدى آذنيه .. آلا تستحق هذه مكافأة حقيقية ؟

ونادى روزينتال على الخبير .. لكن النصاب اليهودى شمر عن ساعديه وقال مقاطعاً :

- انتظر لحظة .. لست فى حاجة لمناداة مونتجومرى لأنه ليس فى متجركم شىء مما آحمله .. فقد وجدت آذن فان جوخ الأخرى أيضاً.

****

والسرقة هى الجريمة الأولى بين اليهود فى إسرائيل وفى الشتات .. ومن ثم تحظى نكات اللصوص بدرجة كبيرة من الاهتمام بعد نكات البخلاء والشحاذين والمنحوسين.

****

دخل اللص إلى المحكمة متهماً بالسرقة مرة آخرى.

قال القاضى :

- إنها المرة الخامسة خلال عام واحد التى أجدك فيها فى المحكمة .. آلا تخجل من نفسك ؟

قال اللص :

– سيدى .. هذه ليست طريقة للحديث فقد رأيتك أنا أيضاً خمس مرات فى المحكمة ولم أؤنبك!

****

لصان .. بوريس و إيفان، شاهدا سائق عربة يهودياً، يُوقف حصانه وعربته خارج حانة، ثم يدخل إليها.

قال بوريس بجشع :

– هذا حصان جيد .. هيا نسرقه.

– إن الأمر خطر نوعاً ما .. سيخرج اليهودى خلال دقيقة أو دقيقتين وإذا ضبطنا سنقضى فى السجن ١٠ سنوات.

– لدى فكرة .. سنفصل الحصان عن العربة .. وأنت تركبه لخارج البلدة بأسرع ما يمكن وسأقف أنا مكان الحصان.

وخرج صاحب العربة من الحانة مترنحاً ورأى إنساناً مقيداً فى عربته فأصابه الفزع :

– ماذا حدث لحصانى ؟ ماذا تفعل هنا ؟

– اسكت .. إننى حصانك .. منذ سنوات كنت شاباً لا يبتعد عن النساء الفاجرات فعاقبنى الله على ذلك وسخطنى حصاناً لمدة ١٨ سنة وقد انتهت المدة منذ دقائق قليلة وعدت إنساناً مرة أخرى.

تعاطف صاحب العربة بشدة وتنهد قائلاً :

– آوه .. أيها الرجل العزيز .. إننى لا أسامح نفسى على ما فعلت بك .. كنت أتركك تقف فى البرد والمطر .. ولم أكن أعطيك ما يكفيك من الطعام .. وأحمّل العربة بأكثر مما تستطيع جره .. قل لى .. كيف أعوضك عن ذلك ؟

– أعطنى بعض المال لأبدأ حياتى مرة أخرى كإنسان.

وأعطاه الرجل كل ما معه وهو يقول :

– سر فى طريقك يا صديقى القديم ولكن ابتعد عن النساء الفاجرات.

وفى الأسبوع التالى ذهب الرجل إلى السوق ليشترى حصاناً جديداً لعربته ولدهشته وجد حصانه القديم معروضاً للبيع .. فاندفع إليه معانقاً وهمس فى حنان :

– ألم أقل لك ابتعد عن النساء الفاجرات ؟.

****

أحنى الرجل الضئيل رأسه فى صلاة خاشعة قائلاً :

"أشكرك يارب على يقظة رجال الشرطة وعلى عقاب وسجن العديد من اللصوص والنشالين، فلولا عنايتك الإلهية يارب لأصبحت مهنتى مزدحمة بهم، ولا يستطيع لص مسكين مثلى أن يأكل عيشاً.

****

ولكن .. من يقدر على سرقة يهودى ؟

جاء اليهودى سعيداً إلى بيته ذات ليلة وقال لزوجته منتشياً :

– لقد اقتنصت حصاناً ثميناً من أحد اللصوص ودفعت فيه ٢٠ دولاراً فقط وهو يساوى ٥٠ دولاراً على الأقل.

قالت الزوجة :

– هذا حسن.

– لا .. هذا سيىء .. فالحصان صغير للغاية.

– هذا سيىء .. فهو لن يستطيع جر حمولة ثقيلة.

– لا .. هذا حسن .. فالحصان قوى بشكل خاص .. المشكلة الوحيدة أنه يعرج.

– هذا سيىء .. حصان أعرج لا يمكنه العمل.

– لا .. هذا حسن .. إن اللص المغفل لم يلحظ الظفر الصغير فى حافره .. لقد نزعته فلم يعد أعرج.

– هذا حسن .. فقد حصلت على حصان ممتاز بعشرين دولاراً فقط.

– لا .. هذا سيىء .. فقد أعطيته ٥٠ دولاراً بطريق الخطأ.

– هذا سيىء.

– لا .. هذا حسن .. لقد كانت الأموال مزورة.

****

ثم تتداخل السخرية.

قبل أسبوع فقط من عيد حانوكاة حصل الحاخام ذو الشعبية الكبيرة على قبعة من الفراء الثمين .. هدية .. والآن سرقها شخص ما.

لم تكن هناك إلا طريقة واحدة لمعرفة السارق، لذلك أرسل الحاخام يطلب لوى ملك اللصوص فى البلدة .. وسأله :

- هل تستطيع إعادة قبعتى الغالية ؟

- الأمر يتوقف على من سرقها .. لو سرقها أحد أتباعى تأكد أننى سأعيدها لك .. لكن لو سرقها أحد أتباعك .. فقل عليها السلام.

****

وبمناسبة السرقة .

هذه النكتة اليهودية المسروقة من جحا.

كان هناك رجلان فى البلدة لا أحد يفوقهما فى الذكاء والسخرية هما إيسنجر الغنى البخيل، وفينستر الشحاذ الماكر.. لكن لم يحدث أن اختبر أحدهما قدراته فى مواجهة الآخر .. إلا مؤخراً.

قرر فينستر أن يتحدى إيسنجر فذهب إلى بيته وبعد مناقشة طويلة أقنعه بأن يقرضه عملة فضية.

وفى اليوم التالى لم يقم فينستر بإعادة العملة الفضية فقط وإنما أعطى إيسنجر عملة فضية أصغر معها أيضاً.

سأل البخيل الغنى متشككاً :

- ولماذا هذه العملة الزيادة ؟

- خذها ولا تخش شيئاً .. إنها حقك وملكك .. فى الليلة الماضية أنجبت العملة الكبيرة هذه العملة الصغيرة .. فاعتقدت أن حقك أن تأخذها.

- أنت أمين بدرجة مذهلة.

- شكراً والآن أحب أن أقترض منك شمعداناً فضياً .. لأننى أنتظر ضيفاً مهماً وأحب أن أترك لديه انطباعاً جيداً.

- بالطبع يمكنك أن تأخذه.

وبعد يومين عاد فينستر بالشمعدان لامعاً ومعه شمعدان صغير لشمعة واحدة وهو يقول :

– شمعدانك الكبير أنجب هذا الشمعدان الصغير.

ولم يسأل إيسنجر كيف ينجب شيء غير حي صغاراً وقال وهو يقبل الشمعدان الوليد في سعادة.

– إذا احتجت أي شيء أنا في خدمتك .. فقط اطلبها مني.

– إنني أنتظر صهري الليلة وأريد أن أتباهى أمامه، لذلك أحب أن أستعير ساعتك الذهبية المرصعة بالماس.

وعلى الفور قدم له الساعة الثمينة إلا أن فينستر لم يعدها أبداً ولم يعد للثرى البخيل أيضاً، فذهب إيسنجر إلى بيت الشحاذ المتواضع ليطلب ساعته.

سأله إيسنجر :

– أين ساعتي الذهبية ؟

– يؤسفني أن أقول لك إنها مرضت وماتت !

– ماتت ؟ ما هذا السخف ؟ هل تموت الساعة ؟

– إذا كان في استطاعة العملة والشمعدان أن يحملا أطفالاً وقد أخذتهما أنت، فلماذا لا تموت الساعة ؟

****

ومرة أخرى إذا كان اليهود قد سرقوا الأرض والتاريخ والأنبياء، فلماذا نستكثر عليهم أن يسرقوا النكات ؟

لقد سرقوا ياسر عرفات وهو على قيد الحياة، فلماذا لا يسرقون جحا بعد وفاته بمئات السنين؟

****

سأل المحسن الكريم الشحاذ وهو يعطيه حسنة :

– هل لديك أسرة ؟

– نعم .

– وأطفال ؟

– خمسة كلهم كبار وأثرياء.

– ولا ينفقون عليك ؟

– سيفعلون ذلك لو طلبت منهم.

– ولماذا لا تطلب منهم ؟

– ماذا ؟ هل آمد يدى لهم ؟

****

وفى مؤتمر للجمعية العربية لعلم الاجتماع بعنوان "صورة الآخر" قدم د. عبد الباسط عبد المعطى بحثاً مثيراً بعنوان "صورة الإسرائيلى لدى المصرى بين ثقافة العامة والدراما التليفزيونية" اعتمد فيه على عينة قادرة على كشف هذه الصورة .. منها أشخاص يعملون فى مجال خدمات السياحة .. فى جنوب سيناء .. حيث يكثر السياح الإسرائيليون .. ومنها جنود قاتلوا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. وتجار كبار فى السن .. فوق السبعين .. عاشوا قرابة ٣٠ سنة بالقرب من حارة "اليهود" المسماة بالشواذلية .. ورجال أعمال تعاملوا مباشرة مع الإسرائيليين .. وصحفى .. وأستاذ جامعة .. وكاتب قصة .. إن هذه العينة تمثل الثقافة المصرية بروافدها الشعبية والسياسية والبرجماتية .. أما الدراما فقد اختار الباحث مسلسل "رأفت الهجان" لاتساع مساحته التاريخية وشموله على الكثير من الشخصيات الإسرائيلية.

ويقول الباحث : إن المصريين يتسمون بالتسامح الدينى بصورة عامة .. لكننا "نلاحظ استثناء لحالة التسامح المصرية فى الموقف من اليهودى الإسرائيلى خاصة لدى العامة من المصريين .. لقد أقاموا وصلاً وتطابقاً بين اليهودى والإسرائيلى ومن ثم جعلوا ما هو دينى وما هو سياسى مترادفين، يستخدم الواحد منهما للدلالة على الآخر .. وهم لم يأتوا بهذا بناء على موقف مسبق .. مطلق وإنما بناء على عوامل تاريخية ومعاصرة" .. منها أن اسم "إسرائيل" هو اسم يجمع بين دلالات دينية وسياسية وعنصرية .. ويستدعى مباشرة لدى المصرى، والعربى ما أتى به النص الدينى الإسلامى من ربط بين اليهود وإسرائيل .. وأيضاً صفات اليهود التى اشتهروا بها .. خيانة العهد .. المساومة .. المراوغة .. والأنانية.

كذلك .. فإن إسرائيل – رغم أنها مشروع استعمارى أقامه علمانيون – قد استندت فى إعلانها على مرجعية دينية .. مثل أرض الرب .. أو الأرض الموعودة .. أو شعب الله المختار.

وبعيداً عن إسرائيل فإن اليهودية تبدو بالنسبة لأهلها جنسية أكثر منها ديانة .. فاليهود ظلوا يهوداً فى الدول التى هاجروا إليها وعاشوا فيها.

****

الساحر الأسطورة هارى هودينى كان له ابن عم مفلس وجشع يأخذ أى شىء ولا يدفع ثمنه.

فى أحد الأيام زار هارى .. ولأنه ابن عمه .. عاملوه معاملة الملوك .. وبعد أسبوع رحل ومعه

خمس حقائب مكتظة بالهدايا وحافظة ممتلئة بالنقود .. لكنه عاد فى اليوم التالى .. فسأل هارى مندهشاً :

- ماذا تفعل هنا ؟ لقد اعتقدت أنك فى الطريق إلى منزلك.

فقال ابن العم الوقح :

- هارى .. لقد شعرت أنه سيقام احتفال كبير بعد رحيلى .. ففكرت أن أحضره.

****

ويقول د. عبد الباسط عبد المعطى أن اختيار الأسماء يتأثر بشروط اجتماعية وثقافية .. ورغم أن اليهود والإسرائيليين لا يحصرون أنفسهم فى أسماء معينة إلا أن العامة فى مصر يرون أن الاسم الشائع المناسب لليهودى الذكر هو كوهين .. فكل النكات المصرية عن اليهود فيها كوهين .. وأتى الاسم فى فيلم مصرى شهير أراد أن يعبر عن رموز للديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية فى مصر هو "حسن ومرقص وكوهين" .. وهو الاسم الذى اختاره رأفت الهجان لأبيه فى مرحلة ما قبل عمله مع المخابرات المصرية .. وهو "ليفى كوهين" .. وهو أيضاً اسم أحد الجواسيس الإسرائيليين "إيلى كوهين" الذى وُلد فى مصر وتغلغل فى قيادة الدولة السورية حتى وصل إلى منصب وزير .. وهو كذلك الاسم الذى تردد فى رائعة طاهر أبو فاشا الإذاعية "ألف ليلة وليلة" حيث امرأة تدعى "أم كوهين" عُرف عنها المكر والدهاء والوقيعة بين الناس.

"وبغض النظر عن واقعية انتشار اسم كوهين فإن ثقافة العامة أسست اختيارها له - ربما - على مفردات لغوية شائعة فى الثقافة الشعبية المصرية كاشتقاقى "كُهن" و "كهين" وهى صفات تطلق على الشخص الماكر المراوغ الخبيث".

أما الاسم الشائع فى مصر عن اليهودية الأنثى فهو سارة .. وهو على عكس "كوهين" أتى محملاً بصفات جمالية مرغوب فيها .. وسارة هى زوجة إبراهيم أبو الأنبياء .. وهو اسم مستخدم فى الديانات السماوية .. واختاره عباس العقاد عنواناً للرواية الوحيدة التى ابتدعها - وهو اسم الفتاة الجميلة التى عشقت رأفت الهجان وأحبته وضغطت عليه بلا جدوى حتى لا يهاجر من مصر.

****

شحاذ رحال اسمه كوهين لم يعمل فى حياته ولا ينوى ذلك، هبط قرية مصرية، ووقف عند باب مزارع فقير طالباً المبيت لليلة .. ورحبوا به وأعطوه فراشاً مريحاً .. وعشاءً ساخناً .. وفى صباح اليوم التالى قال بعد أن تناول الإفطار :

- لقد كنتم كرماء معى .. فهل أثقل عليكم بقضاء يوم آخر .. وأعدكم بأننى سأرحل غداً بكل تأكيد.

وتبادل أفراد الأسرة نظرات الضيق لكنهم فى النهاية وافقوا على مضض .. وقامت الزوجة لتعد له وجبة طعام متواضعة وإن كانت مشبعة .. لكن كوهين وجد أعذاراً للبقاء .. وفى اليوم الخامس قدموا له كسرة خبز وكوباً من الشاى الأسود فتساءل كوهين :

– ما هذا .. هل تحاولون تجويعى حتى الموت ؟

فقال المزارع الفقير :

– آسف .. آسف حقاً .. ولكن هذا هو كل ما تبقى لدينا .. فنحن على الحديدة.

– فى هذه الحالة أنا مضطر للرحيل غداً فى الصباح.

وفى الصباح الباكر أيقظه المزارع قائلاً :

– حان وقت الاستيقاظ .. لقد صاح الديك.

فصاح كوهين قائلاً :

– ديك ؟ .. ماذا ؟ .. هل لايزال لديكم ديك ؟

****

ويجسد الدكتور عبد الباسط عبد المعطى صورة اليهودى كما فى المخيلة العامة للمصريين قائلاً:

إن المصريين يرون اليهودى مثل رجل "أصلع" أو قليل الشعر .. له لحية تلتقى مع الشارب .. أنفه بارز .. أذنه طويلة وكبيرة مقارنة بالوجه .. يميل إلى القصر والبدانة.

أما الأنثى فهى ممشوقة القوام، طويلة الشعر، متسعة العينين، دقيقة القسمات والملامح .. وهى أوصاف لم يتردد العقاد نفسه فى استخدامها وهو يصف سارة بطلة روايته ... "عينان نطفاوان نجلاوان فيهما خطفة الصقر ودعة الحمامة" .. ويرتبط بهذا أن المصريين يركزون جانباً رئيسياً من وعيهم بالمرأة على جسدها وجمالها وأنوثتها وهو وعى محدود بعوامل تاريخية كثيرة.

****

قالت الفتاة اليهودية لصديقتها :

– الشاب الذى أعرفه أصبح جاداً فى الارتباط بى .

– كيف ؟

– لقد سألنى بالأمس عن راتبى.

****

وسألت صحيفة "معاريف" قراءها :

– فى أى ساعة تذهب المرأة اليهودية إلى الفراش ؟

وكانت الإجابة :

– فى الثامنة مساء .. لأن عليها أن تكون فى المنزل قبل الساعة العاشرة.

****

وقال الصديق للصديق محذراً :

– احذر فإن زوجتك تخوننا !

****

وفى صبيحة أول يوم زواج أعطى الزوج اليهودى زوجته ٢٠٠ شيكل فأعطته الباقى ٢٠ شيكل.

****

وفى تل أبيب حاول يعقوب المستحيل لكى يمسك بيد فتاته المتدينة .. لكنها كانت ترفض قائلة:

– الرب يرانا.

تفتق ذهنه عن حيلة .. فطلب من أحد أصدقائه أن يجلس فوق شجرة مدعياً أنه الرب وإنه يبارك ما يفعلان .. وأمسك يعقوب بيد فتاته وراح يباركها وعندما ابتعدت جاء صوت صديقه من فوق الشجرة :

– أنا الرب اتركيه يفعل ما يشاء.

ونجحت الحيلة تماماً .. وعند لحظة حرجة تدخل الصديق قائلاً :

– يا يعقوب .. لا تنس نصيب الرب.

****

ويستطرد الباحث مستكملاً رسم الصورة اليهودية الشائعة فى الذهنية المصرية قائلاً :

ويميل الإسرائيلى الذكر إلى اختيار الألوان الداكنة لملابسه والتى كانت حسب تكرارها : الرمادى والبنى الغامق والأسود .. وإن كان أحد أفراد عينة البحث ويعمل فى نويبع يقول : إن الإسرائيليين كثيراً ما يفضلون أن يكونوا بلا ملابس على الإطلاق، ليثبتوا للعالم أنهم لايزالون يحتفظون ببراءة طفولتهم عندما ولدوا أول مرة وهم عرايا .. وهو ما يعنى أنهم يتعمدون الإباحية فى الملبس .. فمعظم السائحين اليهود من ٢٠ – ٣٥ عاماً يتعمدون السير أشباه عرايا حتى فى الأماكن البعيدة عن البحر .. و"هو سلوك يحفل بالاستفزاز وإغراء الشباب المصرى والرغبة الواضحة فى إفساده بالجنس والمخدرات وغير ذلك من المحرمات".

أما الأنثى اليهودية فملابسها متنوعة .. وترتدى ما يظهر مفاتنها .. وتتميز بالبساطة ومتابعة الجديد .. فى الموضة.

ويرى العامة – حسب عينة هذا البحث – أن الإسرائيلى عند تخاطبه مع الآخرين يحرص على خفض صوته وتوظيف أنفه كأحد مخارج الكلام .. فيقترب من صورة "الأخنف" فى الثقافة الشعبية، وهى صورة كاريكاتورية تدعو غالباً إلى السخرية من صاحبها.

والإسرائيلى أثناء تخاطبه يحرك رأسه ورقبته عموديا إلى أسفل كمن يحاول إخفاءها بين كتفيه .. وأحياناً يثنى ركبتيه فيزداد قصراً وتشعر أنه يحاول أن ينزل إلى باطن الأرض .. أما الأنثى الإسرائيلية – وإن اشتركت مع الذكر فى الصوت المنخفض – إلا أنها تجيد الحديث والاستماع إليك .. وتتحدث فيزداد وجهها حمرة، ولذلك هى كثيراً ما تستخدم فى أعمال التخابر لتأثيرها القوى على الآخرين خاصة الذكور.

"ولعل ما تود أن توضحه أبعاد المظهر الخارجى الجسمية والتى تتعلق بالملبس وطريقة التخاطب مع الآخرين هو أنك أمام شخص – الذكر الإسرائيلى – مريب .. فاللحية والشارب يخفيان ملامح الوجه وانفعالاته .. واللون الداكن فى الملبس للتوارى وعدم الظهور الحاد .. والصوت المنخفض يعطى انطباعاً "بالمسكنة"التى تدعو إلى إشفاق الآخر وتعاطفه .. إنها شخصية كما بدت للعامة "تسحبك إليها لتأخذك إلى مجهولها".

ولهذا .. عمدت الذهنية الشعبية المصرية إلى أن تكون صورة اليهودى أو الإسرائيلى صورة "منفرة" .. فقصر القامة وطول الأذنين وكبرهما واللحية المختلطة بالشارب والألوان الداكنة، كلها تعطى صورة مخيفة تبعدك عنها أكثر مما تجذبك إليها .. فضلاً عما تحفل به صورة قصار القامة لدى "العامة" من تناقضات تحمل فى حصادها النهائى دعوة إلى الحذر فى التعامل مع قصير القامة .. وأما الأنثى فهى تشترك مع الذكر فى قدرتها على سحب الآخر نحوها لكنه سحب من منطق آخر .. هو منطق الجاذبية فى الشكل.

****

س : ماذا تبقى من خط بارليف الذى حطمه المصريون فى حرب أكتوبر ؟

جـ : القصور التى شيدها المقاولون الذين بنوه.

****

س : ما هو الحلم القومى الأمريكى ؟

جـ : أن يأتى يوم يجد فيه الأمريكيون مليون زنجى يسبحون عائدين إلى أفريقيا وفى يد كل منهم يهوديان.

****

س : لماذا يبدو صدر المرأة الإسرائيلية أكثر احمراراً ؟

جـ : لأن الأطباء ينصحون بغلى كل شىء قبل تقديمه للأطفال.

****

س : ما هى الحرية الاقتصادية فى أمريكا ؟

جـ : أن تعمل وتعرق وتعيش وتموت من أجل اليهود.

****

وفى الأمثال العامية المصرية :

١ - احتاجوا اليهودى .. قال اليوم عيدى .

٢ - أفلس من يهودى نهار السبت.

٣ - زى ساعى اليهود ما يودى خبر ولا يجيب خبر.

٤ - زى ترب (مقابر) اليهود بياض على قلة رحمة.

٥ - زى فقرا اليهود لا دنيا ولا آخرة.

٦ - زى قراية اليهود تلتينها كدب.

٧ - لما يفلس اليهودى يدور فى دفاتره القديمة.

****

وتعكس هذه الأمثال صورة اليهودى النفسية .. فأنت لا تجده إذا احتجت إليه .. وحجته هى أنه لا يعمل يوم عيده .. أو يوم أجازته الدينية .. يوم السبت .. كما أنه كتوم "ما يودى خبر ولا يجيب خبر" .. ومظهره غير جوهره .. وهو يستخدم الدين فى ترويج أكاذيبه .. وعندما يُفلس يفتش فى دفاتره القديمة.

وهى صورة لا تختلف كثيراً عن تلك التى توصل إليها د. عبد الباسط عبد المعطى فى بحثه .. وهى صورة يرى فيها العامة فى مصر اليهودى بخيلاً مقتراً إلى درجة الشح .. وتفسير ذلك أنه مادى يعشق المال .. وأنانى .. ودلل أحد المصريين الذين عاصروا اليهود عندما كانوا فى مصر .. دلل على ذلك بأنه رأى بعينيه يهودياً يأكل عود قصب من آخره .. فلما سأله عن السر فى ذلك .. أجاب بأنه كلما اتجهت من أعلى إلى أسفل عود القصب ازدادت حلاوته، ولهذا "أتمتع أنا بالأكثر حلاوة حتى إذا مر علىّ شخص أعطيه الجزء الأعلى وهو الأقل حلاوة" .. يضاف إلى ذلك أن اليهودى مراب والمرابى إنسان مرفوض دينياً فالربا من محرمات الإسلام .. كذلك فإنه

يعشق المساومة والفصال.

****

ساوم الراكب سائق التاكسى فى تل أبيب حتى اتفقا على ١٠ شيكلات وعندما وصل الراكب إلى المكان الذى يريده أصر على دفع ٥ شيكلات فقط .. فغضب السائق قائلاً :

- لقد اتفقت على ١٠ شيكلات.

- نعم .. لكنك كنت تركب معى.

****

اشترى يهودى حذاءً ودفع نصف ثمنه ووعد البائع بأن يدفع الباقى فى اليوم التالى .. وتعجب صبى البائع قائلاً :

- لكنه قد لا يعود غداً.

- أبداً .. لابد أن يعود.

- لماذا ؟

- لأننى أعطيته "الفردتين "شمال.

****

ماتت زوجة يهودى فنشر نعيها كالتالى : توفيت أمس المرحومة شلوميت زوجة ليفى كوهين تاجر الساعات المعروف الذى يبيع بالتقسيط وبأسعار معتدلة.

****

وبمناسبة التقسيط .. يقول اليهود : لا يوجد شىء يجعل الأيام أسرع ... إلا الأقساط ومواعيد سداد الديون.

****

قالت الموظفة لزميلتها :

- المدير بيلبس كويس جداً.

فأضافت زميلتها :

- وبسرعة جداً.

****

وقال الحاخام لزميله :

– لقد ماتت عاهرة القرية وخصصت كل أموالها للمعبد .. فهل هذا حلال أم حرام ؟

قال زميله :

– حلال قطعاً .. فهى أموالنا وليست أموالها.

****

وسواء فى إسرائيل أو فى أى دولة مثلها يسيطر على مقدراتها الجنرالات، من السهل أن تسود هذه النكتة ..

عندما قرر الرب توزيع الذكاء على البشر كان الملاك المسئول عن هذه المهمة يقوم بها من براميل وآكواب .. عند البرميل الأخير ذهب الملاك للرب قائلاً :

– ما العمل ؟

فرد الرب :

– استخدم فى توزيع الذكاء الملاعق.

ولم تمض فترة من الزمن حتى عاد الملاك متسائلاً :

– ما العمل ؟

فقال الرب :

– استخدم القطارة.

ونفد البرميل تماماً فسأل الملاك الرب :

– ما العمل ؟

فقال الرب :

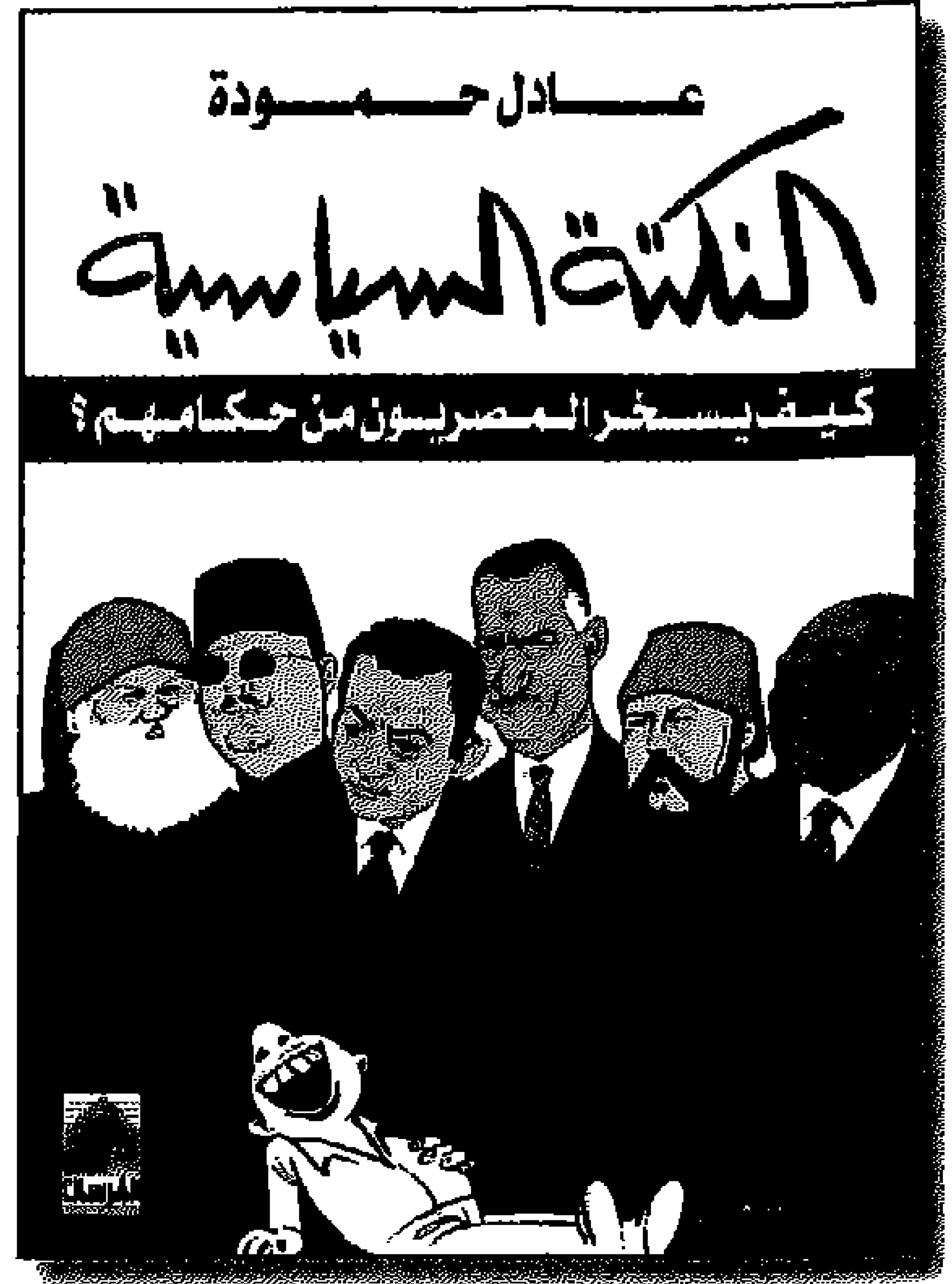
– ابدأ فى توزيع الرتب العسكرية.

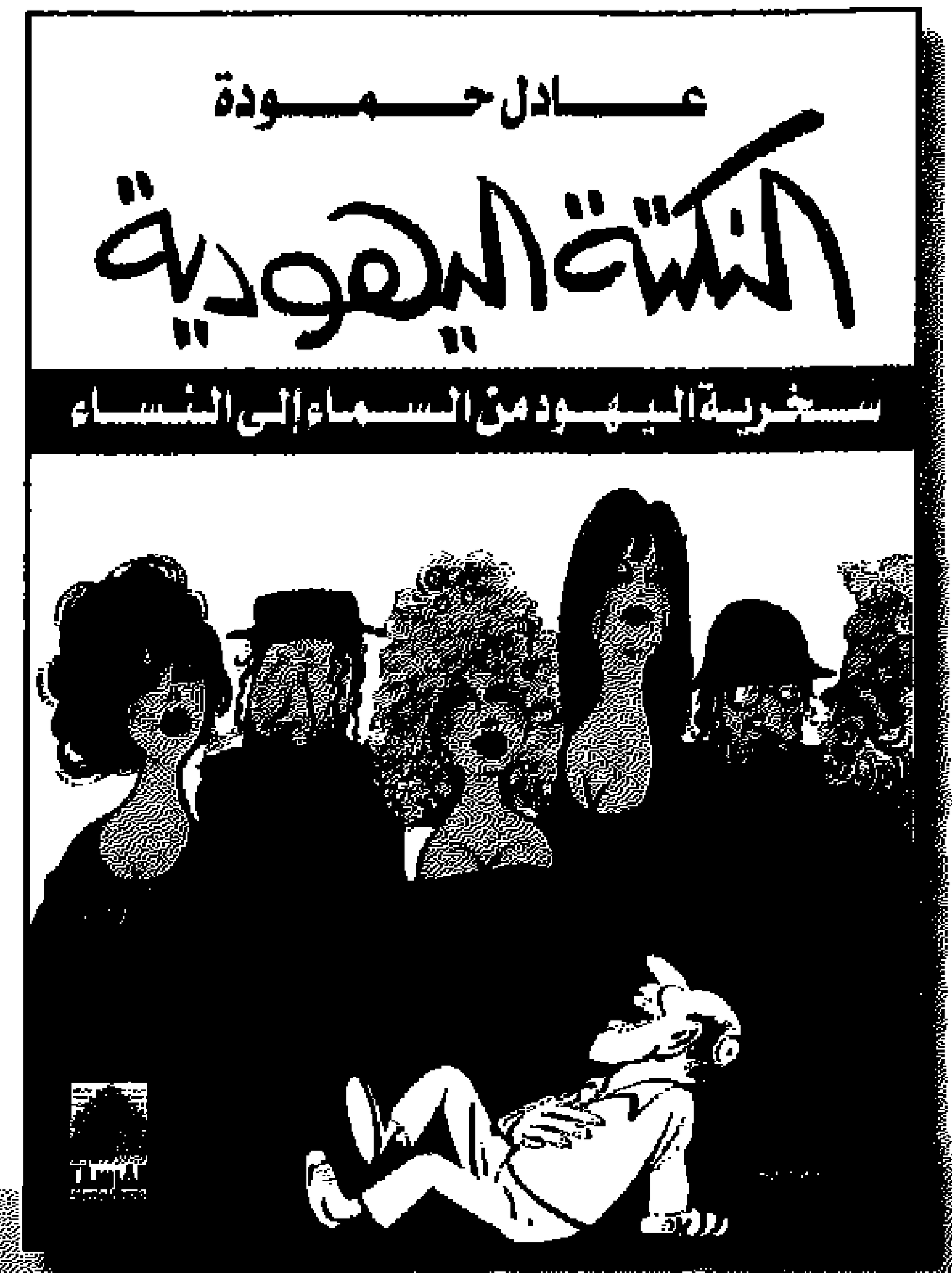
الفهرس

النكتة اليهودية

سخرية اليهود من السماء إلى النساء







هذا الكتاب

لا يخفى اليهود سخريتهم من كل شيء .. فهم يسخرون من الأنبياء ومن الزعماء .. ومن النساء .. وبالقطع يسخرون من العرب وعندما لايجدون من يسخروا منه يسخرون من أنفسهم وهذا الكتاب يكشف ذلك ويكشف أيضاً كيف سرق اليهود التراث العربى والعالمى من السخرية ونسبوه إلى أنفسهم .. إنهم لصوص سرقوا الأرض والتاريخ والرقصات الشعبية والنكات أيضاً.

ومؤلف الكتاب هو عادل حمودة .. واحد من أشهر الكتاب السياسيين فى العالم العربى ليس فقط بسبب مواقفه السياسية المعروفة ولا بسبب القضايا الشهيرة التى فجرها وكانت حديث الدنيا .. وإنما كذلك لأنه أول من تناول النكتة السياسية فى كتاب ستعيد دار (الفرسان) نشره وهو (كيف يسخر المصريون من حكامهم ؟).
إنه كتاب ممتع ومفيد يستحق الإقتناء لكاتب سهل الأسلوب عميق الفهم يحترمه الجميع .

الناشر





دار الفرسان للنشر